سلطنة عُمان
وزارة الأوقاف والشؤون الدينية



علوم القرآن

مجموعة
معهد العلوم الشرعية

الطبعة الرابعة ١٤٢٨ هـ

معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد



علوم القرآن

مرحلة الدراسات الشرعية العامة
للسنة الدراسية الثالثة

تأليف

د. فضل حسن عباس محمد شحاتة أبو الحسن د. أحمد فريد صالح

الطبعة الرابعة
١٤٢٨هـ

حقوق الطبع والنشر محفوظة لمعهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد

اللجنة الاستشارية لمناهج مرحلة الدراسات
الشرعية العامة بالمعهد برئاسة سماحة
الشيخ / أحمد بن حمد الخليلي
وعضوية كل من :

د. إبراهيم بن أحمد الكندي -أحمد بن سعود السيابي
أحمد بن سليمان الكندي زياد بن طالب المعولي
عبدالله بن حمدان الدهماني



حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم

فهرست

الصفحة	الموضوع
٩	مقدمة
١١	١ ـ القرآن الكريم :
١٣	١ ـ تعريف القرآن
١٥	٢ ـ أسماء القرآن الكريم.
١٦	٣ ـ الفروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي.
١٨	٤ ـ هداية القرآن الكريم.
	٢ ـ علوم القرآن :
٢٣	١ ـ تعريف علوم القرآن الكريم .
٢٣	٢ ـ فوائد دراسة علوم القرآن.
٢٤	٣ ـ نشأة علوم القرآن.
	٣ ـ الوحي :
٣١	١ ـ تعريف الوحي.
٣٢	٢ ـ الأدلة على وقوع الوحي.
٣٥	٣ ـ كيفيات الوحي.
	٤ ـ نزول القرآن الكريم :
٤١	١ ـ نزول القرآن الكريم.
٤٣	٢ ـ تنجيم القرآن الكريم.
	٥ ـ ترتيب آي القرآن وسوره :
٥١	١ ـ تعريف الآية.
٥٣	٢ ـ ترتيب الآيات.
٥٤	٣ ـ فوائد معرفة الآيات .

الصفحة	الموضوع
٥٤	٤ ـ عدد آيات القرآن الكريم
٥٧	٥ ـ الفاصلة القرآنية.
٥٨	٦ ـ تعريف السورة .
٥٩	٧ ـ سور القرآن الكريم.
٦١	٨ ـ أقسام السور.
٦٣	٩ ـ ترتيب سور القرآن الكريم.
	٦ ـ جمع القرآن الكريم :
٦٩	١ ـ معنى الجمع .
٧٠	٢ ـ جمعه في عهد الرسول ﷺ
٧٦	٣ ـ جمعه في عهد أبي بكر رضي الله عنه .
٨١	٤ ـ جمعه في عهد عثمان رضي الله عنه .
	٧ ـ أول مانزل من القرآن الكريم وآخر مانزل منه :
٨٩	١ ـ أول مانزل من القرآن.
٩٣	٢ ـ آخر مانزل من القرآن .
	٨ ـ أسباب النزول :
٩٨	١ ـ تعريف سبب النزول .
٩٨	٢ ـ الطريق إلى معرفة سبب النزول .
٩٩	٣ ـ فوائد معرفته.

تابع الفهرست

الصفحة	الموضوع
	٨ ـ تابع أسباب النزول :
١٠٣	٤ ـ تعدد الروايات في سبب النزول .
١٠٦	٥ ـ عموم اللفظ مع خصوص السبب
١٠٨	٦ ـ المناسبة وسبب النزول .
١٠٨	٧ ـ أمثلة لأسباب نزول آيات من القرآن الكريم
	٩ ـ الأحرف السبعة :
١١٩	١ ـ الروايات في الأحرف السبعة.
١٢٢	٢ ـ معنى الأحرف السبعة.
١٢٥	٣ ـ فوائد تؤخذ من الأحاديث.
	١٠ ـ المكي والمدني :
١٢٩	١ ـ تعريف المكي والمدني.
١٣١	٢ ـ فوائد معرفة المكي والمدني.
١٣٢	٣ ـ كيفية معرفة المكي والمدني.
١٣٨	٤ ـ السور المكية والمدنية.
	١١ ـ المحكم والمتشابه :
١٤٤	١ ـ المعنى اللغوي.
١٤٥	٢ ـ معنى المحكم والمتشابه عند العلماء.
١٤٦	٣ ـ آراء العلماء في معنى الإحكام والتشابه.
١٥٢	٤ ـ حكم ورود التشابه.
١٥٤	٥ ـ أسباب وقوع التشابه.

الصفحة	الموضوع
	١٢ ـ الناسخ والمنسوخ :
١٦١	١ ـ تعريف النسخ.
١٦٣	٢ ـ دليل النسخ.
١٦٣	٣ ـ طرق معرفة النسخ.
١٦٥	٤ ـ من الآيات المنسوخة في القرآن الكريم.
	١٣ ـ الأمثال في القرآن :
١٦٩	١ ـ تعريف الأمثال .
١٧٠	٢ ـ أقسام الأمثال في القرآن الكريم .
١٧٣	٣ ـ فوائد الأمثال.
١٧٤	٤ ـ نموذج من أمثال القرآن الكريم.
	١٤ ـ إعجاز القرآن الكريم :
١٨٠	١ ـ تعريف المعجزة .
١٨٢	٢ ـ إعجاز القرآن.
١٨٦	٣ ـ الإعجاز البياني.
١٩٢	٤ ـ الإعجاز التشريعي.
١٩٤	٥ ـ الإعجاز العلمي.
	١٥ ـ التفسير :
٢٠٣	١ ـ تعريف التفسير.
٢٠٤	٢ ـ الفرق بين التفسير والتأويل.
٢٠٥	٣ ـ شروط التفسير.

تابع الفهرست

الصفحة	الموضوع
	١٥ ـ تابع التفسير :
٢٠٦	٤ ـ نشأة التفسير وتطوره.
	١٦ ـ مناهج المفسرين :
	١ ـ للشيخ هود بن محكم الهواري.
٢١٨	١ ـ التعريف بالمؤلف.
٢١٩	٢ ـ التعريف بالتفسير.
٢٢١	٣ ـ منهج التفسير.
٢٢٦	٤ ـ نموذج من التفسير.
	٢ ـ للشهيد سيد قطب :
٢٣٣	١ ـ التعريف بالمؤلف.
٢٣٥	٢ ـ التعريف بالتفسير.
٢٣٩	٣ ـ منهج التفسير.
٢٤٤	٤ ـ نموذج من التفسير.
	٣ ـ للشيخ أحمد بن حمد الخليلي
٢٦١	١ ـ التعريف بالمؤلف.
٢٦٢	٢ ـ التعريف بالتفسير.
٢٦٤	٣ ـ منهج التفسير.
٢٦٧	٤ ـ نموذج من التفسير.
	١٧ ـ رسم المصحف :
٢٩٨	١ ـ الجهات التي خالف فيها الرسم العثماني الخط القياسي .

الصفحة	الموضوع
	١٧ ـ تابع رسم المصحف
٣٠٢	٢ ـ آراء العلماء في التزام الرسم العثماني.
٣٠٤	٣ ـ فوائد الرسم العثماني.
٣٠٥	٤ ـ طباعة القرآن الكريم.
	١٨ ـ ترجمة القرآن الكريم
٣٠٧	١ ـ تعريف الترجمة .
٣٠٧	٢ ـ أقسام الترجمة .
٣٠٨	٣ ـ إشكالات الترجمة .
٣٠٩	٤ ـ ترجمة القرآن الكريم.
٣١٤	٥ ـ فوائد ترجمة القرآن الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد . اللهم صل على سيدنا محمد أبداً، أفضل صلاة صليتها على أحد من خلقك، وعلى آله وصحبه والتابعين لَهُمْ بإحسان .

أما بعد . .

فهذه موضوعات في علوم القرآن الكريم ، وفقاً لمناهج مرحلة الدراسات الشرعية العامة السنة الثالثة لطلاب معهد القضاء الشرعي والوعظ والإرشاد .

وقد توخينا فيها سهولة العبارة ويسر الأسلوب ، وحسن المناظرة، فيما يحتاج إلى نقاش ، حتى تعمق الروح العلمية في ذهن الطالب .

والله نسأل أن يأجر عليه ، وينفع به ، وأن يكون لنا ذخراً في يوم، لايجزي فيه والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً، وأن يأجر أئمتنا السابقين . .

﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولاتجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا﴾ . .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ،،

المؤلفون

القرآن الكريم

عناصر الدرس :

١ ـ تعريف القرآن .
٢ ـ أسماء القرآن الكريم .
٣ ـ الفروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي .
٤ ـ هداية القرآن الكريم .

● الأنشـــطة

عرض الدرس :

١ ـ تعريف القرآن :

أ ـ لغة :

اختلف العلماء في لفظ القرآن من حيث اشتقاقه، فمنهم من يرى أنه لفظ غير مشتق فعرفه : أنه اسم علم خاص لكلام الله تعالى .

ومنهم من يرى أنه مشتق :

قيل : إنه مشتق من قَرَنْتُ الشيء بالشيء، إذا ضممت بعضه إلى بعض . أو من القرائن لأن آياته يُشْبِهُ بعضها بعضاً أو مشتق من القرء بمعنى الجمع، سُمي بذلكَ لأنه جمع ثمرات الكتب السماوية . أو لأنه يجمع السُّوَرَ ويَضمُّهاَ .

أو مشتق من قرأ بمعنى القراءة ، ثم نُقِلَ من هذا المعنى المصدري، وجعل علماً على كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ .

والرأي الراجح أن القرآن مصدر على وزن فُعْلاَنْ، مشتق من قرأ ، سُمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر .

والذي يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة : ١٧ ، ١٨] فَقُرْآنَهُ بمعنى قراءته .

ب - شـــرعاً :

للعلماء أقوال متعددة في تعريف القرآن ، وأجمع التعاريف هو : «كلام الله تعالى ، المنزل على محمد ﷺ ، باللسان العربي ، المعجز ، المتعبد بتلاوته ، المنقول بالتواتر».

شرح التعريف وذكر محترزات القيود :

كلام الله تعالى : إشارة إلى أن هذا الكتاب كلام الله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ [التوبة : ٦] ، وقد خرج بهذا القيد كلام من سواه .

المنزل : قيد خرج به الكلام الذي استأثر الله به لنفسه، وألقاه إلى ملائكته ليعملوا به .

المنزل على محمد ﷺ : خرج به المنزل على غيره من الأنبياء .

باللسان العربي : قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف : ٣] .

المعجز : إشارة إلى أن القرآن الكريم هو المعجزة العظمى الباقية على وجه الدهر للرسول ﷺ ، تحدَّى به الناس كافة .

وخرج بهذا القيد : الأحاديث القدسية ، والأحاديث النبوية .

المتعبد بتلاوته : أي أن قراءته يتقرب بها إلى الله تعالى ، ليس في الصلاة فحسب ، كما ورد ذلك في الأحاديث الصحيحة ، وخرج بهذا القيد : الأحاديث القدسية ، والآيات التي نسخت تلاوتها ، والقراءات التي نقلت بطريق الآحاد.

المتواتر : هو مانَقَلَهُ جمع عن جمع يستحيل عقلاً اتفاقهم على الكذب .

٢ ـ أسماء القرآن الكريم :

للقرآن الكريم أسماء معروفة لدى العلماء ، متفق عليها عندهم، وهي :

أولا : القرآن :

قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

ثانيا : الكتاب :

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ٢] .

وهذان الإسمان هما أكثر الأسماء شهرة وتداولاً، وجرياناً على الألسنة ، يقول الشيخ محمد بن عبدالله دراز في كتابه القيم : «النبأ العظيم» : روعي في تسميته «قرآناً» كونه متلواً بالألسن، كما روعي في تسميته «كتاباً» كونه مدوناً بالأقلام، فكلا التسميتين من تسمية الشيء بالمعنى الواقع عليه، وفي تسميته بهذين الإسمين، إشارة إلى أن من حقه العناية بحفظه في موضعين لا في موضع واحد، أعني أنه يجب حفظه في الصدور والسطور جميعاً [١].

---

(١) محمد عبدالله دراز ، النبأ العظيم . ص ١٢

ثالثا : الفرقـان :

قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان : ١] .

وسمي بالفـرقان لتفرقته بين الحق والباطل ، أو لبيانه الأحكام ، ولنزوله منجماً .

رابعا : الذِّكْـر :

قال تعالى : ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ [الأنبياء : ٥٠] .

وإنما سمي القرآن ذكراً لشرفه ، كما في قوله تعالى : ﴿ صٓ ، وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ [ص : ١] أو لكونه يذكر الناس بمعادهم .

خامساً : التنزيل :

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء : ١٩٢] .

فهو وحي يوحى تَنَزَّلَ على قلب الرسول الكريم ﷺ . ومازاد على هذه الأسماء فهو وصف للقرآن كوصفه بأنه مجيد : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾ [البروج : ٢١] ، ونـور : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤] ، ومبارك وبشرى وعزيز ونذير .

٣ ـ الفروق بين القرآن الكريم والحديث القدسي :

الحديث القدسي : القدس :

نسبة إلى القدس الذي هو الطهر ، لتعلقه بالله

تعالى ، ونسبته إليه تعالى لأنه القائل له، والمراد به : «ماأضيف إلى النبي ﷺ حاكياً له عن ربه بأن أسند القول فيه إلى الله تعالى» .

وذلك مثل قوله ﷺ فيما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ الله عنه : «إن الله تعالى قال : (من عادى لي وليا فقد آذَنتُهُ بالحرب، وماتقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه)» وبهذا فالحديث القدسي معناه من عند الله وألفاظه من عند الرسول ﷺ .

الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي :

١ ـ القرآن الكريم معجز للإنس والجن مُتَحَدًّى بأقصر سورة منه : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٣] .

القرآن الكريم محفوظ بحفْظِ الله له من التغيير والتبديل : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] .

٢ ـ القرآن الكريم يتعبد بتلاوته بفهم وبدون فهم. والحديث القدسي خلاف ذلك .

٣ ـ القرآن الكريم يحرم على المحدث مسه ، ويحرم على الجنب تلاوته ومسه بخلاف الحديث القدسي. .

٤ ـ القرآن الكريم تحرم روايته بالمعنى .

٥ ـ القرآن الكريم نقل إلينا بالتواتر والقدسي آحادي .

٦ ـ القرآن الكريم يتعين في الصلاة ، ولاتصح ـ للقادر عليه ـ إلا به . والقدسي ليس كذلك .

٧ ـ القرآن الكريم لايكون إلا بوحي جلي بأن ينزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ . أما الحديث القدسي فيجوز أن يوحى بوحي جلي أو بوحي خفي .

٨ ـ القرآن الكريم من عند الله لفظاً ومعنى ، والحديث القدسي معناه من عند الله ولفظه من عند الرسول ﷺ .

٤ ـ هداية القرآن الكريم :

جاء القرآن والناس في أمس الحاجة إليهِ، فقد أحاط الفساد بالبشرية من كل جانب، وكان العرب على عبادة الأوثان التي أفسدت فطرتهم، وشلّت طاقاتهم العقلية والنفسية والروحية، وترتب على ذلك الانقسامات وحماقة العصبية التي استنزفت دماءها، إلى غير ذلك من العادات التي لاتقرها العقول السليمة، ولا الفطر النقية.

فكان من حكمته تعالى أن ينزل كتاباً يتضمن من الخصائص مايعالج بها كل المشكلات الإنسانية في شَتَّى مرافق الحياة، وأن يضع لكل مشكلة البلسم الشافي ، ضمن قواعد عامة، تقتفي الإنسانية

خطاهـا وتسير على نهجها لتبرهن على أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، حيث إنه جاء خاتماً للكتب السماوية ومهيمناً عليها، يستمر مع الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وجاء القرآن الكريم زاخراً بالحقائق والحكم، فهدى الناس إلى أسمى العقائد، بإرشاد الخلق إلى حقائق المبدأ، والمعاد، بالحجج البينة والبراهين الساطعة.

وقد حارب القرآن الكريم الشرك وهدم الوثنية من واقع أدلة دامغة مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣].

ولقد أقام القرآن الكريم الحجة على وجود الله تعالى وأنه وحده هو المستحق للعبـودية، أما فيما يتعلق بالمعاد فقد عالج هذه القضية معالجة دقيقة من واقع براهين وأدلة لايستطيع أحد إنكارها. قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس : ٧٨/٧٩].

ولقد شرع القرآن الكريم من العبادات مايزداد به الإيمان وتطهر به النفوس وتخشع لله تعالى وترقى إلى مقام الإحسان.

وأولى هذه العبادات الصلاة، فقد كانت أعظم ظاهرة من ظواهر المجتمع المسلم.

ـ والـزكاة هي أول نظام مالي قرره خالق الكون ليرسي به قواعد الجماعة الإسلامية ويدعم بناءها .
ـ أما الصوم فهو يجعل كل فرد صورة من أخيه .
ـ والحج أظهر العبادات في تقرير الروابط الاجتماعية .

وقد قضى القرآن الكريم بين الناس في معاملاتهم بأحكام تمثل العدالة في أدق الموازين .

كما رسم السياسات التي تُدَبِّرُ شئون الأمم مما جعل أمة الإسلام في مكان الصدارة .

وحدد التشريعات الاجتماعية فاعتنى بها عناية فائقة وأحاط الجماعة بسياج يبعدها عن التفرقة، قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

دعا القرآن الكريم إلى التعاون المستمر والتآخي والتعاطف والمحبة وحذر من كل مايضر المجتمع والجماعة ، ومن ذلك الربا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٢٧٨] .

ومن الأمـور التي حث عليهـا ـ حتى يحقق استقـرار الجـماعـة وطمأنينتها ـ جعل نظام الحكم فيها شورى . قال تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٩].

ومن الآداب الإجتماعية التي شرعها لإسعاد الجماعة : تأكيد حق الجار ، وعدم السخرية ، ومراعاة حرمة البيوت ، والنهي عن الغدر والكبر ، كما هدى الناس إلى أنبل الأخلاق والآداب الفاضلة : كما في قوله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة : ٨] .

أما فيما يتعلق بالأسرة : فقد شرع مايكفل تنظيم الغرائز، وصون المجتمعات من الانهيار والتفكك . بما تضمنه من تشريعات الحدود والعقوبات والتي تشمل كل عقوبة مالية أو بدنية ، تقع على النفس بسبب اعتداء على حق من حقوق الله تعالى ، أو حقوق العباد ، مثل القصاص والرجم والجلد والتعزير والديات وغيرها . . .

النشاط التقويمي :

١ ـ اشرح العبارة التالية :
«اشتهر من أسماء الوحي الإلهي على رسوله محمد ﷺ اسمان يجمعان بين أسرار التسمية ، وموارد الاشتقاق» .
٢ ـ يقول الشافعي إن لفظ القرآن المعرف ليس مشتقاً ولا مهموزاً، ولكنه اسم للقرآن ، مثل التوراة والإنجيل . علل .
٣ ـ من أوصاف القرآن الكريم :
علي ، مبارك ، نذير ، عزيز .
اذكر آية على كل وصف منها .

٤ ـ أ ـ اذكر التعريف الاصطلاحي للقرآن الكريم .

ب ـ قارن بين التعريف الاصطلاحي للقرآن والتعريف الاصطلاحي للسنة النبوية .

٥ ـ أ ـ حدد أوجه التشابه بين القرآن الكريم والحديث القدسي .

ب ـ حدد أوجه الاختلاف بين القرآن الكريم والحديث القدسي .

٦ ـ يقدم القرآن الكريم للإنسانية الحقائق الكبرى التي لاغنى لها عنها. اشرح ذلك .

النشاط الدراسي :

«فالقرآن رسالة الله إلى الإنسانية كافة ، وكتب الله له الحفظ والنقل المتواتر دون تحريف أو تبديل ، . . . والقرآن بتلك الخصائص يعالج المشكلات الإنسانية في شتى مرافق الحياة ، . . . . والإنسانية المعذبة اليوم في ضميرها ، المضطربة في أنظمتها ، المتداعية في أخلاقها، لاعاصم لها من الهاوية التي تتردى فيها إلا القرآن، . . . . والمسلمون هم وحدهم الذين يحملون المشعل وسط دياجير النظم والمباديء الأخرى ، فحري بهم أن ينفضوا أيديهم من كل بهرج زائف، وأن يقودوا الإنسانية الحائرة بالقرآن الكريم حتى يأخذوا بيدها إلى شاطيء السلام»[1] .

بعد قراءتك النص السابق اكتب تقريراً لايتجاوز الصفحتين عن أهمية القرآن الكريم للإنسانية، وحاجة البشرية إليه في كل زمان.

---

(١) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، بيروت ، مؤسسة الرسالة، ط ٢٢ ، ١٤١٠ هـ ، ص ١٧ ـ ١٩

علوم القرآن

عناصر الدرس :

١ ـ تعريف علوم القرآن .
٢ ـ فوائد دراسة علوم القرآن .
٣ ـ نشأة علوم القرآن .

● الأنشـــطة

عرض الدرس :

١ ـ تعريف علوم القرآن :

هو علم يتألف من عدة مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من حيث: معرفة أسباب النزول ، وجمعه ، وتفسيره ، وإعجازه ، والمكي منه والمدني، والناسخ والمنسوخ، وغير ذلك، مما له علاقة بالقرآن ، أو له به صلة .

٢ ـ فوائد دراسة علوم القرآن :

١ ـ ترجع أهميتها إلى فهم القرآن الكريم حق الفهم، فكثير من آيات الكتاب الحكيم لايمكن فهمه إلا بمعرفة تلك الأبحاث، ومن هنا كان الجهل بها كثيراً مايوقع في الخطأ في فهم الآية أو الآيات.

٢ ـ معرفة حجج الأعداء الباطلة ، وكيفية الرد عليها ، وإظهار زيفها.

٣ ـ التعرف على مدى مابذله المسلمون من جهود تعتني بالقرآن الكريم أتم عناية، حتى لايفقد منه شيء، ولايختلط به ماليس منه. واستمرت هذه العناية منذ نزوله على رسولنا ﷺ إلى يومنا هذا، مما يدل على أن هذا الكتاب المبين لايتطرق إليه تحريف ولاتبديل تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] وقد تحقق هذا الحفظ ـ والحمد لله ـ من جانبين : حفظه في الصدور ، وكتابته في السطور .

٣ ـ نشأة علوم القرآن :

كانت علوم القرآن معلومة لدى رسول الله ﷺ ، وصحابته الكرام لعدة أسباب :

١ ـ تمتعهم بجميع خصائص اللغة العربية ومزاياها الكاملة .

٢ ـ امتيازهم بصفاء النفوس وقوة الحافظة، وسيلان الذهن .

٣ ـ وجانب هام هو أن بعض هذه المباحث وقع بين أظهرهم (كأسباب النزول) .
ورغم معرفتهم لهذه الأبحاث إلا أنهم لم يدونوها لأسباب أهمها:

أولا : نهي رسول الله ﷺ عن كتابة أي شيء سوى القرآن الكريم حتى لايختلط بعض مايكتبون بالقرآن فيدخل في كتاب الله ماليس منه . وقد سمعوا النهي وفهموه: «لاتكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غيره فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار» [1] .

ثانيا : أن الصحابة كانوا أُميين لايقرءون ولايكتبون إلا نفر قليل لايغير الوصف، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة : ٢] . وقال ﷺ : «إنا أمة أُمية لانكتب ولا نحسب ، الشهر هكذا» [2] فكان مرتكزهم على الحفظ. وكان ذلك من الله نعمة أكرمهم بها حتى تكون قلوبهم أوعية لكتاب الله تعالى .

ثالثا : حرصهم على نشر كل مايتعلق بالقرآن الكريم مشافهة بنفس أسلوب الاعتماد على الحفظ والضبط ، وتبليغه إلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .
وجاء الوقت الذي تمكن فيه القرآن من القلوب، ورسخ في النفوس، وَبَدَا من الأسباب مااقتضى تدوين أبحاث القرآن الكريم .

---

(١) رواه مسلم ٨/٢٢٩ .
(٢) رواه مسلم ٢/٧٦ ، فتح الباري ٥/٢٨ ، ٢٩

وبدأ ذلك بصورة واضحة في القرن الثاني الهجري، وكان أول علم منها علم التفسير، لأسباب منها :

١ ـ حاجة الناس إليه وتلبيته لاحتياجاتهم بما يحقق سعادتهم الدينية والدنيوية، ولايتحقق ذلك كله إلا بتدبر آيات الكتاب العزيز وفهمها للوصول إلى تلك الهداية .

٢ ـ لأن التفسير جامع لكل مايساعد على فهم كتاب الله تعالى من علوم القرآن، فالمفسر مثلاً يذكر أسباب النزول عند الكلام على الآية أو السورة التي نزلت بسبب، وكذلك يتكلم عن المحكم والمتشابه في الآيات المحكمة ومايقابلها . .

أما بقية علوم القرآن فقد ألف فيها :

ـ علي بن المديني (ت ٢٣٤ هـ) (أسباب النزول)
ـ أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) (الناسخ والمنسوخ)

وفي القرن الرابع :

ـ أبو بكر السجستاني (ت ٣٣٠ هـ) (غريب القرآن).

وفي القرن الخامس :

ـ أبو بكر الباقلاني (ت سنة ٤٠٣ هـ) (إعجاز القرآن)
ـ أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤ هـ) (التيسير في القراءات السبع)

ثم تتابع التأليف :

- أبـو القـاسم عبدالرحمن المعروف بالسهيلي (ت سنة ٥٨١ هـ) (مبهمات القرآن)
- علم الدين السخاوي (ت سنة ٦٤٣ هـ) (علم القراءات)
- العز بن عبدالسلام (ت سنة ٦٦٠ هـ) (إعجاز القرآن)
- ابن القيم (أقسام القرآن) .

وهذه الأبحاث لم تكن تجمع في مؤلف واحد، بل إن كل مبحث منهـا كان يدون في مؤلف مستقل عن الأبحاث الأخرى ، يعتمد مؤلفـه على منهج الاستيعاب والاستنباط والإحاطة بجزئيات القرآن الكريم، ولما كانت الإحاطة بهذه الأبحاث من الصعوبة بمكان فقد رأى العلماء جمعها في مؤلف واحد يسمى (علوم القرآن) .

وفي القرن السادس ألف ابن الجوزي (ت ٥٩٧) كتابين :

«فنـون الأفنـان في عجائب علوم القرآن» و « المجتبى في علوم تتعلّق بالقرآن» .

وفي القرن السابع : ألف علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣) «جمال القراء وكمال الإقراء» وألف أبو شامة (ت ٦٦٥) : «المرشد الوجيز فيما يتعلق بالكتاب العزيز» .

وفي القرن الثامن : ألف بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤) (البرهان في علوم القرآن) .

وفي القرن التاسع : ألف محمد بن سليمان الكارفنجي (ت ٨٧٩) في علوم القرآن ذكره السيوطي ونقل عن مؤلفه أنه قال : لم يسبق إليه .

ثم جاء السيوطي (ت ٩١١) فألف «التبحير في علوم التفسير» وأتبعه بكتاب : «الإتقان في علوم القرآن» .

وفي القرن الرابع عشر ألف كثير من العلماء في أبحاث علوم القرآن بما يناسب العصر مثل :

- «مناهل العرفان في علوم القرآن» للشيخ محمد بن عبدالعظيم الزرقاني .
- «إعجاز القرآن» مصطفى صادق الرافعي .
- «التبيان في علوم القرآن» الشيخ طاهر الجزائري .
- «منهج الفرقان في علوم القرآن» الشيخ محمد علي سلامة
- «البيان في مباحث علوم القرآن» الشيخ عبدالوهاب غزلان
- «ترجمة القرآن» الشيخ محمد مصطفى المراغي .
- «النبأ العظيم» د . محمد عبدالله دراز
- «مباحث في علوم القرآن» للشيخ مناع القطان
- «مباحث في علوم القرآن» للشيخ صبحي الصالح

النشاط التقويمي :

١ ـ يطلق على علوم القرآن مسمى أصول التفسير . علل ذلك .

٢ ـ انقد العبارة التالية :

دراسة علوم القرآن خاصة بالمشتغلين بالتفسير .

٣ ـ ظلت علوم القرآن على عهد رسول الله ﷺ وعهد خلفائه الراشدين تُرْوى بالتلقين والمشافهة ، اشرح ذلك .

٤ ـ ما العوامل التي أدت إلى تدوين مباحث علوم القرآن ؟ ومتى كان ذلك ؟

٥ ـ اذكر أول مبحث دُوِّنَ من مباحث علوم القرآن مبينا سبب ذلك؟

٦ ـ متى كان أول عهد لظهور مصطلح «علوم القرآن» ؟

٧ ـ علل سبب ظهور كثير من المؤلفات في علوم القرآن في القرن الرابع عشر الهجري .

النشاط الدراسي :

١ ـ اكتب تقريراً عن نشأة هذا العلم «علوم القرآن» وتطوره من المراجع التالية :

- «مقدمة البرهان» للزركشي .
- «مناهل العرفان» للزرقاني .
- «البيان في مباحث علوم القرآن» لعبدالوهاب غزلان .

٢ ـ ارجع إلى مقدمة كتاب «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي ولخصها بأسلوبك .

الـوحـــي

عناصر الدرس :

١ ـ تعريف الوحي .
٢ ـ الأدلة على وقوع الوحي .
٣ ـ كيفيات الوحي .

● الأنشـــطة

عرض الدرس :

١ ـ تعريف الوحي :

أ ـ الوحي لغة :

الإعلام مطلقا ، ولذا أُطلق على الكتابة والإشارة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي السريع .
يقال : وحيت إليه وأوحيت : إذا كلمته بما تخفيه عن غيره.

معاني الوحي في القرآن الكريم :

ورد مستعملاً بالمعنى اللغوي في عدة مواطن ، منها :
١ ـ الإلهام الفطري في الإنسان :
﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص : ٧]

٢ - الإلهام الغريزي :

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل : ٦٨]

٣ - الوحي إلى الملائكة :

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ [الأنفال : ١٢]

٤ - الوحي إلى الأنبياء :

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء : ١٦٣ - ١٦٥] .

٥ - الوحي بمعنى الإشارة :

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾ [مريم : ١١]

٦ - وسوسة الشيطان :

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام : ١١٢]

ب - الوحي شرعاً :

للعلماء تعريفات عدة ، منها :

إعلام الله تعالى لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام بما يريد إبلاغه لهم من شرع أو كتابة بالكيفية التي يريدها تعالى .

الأدلة على وقوع الوحي :

تتضافر الأدلة على إمكانية الوحي ووقوعه ، منها :

أولاً : من الكتاب الكريم :

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾

[الشورى : ٥١] .

ثانياً : من السنة المباركة :

قال ﷺ : «مامن الأنبياء نبي إلا أعطي مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً» (١) .

ثالثاً : من سيرته ﷺ :

ـ أحياناً كان ينقطع عليه الوحي كما في حديث الإفك، وبعد مضي شهر بأكمله لم يزد رسول الله ﷺ على أن قال : «ياعائشة ، أما إنه بلغني كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله»، حتى أنزل الله براءة عائشة رضي الله عنها.

ـ أحياناً كان يجيء الوحي مخالفا لما يميل إليه عليه

---

(١) صحيح البخاري (جـ ٣/١٦٠) الطبعة الأخيرة ١٣٧٢ هـ ، مكتبة الحلبي .

الصلاة والسلام، كقوله تعالى : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

- كما كان القرآن ينزل أحياناً بالأمر الذي لايستبينه رسول الله ﷺ ولا أصحابه حتى ينزل عليهم بيانه بعد، كما في قوله تعالى ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة : ٢٨٤] فانزعج الصحابة وداخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء آخر، حتى أنزل الله بيانها بقوله : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة ٢٨٦]، فعلموا أنهم إنما يحاسبون على مايطيقون.

رابعاً : عقلاً :

أ - الوحي ليس من قبيل الشعور النفسي أو الإشراق الروحي أو الإلهام الداخلي، فليس شيئاً من حالات الإلهام أو حديث النفس أو الإشراق الروحي يستدعي الخوف والرعب واصفرار اللون كما يحدث لرسول الله ﷺ عند تلقيه الوحي .

ب - الوحي ليس من قبيل الاستنتاجات النظرية أو التاريخية ، بل هو خبر نقل بواسطة سند متصل من الرواة، خلا أصحابه - بعد الدراسة لتراجمهم

وأحـــوالهم - عن أي تهمـــة تبعث الشـــك في كلامهم[1] .

كيفيات الوحي :

للوحي كيفيات متعددة حددها الكتاب والسنة ، وأهمها :

١ - إرسال الله الملك جبريل عليه السلام :

﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى : ٥١]

وتتضمن هذه الكيفية :

أ - أن يتراءى له في صورته الذي خلقه الله تعالى عليها :
قال ﷺ : «بينما أنا أمشي ، إذ سمعت صوتاً فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه» [2] .
ولم ير ﷺ - جبريل على صورته إلا مرتين : فقد جاء في صحيح مسلم عن مسروق ، قال : كنت متكئاً عند عائشة، فقالت : ياأبا عائشة (كُنْيَتهُ)، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت : ماهن؟ قالت : من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله

---

(١) محمد سعيد البوطي ، من روائع القرآن ، ص ٢٧ (٢) رواه البخاري ١/٤

الفـرية. قال : وكنت متكئـاً فجلست، فقلت : ياأم المؤمنـين أنـظريني ولاتعجـلي، ألم يقل الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير : ٢٣] ، ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٣] فقالت : أنا أول هذه الأمة من سأل ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : إنما هو جبريل، لم أره على صورتـه التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيتـه مهبـطا من السماء سادا عظم خلقه مابين السماء والأرض» [1] .

ب ـ أن يأتيه الوحي مثل صلصلة الجرس إيذاناً ببدء الوحي، وكان يسمع عند رأسه ﷺ ـ دوي كدوي النحل ، وكان يرافقـه شدة تعـتري الـرسـول التي يظهـر فيهـا العرق فيتصبب جبينه في اليوم الشديد البرد، وتبرك راحلته.

جـ ـ أن يأتيه جبريل فيتمثل له رجلاً فيخاطبه : [2] (كما جاء في صورة أعـرابي شديد بياض الثياب وسأله عن أمور الإسلام والإيمان والإحسان ، والساعة) .

ومما يدل على الحالتين الثانية والثالثة :

أخـرج البخـاري بسنده عن عائشة رضـي الله عنها ، قالت: إن الحـارث بن هشـام سأل الرسول ﷺ كيف يأتيك الـوحي ؟ فقـال : أحيانـاً يأتيني مثـل صلصلة الجـرس وهـو أشـده عليّ فيفصم عني وقـد وعيت عنه ماقال. وأحياناً يتمثل لي رجلاً فيكلمني فأعي مايقول.

---

(١) رواه مسلم ١/١١٠

(٢) رواه البخاري ١/١٩

قالت عائشة رضي الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وإنّ جبينه ليتفصد عرقا» [1] .

٢ ـ الكيفية الثانية : من وراء حجاب :

بسماع الكلام كسماع موسى عليه السلام ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [القصص : ٣٠].

٣ ـ الكيفية الثالثة : الإلقاء في القلب :

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ [الشورى : ٥١] وهذا الإلقاء يكون على وجه من العلم الضروري بأنه من الله تعالى بحيث لايستطيع دفعه ولايجد فيه شكاً.

وتتضمن هذه الكيفية :

١ ـ النفث في الروع [2] :

كما قال ـ صلى الله عليه وسلم : «إن روح القدس نفث في

---

(١) البخاري ١/٣

(٢) الرُّوع بالضم النفس ويفتحها الخوف .

روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ، خذوا ماحل ودعوا ماحرم» [1] .

٢ ـ الرؤيا الصادقة :

بأن يجيء الوحي في تحققه ووقوعه مثل فلق الصبح في تبلجه وسطوعه .

جاء في الصحيحين عن أول بدء الوحي عن عائشة قالت :

«أول مابديء به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال : اقرأ . فقال : ماأنا بقارىء وقد تلقى الرسول ﷺ القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام وهو في حالة الملك .

يقول د. أبو شهبة : «والذي نقطع به ـ والله أعلم ـ أن القرآن الكريم كله نزل في الحالة التي يكون فيها جبريل ـ عليه السلام ـ على مَلَكيَّتِهِ، وهذا هو الذي يليق بالقرآن الكريم ونفي أي احتمال أو تلبيس في تلقيه . .

---

(١) تفسير ابن كثير : دار المعرفة بيروت جـ ١٣١/٤

وأما ماجاء في الأحاديث الصحاح ، كحديث جبريل المشهور، وسؤاله النبي عن الإسلام والإيمان ، والساعة وأشراطها، فإنما هو في وحي السنة لا في وحي القرآن»...

إلى أن يقول : «فلو أنزل شيء من القرآن في الحالة، وهي مجيء جبريل عليه السلام في صورة رجل ، لكان هذا مثاراً للشك والتلبيس على ضعفاء الإيمان ، ولكان فيه مستند للمشركين في قولهم: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ (١) [النحل : ١٠٣].

ويقرر كذلك : أن القرآن الكريم لم ينزل منه شيء إلا عن طريق جبريل عليه السلام، ولم يأت شيء منه عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كُله أوحي به في اليقظة وحياً جلياً .

النشاط التقويمي :

١ ـ مادة كلمة الوحي تدل على مَعْنَيَيْنِ أصليين :
أ ـ ماهما ب ـ استشهد بأمثلة عليهما
٢ ـ يرى بعض المشككين أن في نسبة الرسول ﷺ القرآن الكريم إلى الوحي الإلهي مايعينه على استصلاح الناس واستجابتهم له إذ يكون لقوله من الحرمة والتعظيم مالايكون له لو نسبه إلى نفسه.

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٦٣ ، ٦٤

بين فساد هذا الرأي .

٣ ـ اشرح العبارة التالية :

«لاجرم أن الوحي القرآني إنما هو استقبال منه ﷺ لحقيقة ذاتية مستقلة خارجة عن كيانه وشعوره الداخلي، وبعيدة عن كسبه أو سلوكه الفكري أو العملي» .

٤ ـ نزل الوحي بكيفيات متعددة :

أ ـ ماهي ؟

ب ـ اذكر دليلاً على كل منها .

جـ ـ ما الحكمة من تعددها في نظرك ؟

د ـ على أي كيفية منها تلقى رسول الله ﷺ القرآن الكريم ؟

النشاط الدراسي :

١ ـ لخص ماجاء في «مناهل العرفان» للزرقاني حول «إمكان الوحي».

٢ ـ انظر كتاب «الوحي المحمدي» لمحمد رشيد رضا وقارن تعريف الشيخ محمد عبده للوحي بالتعريف الوارد في الدرس.

٣ ـ اكتب تقريراً من صفحتين عن :

أ ـ صدق ظاهرة الوحي .

ب ـ الوحي وصلته بالعقل .

نزول القرآن الكريم

عناصر الدرس :

١ ـ نزول القرآن الكريم .
٢ ـ تنجيم القرآن الكريم .

● الأنشـــطة

عرض الدرس :

أ ـ معنى النزول :

النزول لغة الحلول : يقال : نزل ينزل نزولاً ومنزلا ، أي حلّ، وتنزل أي نزل في مهلة .

أو الانحدار : يقال : نزل من علو إلى سفل أي انحدر .

والمراد من النزول وقد أضيف إلى القرآن : وصوله إلى النبي ﷺ وإعلامه به بالألفاظ والحروف الدالة عليه .

ب ـ تَنَزُّلاَتُ القرآن الكريم :

أولا : لقد سبق نزول القرآن الكريم على الرسول ﷺ

إثباته في اللوح المحفوظ قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج : ٢١/٢٢].

ثانيا : إنزاله إلى بيت العزة في السماء الدنيا : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ [البقرة : ١٨٤]، ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان : ٣]

وقد فسر ابن عباس وغيره أن المراد بنزول القرآن في تلك الآيات الثلاث نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا. قال ابن عباس: «فضل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ» (١) وعنه رضي الله عنهما قال : «أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم وكان الله نزله على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض» (٢) .

«وفي نزوله إلى السماء جملة تكريم بني آدم، وتعظيم شأنهم عند الملائكة، وتعريفهم عناية الله تعالى بهم ورحمته لهم» (٣) .

ثالثا : نزوله على رسول الله ﷺ منجماً.

---

(١) رواه الحاكم ٢/٢٢٣ (٢) رواه الحاكم ٢/٢٢٢

(٣) الاتقان ١/٤٠ ، ٤١

٢ ـ تنجيم القرآن الكريم :

أ ـ تعريفه وأدلته :

نجّم المال تنجيماً إذا أدّاه نُجُوماً أي متفرقاً، والمراد به هنا : تفريق القرآن الكريم على طول مدة نزوله شيئاً فشيئاً من حين بعث النبي ﷺ إلى وفاته في ثلاث وعشرين سنة على الأرجح .

ومن الأدلة : قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان : ٣٢] وقال : ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [الإسراء : ١٠٦].

ومن الأحاديث الصحيحة عن ابن عباس «أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر ، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة» ثم قرأ الآية ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ [الفرقان: ٣٣]. (١)

ب ـ مدة النزول :

اختلف العلماء في المدة التي استغرقها القرآن الكريم في النزول على أقوال ثلاثة ، ومصدر الخلاف اختلافهم في مدة إقامته عليه الصلاة والسلام في مكة بعد البعثة، هل كانت عشر سنين أم ثلاث عشرة سنة أو خمس عشرة سنة، مع اتفاقهم في مدة إقامته بالمدينة (عشر سنين).

---

(١) رواه البخاري جـ ٤/٥٧

والراجح ماروواه البخاري عن عائشة رَضِيَ الله عنها : «بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمره بالهجرة عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين»

جـ- كمية النازل في كل نجم :

أولا :كانت كمية النازل حسب الحاجة في كل نجم . فقد وردت أحاديث أنه أحياناً كان ينزل بعض آية ، كما في قوله تعالى : ﴿غير أُولي الضرر﴾ فقد نزلت وحدها في قوله تعالى : ﴿ لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [النساء : ٩٥] .

وأحياناً كانت تنزل آية من القرآن ، وأحياناً آيتان أو خمس أو عشر كما في حادث الإفك فقد نزل فيه عشر آيات جملة واحدة.

وأحياناً كانت تنزل السورة كاملة : كسورة النصر والمرسلات وغيرهما.

وهذا النهج في التشريع ميزة من مميزات المنهج الإسلامي وخصائصه، ويجعل الأحكام أخف على النفس مما لو نزلت دفعة واحدة، فيكون ذلك أدعى للامتثال والقبول.

والدليل مارواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : «إنما نزل أول مانزل منه سورة من المفصل ، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر، لقالوا: لاندع الخمر أبداً، ولو نزل، لاتزنوا لقالوا : لاندع الزنا أبداً» [1] .

ثانيا : تثبيت فؤاد النبي ﷺ :

فقد رَدّ القرآن على المشركين حين طلبوا نزول القرآن جملة كغيره فقال : ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢].

فقد دعا النبي ﷺ قومه إلى توحيد الله تعالى ، فلم يجد منهم إلا صدوداً واتهموه بالكذب واضطهدوه فكان تأييد الله له ، وكانت الآيات تنزل عليه تباعا تسلية له ، ولتزيل عنه ماأصابه من ضيق، ولتقوي قلبه، حتى يؤدي رسالته كاملة. وقد تحقق ذلك بأساليب متعددة منها :

* تذكيره بوعد الله بنصرة المؤمنين : ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾

[المجادلة : ٢١] .

* حثه على التأسّي بإخوانه الذين أوذوا فصبروا: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾

[الأحقاف : ٣٥] .

---

(١) رواه البخاري ١٥٢/٦

* **تنبيهه إلى مهمته :** ﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [المائدة : ٩٩] **وقد عاتبه على حزنه عليهم فقال :** ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف : ٦]

ثالثاً : تسهيل حفظ القرآن وفهمه :

لقد كان الرسول ﷺ أميّاً وكذلك كان الْعَرَبُ ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة : ٢] وكانوا مشغولين بتكاليف الدعوة الأخرى كالتبليغ ونشر رسالة الإسلام، ومعاشهم، ومع هذا كانوا يحرصون جميعاً على حفظه وتدبره، فمن الحكمة الإلهية للتيسير عليهم أن ينزل القرآن مفرقاً حتى يسهل حفظه واستيعابه، وليكون خير معين لهم على تدبره، وهذا أسلوب تربوي اختص به الإسلام منذ إشراقة نوره .

رابعا : الدلالة على الإعجاز :

في نزول القرآن منجماً دليل على إثبات الإعجاز الدال على صدق الرسول ﷺ ، فنظم القرآن كله واحد في المستوى الرفيع من الفصاحة والدرجة العالية من البلاغة.

مع كون الآيات نزلت في أوقات متباعدة، على حسب الوقائع المتكررة، وعلى الرغم من ذلك فقد بدت السورة ذات موضوعات متماسكة، وكأنها نزلت دفعة واحدة.

يقول الدكتور دراز : «ولسوف تحسب أن السبع الطوال قد نزلت كل واحدة منها دفعة واحدة حتى يُحَدِّثُكَ التاريخ أنها نزلت نجوماً» [1] .

خامسا : تبصير المسلمين بكثير من القضايا التي ماكانوا يعرفونها :

وفي ذلك نفع كبير لهم، ومن هذه المنافع :

أ ـ بيان واقع المنافقين حين يحذرهم المسلمون. وجاء ذلك في أكثر من موضع (المنافقون ـ التوبة ـ آل عمران ـ النساء ـ البقرة)

ب ـ لفت أنظار المسلمين وإرشادهم إلى الأخطاء التي قد يقعوا فيها، كما وقع في غزوة أحد ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ . [آل عمران : ١٢١]

---

(١) النبأ العظيم ص ١٧٣ ـ ١٨٠

جـ ـ مسايرة الوقائع التي تبين أحكاماً لم تكن معلومة من قبل : ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة : ١] فقد اشتكت خولة بنت ثعلبة زوجها إلى الرسول ﷺ فسمع الله شكواها وبين لهم الحكم .

د ـ مسايرة الأسئلة التي كانوا يوجهونها إما بقصد سيء كالمشركين واليهود أو بنية حسنة كالصحابة ومثال الأول : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ [الإسراء : ٨٥] .
ومثال الثاني : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

النشاط التقويمي :

١ ـ أكمل العبارات التالية :
أ ـ كانت تنزل السورة بجملتها كالفاتحة والمدثر و . . .
ب ـ النزول لغة الحلول أو . . . . .
جـ ـ نزل القرآن الكريم في مدة قدرها . . . . . سنة .

٢ ـ اذكر تنزلات القرآن الكريم، مبينا الحكمة من ذلك.

٣ ـ قارن بين حديث ابن عباس وحديث عائشة رضي الله عنهما في نزول القرآن الكريم .

٤ ـ نزل الكثير من آي القرآن الكريم جوابا عن سؤال أو حلاً لإشكال مثل :

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ ﴾ [الأنفال : ١]

﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ ﴾ [البقرة : ٢٢١].

أذكر مثالين على كل نوع من النوعين السابقين .

٥ ـ نقل القرآن بأساليب تربوية الحياة من الفوضى والتفلت إلى النظام والتقيد بالأحكام . اشرح العبارة السابقة .

٦ ـ الرسول ﷺ من أولي العزم من الرسل ، لكن كان لبشريته أثر بيّن في حياته، فكان لتنجيم القرآن الأثر الكبير في مواساته وتثبيته . وضح الترابط بين خصائص الرسول ﷺ وتنجيم القرآن الكريم .

٧ ـ لتنجيم القرآن الكريم دلالة على الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم .

أ ـ فسر هذه الدلالة .

ب ـ هل هناك دلالة على الإعجاز التشريعي ؟ بين ذلك .

النشاط الدراسي :

انظر التفاسير الآتية : تفسير كتاب الله العزيز، الطبري ،

الكشاف، في تفسير الآيات الآتية :

١ - ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢ ﴾ [البروج : ٢١/٢٢]

٢ - ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]

٣ - ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ [الإسراء : ١٠٦]

وبين علاقاتها بتنزلات القرآن الكريم .

ترتيب آي القرآن وسوره

عناصر الدرس :

١ ـ تعريف الآية .
٢ ـ ترتيب الآيات .
٣ ـ فوائد معرفة الآيات .
٤ ـ عدد آيات القرآن الكريم .
٥ ـ الفاصلة القرآنية .
٦ ـ تعريف السورة .
٧ ـ سور القرآن الكريم.
٨ ـ أقسام السور .
٩ ـ ترتيب سور القرآن الكريم .

● الأنشـــطة

عرض الدرس :

١ ـ تعريف الآية :

أ ـ لغـــة :

الآية في اللغة لها معانٍ متعددة ، ولكنها متقاربة :

١ ـ فيراد بها العلامة ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾[البقرة : ٢٤٨] أي علامـــة ملكـــه . و ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾ [مريم : ١٠] أي علامة .

٢ ـ ويراد بها المعجزة : ﴿ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الإسراء : ٥٩] .
﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾
[غافر : ٧٨].

٣ ـ العبرة : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
[النحل : ٦٩] وهو كثير في التنزيل .

٤ ـ الأمر العجيب : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾
[المؤمنون : ٥٠] .

٥ ـ الدليل : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾
[الشورى : ٣٢] .
﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [الروم : ٢٠]

٦ ـ وقد تطلق على الجماعة : يقال : خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم .

٧ ـ وقد تطلق على البناء المرتفع : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٨]

ب ـ اصطلاحاً :

طائفة من القرآن ذات مبدأ ومنتهى ، مندرجة في سورة ،

يسمى آخرها فاصلة .

ومعناها الاصطلاحي وثيق الصلة بالمعنى اللغوي ، فالآية علامة على نفسها، وفيها العبرة، وهي معجزة ، وأمر عجيب لسمو تشريعها ، وهي دليل على صدق النبي ﷺ ، وهي مكونة من جمع من الحروف، وهي ذات منزلة ومكانة .

٢ ـ ترتيب الآيات :

ترتيب الآيات في القرآن الكريم توقيفي عن رسول الله ﷺ ، حيث كان ينزل جبريل عليه السلام بالآيات على رسول الله ﷺ، ويرشده إلى موضعها من السورة أو الآيات التي نزلت قبلها، وكان ﷺ يأمر كتبة الوحي بكتابتها ويقول لهم: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا أو كذا، أو ضعوا آية كذا في موضع كذا .

أخرج أحمد بإسناد حسن عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال : «أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل : ٩٠] .

وثبت عن رسول الله ﷺ قوله : «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصِمَ من الدجال» وفي لفظ «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف» (١) وأحاديث أخرى تدل على فضل بعض آيات من بعض السور .

---

(١) رواه مسلم .

٣ ـ فوائد معرفة الآيات :

هناك فوائد عديدة أهمها :

أ ـ معرفة الوقوف عند نهاية كل آية لأنه من السنة ، بحيث كانت أكثر قراءته ﷺ كذلك .

ب ـ الإعانة على صحة الصلاة حيث لاتصح الصلاة بأقل من آية أو ثلاث .

جـ ـ تيسير الحفظ على من يحفظ شيئاً من كتاب الله عز وجل .

٤ ـ عدد آيات القرآن :

اعتنى العلماء عناية عظيمة بمعرفة عدد الآيات، حتى صار علماً مستقلاً بذاته يدرس مع علوم القراءات . وآيات القرآن ليست سواء، فمنها الطويل والقصير ، ومنها ماينتهي عنده المعنى ومالیس كذلك.

ومثاله : ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات : ١٣٧ ، ١٣٨] . فالكلام لم ينته عند قوله تعالى: ﴿مصبحين﴾ رأس الآي.

ومنها مايتفق مع الفاصلة من حيث الجرس والنهاية ، ومنها ماليس كذلك .

وقد فصل علماء عدِّ الآي، عدد الآيات في كل سورة، وإنما اختلفوا باختلاف العادِّين. وقد نسبوا العد إلى خمسة بلدان:

مكة المكرمة ـ المدينة المنورة ـ الكوفه ـ البصرة ـ الشام .

ولأهل المدينة عددان : المدني الأول ـ والمدني الثاني ـ وأهل كل بلد ينسبون عددهم إلى أحد التابعين أو الصحابة رضوان الله عليهم. ومن هنا نشأ الاختلاف في عدد الآي.

وهم مجمعون على أن عدد آي القرآن الكريم ستة آلاف ومئتان وبعض المائة وهو الذي فيه الاختلاف .

فهو في المدني الأول سبع عشرة، وفي المدني الأخير أربع عشرة، وفي عدد المكي عشرون، وفي عدد البصري خمس وفي عدد الكوفي ست وثلاثون وفي عدد الشامي ست وعشرون .

والسبب الرئيسي في اختلافهم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقف في قراءته غالبا عند رؤوس الآي، وبذلك تعلم منه الصحابة رؤوس الآي، ولكنه أحياناً يقف على غير رأس الآي لبيان الجواز، فيحسب بعض الصحابة ممن لم يسمعوه وقف على رأس الآي سابقا ـ أن هذه الكلمة التي وقف عليها هي رأس الآي .

وهناك سبب آخر هو اختلافهم في عدّ «بسم الله الرحمن الرحيم» من عدد آيات السورة . ومثالين على ذلك :

١ ـ سورة الفاتحة :

أجمعوا على أنها سبع آيات .
فقد أخرج البخاري وأبو داود والنسائي عن أبي سعيد، قال :

«كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ ، فلم أجبه، ثم أتيته فقلت : يارسول الله : إنيّ كنت أصلي . فقال : ألم يقل الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ . .﴾ [الأنفال : ٢٤] ، ثم قال لي: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ؟ قال: الحمد لله رب العالمين .. هي السبع المثاني ، والقرآن العظيم الذي أوتيته» (١) .

إلا أنهم اختلفوا في تعيين بعض هذه الآيات :

فمن عد «بسم الله الرحمن الرحيم» آية. كان مابعدها ست آيات. ومن لم يعد البسملة آية جعل ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ آية . ومابعدها آية .

٢ - سورة العصر :

اتفقوا على أنها ثلاث آيات ، إلا أن بعضهم عد قوله تعالى : ﴿والعصر﴾ آية .

والآخرون جعلوا قوله تعالى : ﴿وتواصوا بالحق﴾ آية .

---

(١) اخرجه البخاري ١٩١٣/٤

٥ ـ الفاصلة القرآنية :

الفواصل هي أواخر كلمات الآي ، كالسجعة والقافية. وقد سمي آخر آي القرآن فواصل من قوله تعالى : ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ . [فُصِّلَتْ : ٣] ابتعاداً عن أن تسمى سجعاً، ولايجوز تسميتها قوافي إجماعاً .

ولمعرفة الفاصلة القرآنية طريقان :

أ ـ أحدهما توقيفي :

كأن يثبت أن النبي ﷺ ـ وقف على كلمة معينة ، فعن أم المؤمنين ـ أم سلمة رضي الله عنها ـ أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ قطع قراءته آية آية . يقول : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم .﴾

ب ـ والآخر قياسي :

وهو إلحاق النظير بالنظير ، وذلك موجود في أكثر فواصل القرآن، لأن أكثر السور جاء على فاصلة واحدة، ولامحذور في ذلك لأنه لازيادة فيه ولانقصان .
والأصل في الفاصلة ـ غالبا ـ أن تكون مساوية للطرفين. أي ماقبلها ومابعدها.

فقد أجمعوا على أن «المقربون» في قوله سبحانه : ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء ١٧٢] ليست فاصلة، وذلك لمخالفتها للفاصلتين قبلها وبعدها. وهي : ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ وبعدها :

﴿فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ .

كما أجمعوا على أن ﴿الحي القيوم﴾ ليست فاصلة مع أنهم عدوها فاصلة في أول آل عمران واختلفوا فيها في آية الكرسي. وانما لم تعد فاصلة في سورة طه لأنها ليست مساوية لما قبلها ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ ولا لما بعدها ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه : ١١١/١١٠]

٦ ـ تعريف السورة :

أ ـ لغة :

يرى البعض أن الواو منقلبة عن همزة . والأكثرون على أنها أصلية.

فالسورة بمعنى السؤر :
إن كانت واو الكلمة منقلبة عن همزة، وهو مَابَقِيَ من الشراب، فهو قطعة منه، وعلى هذا فقد سميت السورة كذلك لأنها قطعة من القرآن الكريم .

وإن كانت الواو أصلية :

فإما أن تكون مأخوذة من سور البناء وهو المنزلة، وعليه فالسورة هي منزلة من منازل القرآن، كأن كلَّ من قرأ سورة صعد منزلة.

وإما من سور المدينة المحيط بها، وعلى هذا سميت السورة سورة لإحاطتها بآياتها، وماشاء الله أن يكون من معانٍ وألفاظ، ومنه السوار لإحاطته بالساعد .

ب - اصطلاحاً :

السورة في الاصطلاح «طائفة من القرآن لها بداية ونهاية ، واسم خاص بها يميزها ؛ بتوقيف من النبي ﷺ» .

٧ - سور القرآن الكريم :

أ - عدد السور :

أجمع المسلمون على أن عدد سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة، تبدأ بسورة الفاتحة وتنتهي بسورة الناس.

ب - أسماء السور :

لكل سورة اسم تنفرد به ، وبعضها ذات اسم واحد، وبعضها لها أكثر من اسم، وبالنظر يمكن إدراك الصلات بين ماتعدد من أسماء السور مثل :

سورة الإسراء التي سميت بني إسرائيل .
سورة محمد ﷺ التي سميت القتال .
سورة غافر التي سميت سورة المؤمن .
وقد تسمى السورة باسم أولها «تبارك» و«الحاقة»، أو باسم حادثة كسورة «البقرة» و«الكهف»، أو باسم موضوع فصّل فيها كسورة «النساء» و «الأنعام» .
ـ وأسماء سور القرآن الكريم توقيفية، كقوله ﷺ : «اقرءوا الزهراوين : البقرة وآل عمران» .
ولابأس لمن أحسن تدبر سور القرآن الكريم استنتاج بعض ماامتازت به كل سورة ، على أن لايكون ذلك بديلاً للاسم التوقيفي .
ومثاله :
سورة الحجرات حري أن تسمى سورة الآداب . وسورة العنكبوت جديرة أن تسمى سورة الدعاة ، لما فيها ـ من بدايتها إلى نهايتها ـ من حثّ للدعاة على الثبات على الدين؛ فأولها ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت : ٢] وخاتمتها : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا . .﴾ [العنكبوت : ٦٩].
وكذلك سورة الفرقان حري بها أن تسمى سورة «الشبهات» .
وسورة النحل : سورة النعم . .

جـ ـ حكم تسوير القرآن :

يهدف القرآن الكريم إلى تربية الإنسان التربية الإيمانية

الكاملة، بآياته وسوره ، ومن حكم تسوير السور في القرآن الكريم :

١ ـ أن تكون كل سورة فنا مستقلا لها مزاياها وخصائصها وموضوعاتها .

٢ ـ التنبيه على أن كل سورة معجزة بذاتها ، إذ أن الإعجاز ليس وقفاً على السور الطوال .

٣ ـ تنشيط القارئين ، وتسهيل الحفظ والفهم .

٨ ـ أقسام السور :

قسم العلماء سور القرآن الكريم من حيث الطول والقصر إلى أربعة أقسام هي :

١ ـ الطوال :

جمع طُولَىَ وهي سبع : البقرة ـ آل عمران ـ النساء ـ المائدة ـ الأنعام ـ الأعراف . أجمعوا على هذه الست . ولكنهم اختلفوا في السابعة :

أ ـ بعضهم رأى أنها «الأنفال وبراءة» معاً، لأنهما تشبهان السورة الواحدة . ولأن موضوعهما واحد هو الجهاد، ولأنه ليس بينهما «بسم الله الرحمن الرحيم» .

ب ـ بعضهم قال : بل هي سورة يونس .

فالأنفال وبراءة سورتان ، فتكون الطوال ثمانياً وهو غير

مسلم . وسورة يونس لها مثيل في طولها ولاتعد من السبع الطوال ، كسورة النحل وهي أطول منها .
والراجح أن السابعة هي سورة براءة لأنها أطول السور بعد السور الست .

٢ ـ المئون :

وهو (القسم الثاني) مايلي الطوال ، وهو مازاد عن المئة آية [١] .

٣ ـ المثاني :

وهو مادون المئين ، فكأن الطوال والمئين مباديء ، وهذه مثاني .

٤ ـ المُفصّل :

وهو مادون المثاني ، واختلفوا في تحديد أوله :
قيل : يبدأ بسورة «ق» .
وقيل : بسورة «الحجرات» .
وقيل : أوله سورة «محمد» ﷺ .
وهذا القسم ينقسم إلى :

---

(١) وهي بضع عشرة سورة وهي : ١ ـ الأنفال ٢ ـ يونس ٣ ـ هود ٤ ـ يوسف ٥ ـ النحل ٦ ـ الاسراء ٧ ـ الكهف ٨ ـ طه ٩ ـ الأنبياء ١٠ ـ القصص ١١ ـ الحج ١٢ ـ الأحزاب ١٣ ـ غافر .
وهذا اعتماداً على عدد صفحات المصحف .

١ ـ طوال المفصّل : إلى سورة البروج
٢ ـ أوساطه : إلى سورة البينة .
٣ ـ قصاره : إلى سورة الناس .

ومما ينبغي ملاحظته :

١ ـ أن هذا التقسيم ليس تابعا لترتيب السور في المصحف. فمثلاً سورة الأنفال تفصل بين السورة السادسة والسابعة من قسم طوال السور، وكذلك المئون يفصل بينها ماليس منها، فسورة الحجر جاءت قبل سورة النحل مع أن الحجر أقصر من النحل التي هي من المئين. فالتقسيم إذاً لايخضع للترتيب .

٢ ـ أن أمر العدد لا يؤخذ على إطلاقه، فإن هناك سوراً يقرب عدد آياتها من المئين، ولاتعد كذلك كالصافات مثلاً (١٨٢ آية) وهي من المثاني. وهناك سور أقل عدداً من المئين كالنحل مع أن آياتها ١٢٨ إلا أنها من حيث المساحة في المصحف ضعف سورة الصافات.

٩ ـ ترتيب سور القرآن :

ذهب جمهور العلماء إلى أن ترتيب سور القرآن توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه ، مستدلين بأدلة منها :

ـ النوع الأول :

١ ـ قوله صلى الله عليه وسلم : «اقرءوا الزهراوين البقرة

وآل عمران» [1] .

٢ - عن عائشة أنه ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما : قل هو الله أحد . . وقل أعوذ برب الفلق . . وقل أعوذ برب الناس . . ثم يمسح بهما مااستطاع من جسده» [2] .

٣ - عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : «بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء» هن العتاق الأول ، وهُنَّ من تلادي» [3] .

٤ - عن سعيد بن خالد : قرأ رسول الله ﷺ السبع الطوال في ركعة، وكان يجمع المفصّل في ركعة .

٥ - عن عبدالله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : «اقرأ القرآن في شهر، فقلت إني أجد قوة، حتى قال : «في سبع ولاتزد على ذلك» [4] .

٦ - حديث أوس بن حذيفة : «قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف ، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال : «إنه طرأ عَلَيَّ حزبي من القرآن، فكرهت أن أجيء حتى أتمه» قال أوس :

---

(١) رواه مسلم ٥٠٣/١
(٢) رواه البخاري ٦٣/٩
(٣) رواه البخاري ٣٨/٨
(٤) رواه أحمد ١٦٣/٢

فسألت أصحاب النبي ﷺ : كيف تحزبون القرآن ؟ فقالوا: ثلاث، خمس، سبع، تسع، إحدى عشرة، وثلاث عشرة. وحزب المفَصَّل وحده . [1] .

- النوع الثاني :

١ - مايرجع إلىَ ترتيب المصحف الآن، فإن الناظر في المصحف يصعب أن يستنبط قاعدة رُتبت على أساسها سور القرآن الكريم.
فالسور منها المكي والمدني ، والطوال والقصار ، وبين ذلك، ولكل سورة موضوعاً، فلو كان الترتيب اجتهادياً لكانت هناك قاعدة رُتبت سور القرآن على أساسها .
فمثلاً . . بعض السور القصار جاءت بين السور الطوال كالأنفال جاءت بين الأعراف والتوبة . وسورة الحجر جاءت قبل سورة النحل مع أنها أطول منها ، وكذلك سورة السجدة قبل سورة الأحزاب مع أنها أطول كثيراً .
وهناك سور مدنية جاءت بين سور مكية، سورة النور أحاطت بها سور مكية قَبْلَهاَ (المؤمنون) وبعدها (الفرقان).
فلوكان الترتيب اجتهادياً ، كانت ستراعى مثل تلك الأحوال.

٢ - لو كان الترتيب اجتهادياً لوجب أن تراعى النظائر، إلا أن مثل هذه القاعدة غير مضطردة، فالحواميم السبعة رُتبت معاً

---

(١) رواه ابن ماجة ١/٤٢٧

متناسقة، بينما المسبحات (يُسبحُ وَسَبَّحَ)، وهي خمس سور لم ترتب مثل الحواميم، بل فصل بينها (بين الحديد والحشر فَصَلَتْ سورة المجادلة) ، ولو كان الرأي بالاجتهاد فليس ترتيب الحواميم بأولى من ترتيب المسبحات، ويقال هذا في كثير من السور، فالسور التي ابتدأت بالحروف المقطعة لم تأت مرتبة كذلك، وعلى هذا فإن مثل هذا الترتيب لامجال للرأي فيه.

النشاط التقويمي :

١ - وضح الصلة بين المعنى الاصطلاحي للآية والمعنى اللغوي لها.

٢ - بَيّن الصلة بين المعنى الاصطلاحي للسورة والمعنى اللغوي لها.

٣ - اشرح العبارة التالية :
أجمع العلماء على أن آي القرآن الكريم ستة آلاف ومئتان، وبعض المائة وهو الذي وقع فيه الاختلاف.

٤ - قسم العلماء سور القرآن الكريم من حيث الطول والقصر أربعة أقسام، صنف السور التالية إلى أقسامها الأربعة :
الكهف ، الواقعة ، آل عمران ، يوسف ، الرحمن ، الحجرات، الأنبياء ، المائدة ، المدثر ، غافر ، الجاثية، النحل.

٥ ـ ترتيب الآيات توقيفي وكذلك ترتيب السور، استشهد بأدلة على ذلك .

٦ ـ لمعرفة الفاصلة القرآنية طريقان ، اشرحهما، وعلل ذلك.

٧ ـ في معرفة ترتيب الآيات والسور فوائد فقهية وتربوية. اشرح هذه الفوائد .

جمع القرآن الكريم

عناصر الدرس :

١ ـ معنى الجمع .
٢ ـ جمعه في عهد الرسول ﷺ .
٣ ـ جمعه في عهد أبي بكر رضي الله عنه .
٤ ـ جمعه في عهد عثمان رضي الله عنه .

● الأنشطة

عرض الدرس :

١ ـ معنى الجمع :

أ ـ الجمع لغة :

الاستقصاء والإحاطة بالشيء .
تقول : جمع فلان علم كذا ، إذا استوعبه وأحاط بمسائله .
ويكون هذا بطريقتين ؛ هما : الحفظ والكتابة
فمن الأول : قول عبدالله بن عمرو (جمعت القرآن فقرأتُ به كُل ليلة) أي حفظته .
ومن الثاني : قول أبي بكر رضي الله عنه لزيد بن ثابت رضي الله عنه : «تَتَبّع القرآن فاجمعه» أي اكتبه كله .

٢ ـ جمع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم :

نزل القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة، وكان ﷺ يعجل بالقرآن حين يتلوه عليه جبريل عليه السلام خشية أن يفوته شيء. فأنزل الله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ [القيامة : ١٧/١٦] فكان في ذلك طمأنينة للنبي ﷺ ـ أنه لن يفوته شيء من القرآن الكريم .

والجمع في عهد الرسول ﷺ تضمن الطريقين السابقين ، وهما : الحفظ في الصدور و الكتابة في السطور .

أ ـ جمعه بمعنى حفظه في الصدور :

ساعدت عوامل كثيرة على تلاوة القرآن الكريم ، وحفظه وتعليمه للآخرين ، ومن هذه العوامل مايرجع إلى العرب /أو إلى الرسول ﷺ/ أو إلى الصحابة /أو إليه معهم .

١ ـ فمن العوامل التي ترجع إلى ظروف العرب :

أ ـ بيئتهم الطبيعية وصفاء قرائحهم، فكان تهيؤهم للحفظ أقوى، واستعدادهم له أكمل .

ب ـ بعدُهم عن الترف ، واقتناعهم بضروريات الحياة وهجرهم للمشاغل المادية .

٢ ـ ومن العوامل الخاصة بالرسول ﷺ :

أ ـ تلقيه القرآن عن جبريل عليه السلام، مع أن الله تعالى ضمن له جمعه في صدره .

ب ـ إملاؤه القرآن على كُتّاب الوحي، وفي هذا تثبيت له في صدره .

جـ ـ معارضة جبريل عليه السلام له ـ ﷺ ـ بالقرآن في شهر رمضان من كل عام مرة، وفي العام الأخير عارضه إياه مرتين .

٣ ـ ومن العوامل الخاصة بالصحابة رضي الله عنهم :

أ ـ أُميةُ الصحابة ، فوسيلتهم للمعرفة هي الرجوع إلى القرآن الكريم عن طريق الرسول ﷺ ومن ثم حفظه.

ب ـ ماأعده الله من أجر لِقَارِىء القرآن في الدنيا . كما قال ـ ﷺ ـ : «اقرءوا القرآن ؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه» .

جـ ـ ومنها مفاضلة الرسول ﷺ بينهم بالقرآن الكريم، فيقدم الأحفظ للقرآن، كما قال : «يؤمُّ القَوْمَ أقْرؤهم لِكِتَابِ الله» .

٤ - ومن العوامل المشتركة :

أ - الخصائص البلاغية ، والمزايا البيانية المتوافرة في كتاب الله عز وجل .

ب - مافي تلاوته من أجر عظيم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر : ٢٩] .

جـ - ماروي من الوعيد الشديد لمن حفظ شيئاً من القرآن ثم نسيه .

روى الربيع : لكل ذلك أقبل الصحابة على حفظه، واشتهر منهم : الخلفاء الأربعة وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وعبدالله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة .

وروى البخاري أن النبي ﷺ قال : «خذوا القرآن من أربعة : عبدالله بن مسعود ، وسالم ، ومعاذ وأبيّ بن كعب» .

ب - جمعه بمعنى كتابته :

كان كلما نزل شيء من القرآن الكريم أمر ﷺ كُتَّاب الوحي بكتابته. روي عن عثمان بن عفان : «كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من السور ذوات العدد، فكان إذا

نزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب عنده فيقول : ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا» [1] .

وقد اعتنى الصحابة رضوان الله عليهم بكتابة القرآن ، ووجّه النبي ﷺ كتبتهم نحو كتابته، ونهاهم أن يكتبوا شيئاً غيره: «لاتكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه» [2] .

وقد علّل العلماء النهي خشية الاختلاط بالحديث ، وهو تعليل غير مُسلّم، لأن أسلوب القرآن فريد يمتاز عن أساليب البشر، والصحابة عرب خُلّصٌ يُميزون كلام الله عن كلام غيره. فالنهي إنما كان لغرض أن يخص الصحابة القرآن الكريم بالعناية، ولايشغلهم أي شيء عنه .

وقد اعتنى الصحابة أيضاً بكتابة القرآن الكريم مرتب الآيات (توقيفي)، وسبب كتابته في عهده ﷺ هو المحافظة على النص القرآني من أن يطرأ عليه تغيير، إذ لاتحل روايته بالمعنى، لأنه معجز بلفظه، متعبد بتلاوته. فكان لابد من الاحتياط في ضبط ألفاظه وصيانته بالكتابة مع الحفظ.

لم تكن الكتابة في المدينة وحدها ، ولكنها بدأت في العهد المكي، وإنما امتازت الكتابة في المدينة لأنها كانت موطن استقرار المسلمين، كما أن الكتابة لم تقتصر على مانزل في المدينة، بل كان يكتب مانزل في العهد المكي كذلك. وعليه فإن القرآن كله كتب في عهده ﷺ .

---

(١) رواه الترمذي

(٢) صحيح مسلم .

الأدوات التي كتب عليها :

١ ـ العُسُب :

جمع عسيب (جريدة النخل) يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض .

٢ ـ اللِّخَاف :

مفردها لخفة وهي الحجارة الدقاق ، أو صفائح الحجارة .

٣ ـ الأكتاف :

جمع كَتِف ، وهو عظم عريض يكون في أصل كتف الحيوان في الناس والدواب (هو العظم الذي للبعير أو الشاة) .

٤ ـ الأضلاع

٥ ـ الأقتاب :

الخشب الذي يوضع على ظهر البعير، ليركب عليه .

٦ ـ الرقاع :

جمع رقعة ، وقد تكون من جلد أو ورق أو غيره .

٧ ـ الصحف :

جمع صحيفة ، وهي قطعة من جلد أو قرطاس يكتب فيه .

ولم يجمع القرآن في عهده ﷺ لأسباب :

١ ـ أنه كان ينزل شيئاً فشيئاً، فكتابته في مصحف واحد أمر غير ميسر .

٢ ـ كان صلى الله عليه وسلم يترقب نسخ بعض الآيات ، والمنسوخ تلاوة لابد أن يُمحى، ويحلَّ محله مانسخه .

٣ ـ كانت الآيات تنزل في السور الكثيرة حسب الدواعي بلا ترتيب ثم يعلم ترتيبها، فلو كتب كل شيء عقب نزوله في المصحف لكان لابد من إعادة كتابته . وفي هذا مشقة .

وقد اتخذت الكتابة في عهده ﷺ ـ نمطين اثنين :

١ ـ الكتابة الرسمية بواسطة كُتّاب الوحي بين يديه ﷺ .

٢ ـ الكتابة الخاصة التي كان يكتبها بعض الصحابة لأنفسهم .

روى البخاري ـ بسنده ـ عن فاطمة رضي الله عنها : «أسَرَّ إليَّ النبي ﷺ أن جبريل يعارضني بالقرآن كل سنة ، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي» [1] وهذا العرض لم يكن في المدينة فحسب بل كان في مكة كذلك، ولم ينتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلا وقد كان القرآن كله محفوظاً في الصدور مكتوباً في السطور .

---

(١) صحيح البخاري ٤/١٩١١

٣ ـ جمعه في عهد أبي بكر رضي الله عنه :

قامت الحروب في عهد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ مع المرتدين، فاستشهد في اليمامة أكثر من سبعين صحابياً من الحفظة [١] ، فراع ذلك عمر، وأشار بجمع القرآن خشية ضياعه.

أخرج البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : «أرسل إليّ أبو بكر الصديق مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر رضي الله عنه : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد اسْتَحَرَ يوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى إن استحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ـ ﷺ ـ ؟ قال عمر : هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ، ورأيت في ذلك الذي رأى عمر .

قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لانتّهمك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ماكان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن . قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعّتُ القرآن

---

(١) ذكر القرطبي أنه استشهد أكثر من سبعمائة من القراء في هذه الواقعة (القرطبي ١/٥٠)

أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره : ﴿لقد جاءكم . .﴾ حتى ﴿خاتمة براءة﴾، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة رضي الله عنهم [1] .

وجاء في رواية أخرى عند البخاري ، أن الآية التي فقدت من سورة الأحزاب ، فعن زيد بن ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتَمسنَاهَا فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ . . . . .﴾ [الأحزاب : ٢٣].
فألحقناها في سورتها في المصحف . [2]

وروى ابْنُ أبي داود عن هشام عن عُرْوَةَ أنَّ أبا بكرٍ قال لعمر وزيد رضي الله عنهما ؛ اقْعُدَا على باب المسجد، فَمَن جَاءَكُمَا بشاهِدَيْن على شَيْءٍ مِن كتاب الله فَاكْتُبَاهُ».

ومن هذه الروايات يتبين :

أولا - أن الجمع في هذا العهد اعتمد الأمرين ، النقل من الأشياء التي كتب فيها ، في عهد الرسول - ﷺ - أولا ، والأخذ من الحفاظ ثانياً ، وهذا مايدل عليه قول زيد : فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال .

---

(١) صحيح البخاري ١٩٠٧/٤

(٢) صحيح البخاري (١٩٠٨/٤) ومسند الإمام احمد (١٨٨/٥)

ثانيا - وقع اختيار أبي بكر الصديق على زيد رضي الله عنهما، لوجود بعض الصفات التي تؤهله للقيام بهذه المهمة ، منها : الشباب ، والقوة حتى لاتفتر عزيمته أثناء عمله، لأنه يحتاج إلى صبر ، والعقل والفطنة حتى لايقع أي نقص، والأمانة والتقوى ، ولأنه حضر العرضة الأخيرة .

ثالثا - ابتدأ زيدٌ ومعه جماعة من الصحابة بتنفيذ مهمته، ولم يكتف بمجرد وجود الآيات مكتوبة، بل كان يطلب لكل مايجده مكتوباً شاهدين .

ونقل السيوطي عن السخاوي أنه قال : «المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب من الوجوه التي نزل بها القرآن، أو المراد أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ» .

وعن أبي شامة قال : «كان غرضهم ألا يكتب إلا من عين ماكتب بين يدي النَّبي ﷺ» [1] .

والجدير بالذكر أن المراد بالشهادة ، الشهادة على الكتابة وليس على القرآنية، لأن القرآنية لم تكن موضع شك حتى تحتاج إلى شهادة، لكثرة الحفاظ في ذلك الوقت وذكر أن المقصود بالشاهدين الحفظ والكتابة .

---

(١) الاتقان : جـ ١ (٧٦ - ٧٧)

رابعاً - قول زيد بن ثابت رضي الله عنه إن الآيتين من سورة التوبة والآية من سورة الأحزاب لم يجدهما إلا مع أبي خزيمة، ولايعقل أن يكون هو وحده الكاتب والحافظ لها، فلايمكن أن يكون النبي ﷺ قد بلغها له وحده لأن الواحد يمكن أن ينسى .

والصحيح ؛ أنه لم يجدهما مكتوبتين عند أحد غير أبي خزيمة، وهذا لاينافي أنهما كانتا محفوظتين عند كثير من الصحابة، فيكون الذي تفرد به أبو خزيمة الكتابة وحدها ويكون إثبات الصحابة لهما في المصحف قد استند إلى حفظ كثير من الصحابة[1] .

وقد جمع القرآن في مصحف واحد في هذا العهد، بقي عند أبي بكر، ثم بعد وفاته بقي عند عمر، ثم عند حفصة ابنته رضي الله عنهم، وقد تميز هذا المصحف بمطابقته المطلقة للنص المنزل على النبي ﷺ وهو يخلو من أي إضافات، كالتي كان بعض الصحابة يضيفونها إلى مصاحفهم الخاصة، كتفسير كلمة في الحاشية، حتى أن هذا المصحف خلا من أسماء السور .

يقول الدكتور دراز : «وفضلاً عن كماله ـ المصحف ـ المطلق ، يتميز أول مصحف رسمي (الذي يمكن أن

---

(١) فتح الباري ١١/٩

نشبهه بملف يجمع صحفاً مرتبة وغير مجلدة) عن النسخ الأخرى الكاملة أو الناقصة التي كانت عند الأفراد ، لمطابقته المطلقة للنص المنزل ، إذ استبعد منه كل مالم يتضمنه النص الأصلي طبقاً للعرضة الأخيرة ، فبينما ابن مسعود أو أبيّ بن كعب كانا في بعض الأحيان يكتبان من الذاكرة على مصحف كل منهما، فيضيفان كلمة قد ترجِعُ إلى تاريخ سابق، أو قد يوضحان في الهامش أو بين السطور، ـ وغالبا بلون مختلف ـ بعض التفسيرات، أو بعض أدعية الصلاة الخارجة عن النص، فإن المصحف الرسمي يخلو حتى من أسماء السور، ولكن رغم قيمة هذا المصحف العظيمة، ورغم مايستحقه من العناية التي بذلت في جمعه، فإن مجرد بقائه محفوظاً عند الخليفتين الأولين، أسبغ عليه الطابع الفردي أو الشخصي بعض الشيء، ولم يصبح وثيقة للبشر كافة إلا في يوم نشره، لكن فرصة نشره لم تتح إلا في خلافة عثمان رضي الله عنه [1] .

رحم الله أبا بكر فقد قال عنه علي كرم الله وجهه : «أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر» وهو أول من جمع بين اللوحين [2] .

---

(١) مدخل إلى القرآن الكريم د. محمد عبدالله دراز ص ٣٧

(٢) المصاحف (١/١١)

رابعا ـ جمعه في عهد عثمان رضي الله عنه :

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه بعد توالي الفتوحات وكثر الداخلون في الإسلام من العرب والعجم، وانتشر الصحابة في البلدان، وكانوا يقرءون أهل تلك البلدان، وانتشرت قراءاتهم المتعددة، فكان من أهل الأمصار من يقرأ بقراءة ابن مسعود أو أبيّ بن كعب، أو غيرهما . .

ومن هنا بدأت الاختلافات بين التابعين ، وصار إذا سمع أحدهم قراءة الآخر كَفَّرهُ، وقال : قراءتي خير من قراءتك. ولاشك أن هذا يؤدي إلى كثير من الفتن ولذا قام عثمان رضي الله عنه بتوحيد المسلمين على مصحف واحد .

أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه قال : «إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال : ياأمير المؤمنين، أدْرِكْ هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة، أن أرسِلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردُّها إليكِ، فأرسلتها، فأمر زيداً، وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحارث ابن هشام، فنسخوها، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا أختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أُفُق

بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أن يحرق» [1] .

ومن هذه الرواية يتبين عظم هذا الاختلاف بين التابعين. وسبب الاختلاف :

أولا - جهل كثير منهم أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، لاحرف واحد، مما جعل أهل كل بلد يتمسكون بالقراءة التي أخذوها عن الصحابي الموجود عندهم .

ثانيا - عدم وجود مصحف متفق عليه بين المسلمين. يلتزمون بما فيه فقط ، ولايخرجون عنه، ومع أنه كان هناك المصحف الذي جمعه أبو بكر، لكنه لم ينشر.

ومن هنا رأى عثمان ـ حتى يحفظ على المسلمين إيمانهم بكتابهم ، ويصون القرآن من المراء فيه ـ أن يجمع الناس على مصحف واحد، يتقيدون به في كتابة القرآن وتلاوته . وأن يزيل مايخالف المصحف الذي يأمر الناس بالتزامه .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن جـ ٤ /١٩٠٨.

وقد نسخ المصاحف بلهجة قريش، وأحرق ماسوى ذلك من الأحرف التي نزل عليها القرآن الكريم، وأمر بحرق المصاحف التي كانت بأيدي الصحابة، ولم يكن هذا برأيه وحده، وإنما كان بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم. فقد روي عن علي كرم الله وجهه: «يامعشر الناس ؛ اتقوا الله عز وجل ، وإيَّاكُمْ والغلو في عثمان وقولكم حرّاق المصاحف، فوالله ماحرقها إلا عن كلامنا أصحاب محمد ﷺ ، ووالله لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت مثل الذي فعل»[1] .

وأخرج ابن أبي داود عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال : أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال : لم ينكر ذلك منهم أحد .

وقد قام عثمان رضي الله عنه بمعاونة اللجنة التي كلفها للقيام بنسخ المصحف فقد روى البخاري عن زيد بن ثابت أنه قال : قلت لعثمان : هذه الآية من سورة البقرة ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة : ٢٤٠] قد نسختها الآية الأخرى، فَلِمَ تكتبها ؟

قال : تدعها يابْن أخي، لا أغير شيئاً من مكانه» [2] .

ومن ذلك أنهم اختلفوا في «التابوت» والتابوه، فقال القرشيون : التابوت، وقال زيد التابوه، فرفع اختلافهم إلى عثمان، فقال : اكتبوه «التابوت» فإنه نزل بلسان قريش .

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن / مقدمة كتاب المباني ص ٤٦ (٢) فتح الباري ٨/١٣٩

عدد المصاحف التي تم نسخها :

اختلفوا في عدد المصاحف التي نسخها على أقوال :

١ ـ ذكر الإمام الزركشي أنها أربعة مصاحف بعث بها إلى : الكوفة والبصرة والشام ـ وترك واحداً عنده [١] .

٢ ـ ذكر أبو حاتم السجستاني أنها سبعة إلى : مكة ، والشام واليمن، والبحرين ، والبصرة ، والكوفة وحبس واحداً بالمدينة. [٢]

٣ ـ ذكر ابن الجزري أنها ثمانية قال : «فكتب منها عدة مصاحف ـ أي من صحف حفصة ـ فوجه بمصحف إلى البصرة ، ومصحف إلى الكوفة ، ومصحف إلى الشام ، وترك مصحفاً بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفاً (الذي يقال له الإمام) ، ووجه بمصحف إلى مكة ، وبمصحف إلى اليمن، ومصحف إلى البحرين» [٣] .

والواضح أن الذي كتبه عثمان أكثر من أربعة ، ويَدُل على ذلك :

أولا : رواية أنس السابقة أن عثمان أرسل إلى كل أفق بمصحف .

ثانيا : أن الهدف من نسخ المصاحف هو القضاء على الفتنة والاختلاف، وهذا لايتأتى إلا ببعث مصحف إلى كل مِصْرٍ من الأمصار التي كانت مفتوحة في ذلك الوقت .

---

(١) البرهان للزركشي ١/٢٤٠

(٢) فتح الباري (١٦/٩)

(٣) النشر ١/٧

وقد أرسل عثمان مع كل مصحف قارئاً يُقْرِئُ الناس ، وذلك لأن المصاحف كانت خالية من النقط والتشكيل ، فقد تحتمل الكلمة أكثر من وجه ، ولكي لايقرأ كُل كما يريد، أرسل قارءاً يعلمهم كيفية قراءة الْكَلِمات القرآنية .

موازنة بين جمع القرآن في العهود الثلاثة

الفـــرق	في العهد النبوي	في عهد أبي بكر	في عهد عثمان
١ ـ تجرد الكتابة من النقط والشكل	مشترك	مشترك	مشترك
٢ ـ جمع القرآن في مكان واحد	مفرق	مجموع في صحائف	مجموع في مصحف
٣ ـ تجريد القرآن من المنسوخ	مجرد من المنسوخ	تميز الناسخ من المنسوخ	تميز الناسخ من المنسوخ
٤ ـ مقارنة المكتوب بين يدي النبي بالمحفوظ عند الصحابة		كان في جمع أبي بكر	
٥ ـ الداعي إلى جمعه	بمعنى تدوينه وكتابته مع كونه محفوظاً : هو كمال العناية به ، واتخاذ وسائل حفظه وصيانته من الضياع أو تغيير لفظ .	خشية ضياعه أو شيء منه بموت حملته وحفاظه في مواطن القتال .	١ ـ القضاء على الفتنة بسبب قراءة القرآن على أوجه مختلفة . ٢ ـ صيانة القرآن من المراء فيه والكفر . (البيان في مباحث علوم القرآن ص ٢١١)

النشاط التقويمي :

١ ـ جمع القرآن الكريم في عهده ﷺ حفظاً وكتابة .
اشرح العبارة السابقة مبيناً الكيفيتين السابقتين .

٢ ـ بم امتاز الجمع في عهد أبي بكر رضي الله عنه ؟ ولم كان ذلك؟

٣ ـ عرف كلا مما يلي :
ـ كتبة الوحي .
ـ الأقتاب .
ـ اللخاف .
ـ الرقاع
ـ العسب .

٤ ـ حصّن عثمان رضي الله عنه القرآن من أن يتطرق إليه شيء من الزيادة أو النقصان أو التحريف على مرّ العصور ، وضح ذلك.

٥ ـ يختلف الجمع في عهد أبي بكر عنه في عهد عثمان في الباعث والكيفية .
قارن بين الجمعين في الباعث والكيفية .

النشاط الدراسي :

١ ـ خَرِّج الأحاديث الواردة في جمع القرآن الكريم .

٢ ـ نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه إنْكَارُهُ أن المعوذتين من القرآن، قال النووي : «ومانقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح».

وقال ابن حزم «هذا كذب على ابن مسعود وموضوع» .

اكتب تقريراً من صفحة واحدة حول هذا الموضوع .

أول مانزل من القرآن الكريم وآخر مانزل منه

عناصر الدرس :

١ ـ أول مانزل من القرآن .
٢ ـ آخر مانزل من القرآن .

● الأنشـــطة

عرض الدرس :

١ ـ أول مانزل من القرآن :

اختلف العلماء في ذلك على أقوال عدة :

القول الأول : أول مانزل صدر سورة العلق «اقرأ باسم ربك الذي خلق»، روى أمية الأزدي عن جابر بن زيد قال : أول ماأنزل الله من القرآن بمكة اقرأ باسم ربك[١].
وعن أبي رجـاء العطاردي ، وكان قد أدرك النبي ﷺ، ولم تكن له صحبة ، قال : أول سورة نزلت على النبي ﷺ : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [٢].

---

(١) يحيى محمد بكوش، فقه الإمام جابر بن زيد ، ص ٨٢ .
(٢) هود بن محكم الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ص ٦١ .

وقال بعض السلف : أول مانزل من القرآن : ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ إلى قوله : ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ [1] .

وروى الشيخان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت : «أول مابُدىء به الرسول ﷺ . من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاءُ بغار حراء فيتحنث [2] فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ماأنا بِقَارِىء . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مِنِّي الجهد[3] ثم أرسلني فقال : اقْرَأ، فقلت : ماأنا بِقَارِىء ، فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقْرَأْ ، فقلت : ما أنا بِقَارِىء، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني فقال : ﴿اقرَأْ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم﴾ فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة رضي الله عنها، فقال: زَمِّلُوني زَمِّلُوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع[4] ، فأخبر الخبر لخديجة ، وقال : «لقد خشيت

---

(١) هود بن محكم الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ص ٦١ . (٢) التحنث : التعبد .
(٣) الجهد : بلوغ الغاية في المشقة والطاقة (٤) الرَّوْع : الفزع

على نفسي ، فقالت خديجة :«كلا والله ؛ لا يُخزيك الله أبداً، إنك تصل الرَّحم، وتحمل الكلَّ وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر» وانطلقت به حتى أتت ورقة بن نوفل (ابن عمها) وكان قد تنصر في الجاهلية ويكتب الكتاب العبراني، وكان كبيراً قد عَمِيَ فقالت له : يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة : ياابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره ﷺ ـ خبر مارأى، فقال له: هذا الناموس الذي نزل على موسى، ياليتني فيها جذعاً إذ يخرجك قومك[1]. فقال ﷺ : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم. لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عُودِيَ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفِّيَ، وفتر الوحي.

القول الثاني : إن أول مانزل سورة المدثر .

ذكر الشيخ الهواري في مقدمة تفسيره :

«أبو سلمة قال : قلت لجابر بن عبدالله: أي القرآن نزل أولاً ؟ قال : (ياأيها المدثر) قلت أو (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ؟ قال : أحدثك بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول إنه قال : جاورت في حراء، يعني جبلاً بمكة، وكان جوار أهل الجاهلية، فلما قضيت جواري استبطنت الوادي، فنوديت ، فنظرت

---

(١) الجذع : الشاب القوي

خلفي وأمامي، وعن يميني وعن شمالي، فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي إلى السماء فإذا هو - يعني جبريل عليه السلام - قاعد على العرش بين السماء والأرض، فحُممت منه، فأتيت خديجة فقلت : دثروني .

وصبت عليّ ماء بارداً، فأنزل الله علي (ياأيها المدثر)[1] .

ويمكن الجمع بين الحديثين بأن مراد جابر رضي الله عنه بالأولوية أولوية مخصوصة بعد فترة الوحي، لا أولوية مطلقة لما ثبت في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ كان يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: فَبَيْنَمَا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه فرقاً فرجعت فقلت : زملوني زملوني، فأنزل الله تعالى : ﴿ياأيها المدثر . قم فأنذر﴾ .

القول الثالث : إن أول مانزل «سورة الفاتحة» روي ذلك عن طريق أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال : كان ﷺ إذا سمع الصوت انطلق هارباً، وذكر نزول الملك عليه. وقوله: قل : الحمد لله رب العالمين إلى آخرها [2]. وقد رُدَّ هذا الحديث من طريقين :

---

(١) ص ٦٢ وهو حديث صحيح أخرجه مسلم وأخرجه البخاري مختصراً في أوائل صحيحه .
(٢) البرهان في علوم القرآن .

١ ـ أنه مرسل سقط من سنده الصحابي .
٢ ـ أن هذا الخبر منقطع .

القول الرابع : بسم الله الرحمن الرحيم .
ودليله : ماأخرجه الواحدي بسنده عن عكرمة والحسن قال : إن أول مانزل : بسم الله الرحمن الرحيم . وقد رُدَّ هذا القول من جانبين :
١ ـ أنه مرسل.
٢ ـ أن البسملة كانت تنزل مع صدر كل سورة إلا التوبة فلايجوز اعتبار الأولوية في نزول البسملة قولاً مستقلاً .

٢ ـ آخر مانزل من القرآن :

اختلف العلماء في آخر مانزل من القرآن :

أ ـ عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنها : ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ .
ب ـ روي عن البخاري عن ابن عباس : ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٨١] .
جـ ـ قيل : آخر مانزل ؟ آية الدين لما روي عن سعيد بن المُسَيِّبْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم﴾ [البقرة : ٢٨٢] .
د ـ آخر آية نزلت : ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء : ١٧٦] .

هـ - عن أبيّ بن كعب أن آخر آية نزلت : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة : ١٢٨] إلى آخر السورة .

و - قيل آخر مانزل : ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران : ١٩٥]

ز - عن ابن عباس قال : وآخر آية نزلت آية الربا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة : ٢٧٨] .

ح - قيل : آخر آية نزلت : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء : ٩٣] .

ومن المعروف أنه إذا تعارضت الروايات في مسألة ما، فإما أن يرجح بعضها على بعض (كما هو الحال في أول مانزل)، وإما أن يجمع بينها كما هو الحال في آخر مانزل. وقد سلك العلماء في ذلك طرقاً مختلفة :

* فبعضهم نهج طريقة الجمع بين بعضها دون البعض الآخر ومن هؤلاء السيوطي الذي نقل عن ابن حجر في ذلك، يقول : «ولامنافاة عندي بين هذه الروايات في آية الدين ، وآية واتقوا يوما، وآية الربا ، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة فأخبر كل عن بعض مانزل بأنه آخر، وذلك صحيح، وبهذا لايقع التنافي بينها» (١) .

* وبعضهم سلك طريقة في الجمع بين كل ماورد من الروايات السابقة :

قال القاضي أبو بكر في «الانتصار» : «وهذه الأقوال ليس في شيء منها مارفع إلى النبي ﷺ ويجوز أن يكون قد قال قائله

---

(١) الاتقان ، ١//٢٧

بضرب من الاجتهـاد وتغليب الظن ، وليس العلم بذلك من فرائض الدين حتى يلزم ماطعن به الطاعنون من عدم الضبط.
ويحتمل أن كلًّا منهم أخبر عن آخر ماسمعه من الرسول ﷺ في اليوم الذي مات فيه، أو قبل مرضه بقليل، ويكون غيره سمع منه بعد ذلك، وإن لم يسمعه هو لمفارقته له، ونزول الوحي عليه بقرآن بعده» [1] .

ويرى الكثير أن آخر مانزل هو : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] . ومما ساعد على هذا الاعتقاد أن ظاهرها يدل على إكـمال الـدين، ولايكـون هذا إلا بأن تتم الأحكام والشرائع لهذه الأمة، والآية تشير إلى أن المراد بإكمال الدين إكمال سلطانه وإعلاء كلمته حيث أَذَلَّ الله المشركين أمام المسلمين وأجلاهم عن البيت الحرام.

والآية نزلت عام حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، وقد عاش النبي ﷺ بعدها واحداً وثمانين يوماً ولم ينقطع الوحي عنه ﷺ إلى وفاته، روى البخاري عن أنس بن مالك أنه قال : «إن الله تابع على رسول الله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثر ماكان الوحي» .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ، ١/٢١٠

النشاط التقويمي :

١ ـ قارن بين أقوال العلماء في أول مانزل من القرآن :
أ ـ من حيث السند .
ب ـ من حيث المتن .

٢ ـ استنتج فوائد تترتب على معرفة أول مانزل من القرآن الكريم .

٣ ـ لِمَ كثرت الأقوال في آخر مانزل من القرآن في نظرك ؟

٤ ـ أ ـ اذكر الروايات الواردة في آخر مانزل من القرآن .
ب ـ كيف سلك العلماء للتوفيق بينها .

٥ ـ استنتج فوائد تترتب على معرفة آخر مانزل من القرآن الكريم .

النشاط الدراسي :

ـ اكتب تقريراً لايزيد على صفحتين عن أول مانزل وآخر مانزل في موضوع من المواضيع التالية ، متضمناً تفسيراً موجزاً لكل آية فيها :

ـ تحريم الخمر .
ـ التحريم في الأطعمة .
ـ القتال .

أسباب النزول

عناصر الدرس :

١ ـ تعريف سبب النزول .
٢ ـ الطريق إلى معرفة سبب النزول .
٣ ـ فوائد معرفته .
٤ ـ تعدد الروايات في سبب نزول آية .
٥ ـ عموم اللفظ مع خصوص السبب .
٦ ـ المناسبة وسبب النزول .
٧ ـ أمثلة لأسباب نزول آيات من القرآن الكريم .

● الأنشـــطة

عرض الدرس :

تمهيد :

من حكمة الله إنزال القرآن مُفرّقاً، وقد احتفت ببعض آياته وقائع ومناسبات ترتب عليها نزول القرآن ، لبيان شريعته تعالى فيقال : هذه الآية سبب نزولها كذا .

وفي المقـابل بعض الآيات لم ينزل عقب واقعة أو سؤال فأُطلق عليه: «مانزل ابتداءً» فالقرآن نزل بقسمين ، ابتداء ، وعقب واقعة أو سؤال .

١ ـ تعريف سبب النزول :

هو مانـزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه أو مبينة «لِحُكْمِهِ زمن وقـوعـه» . فلايعتـبر السبب سبباً إلا إذا نزل قرآن عقب حصوله ووقوعه، إما مباشرة، وإما بعد مدة لحكمة، كحادثة اتهام السيدة عائشة رضـي الله عنها، بالإفك، وإبطاء الوحي في كشف الحقيقة، وفضح إفك المنافقين، وذلك لحكمة جليلة : ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور : ١١] .

وهذا النزول لايتحقق إلا في عهد الرسول ﷺ . فما حدث قبل عهده من أخبار الأمم، وبعده كالفتن وأحوال القيامة والبعث وغير ذلك ، لايعتبر سبباً للنزول ، وإن تحدثت الآيات عنه.

فعبارة «زمن وقوعه» قيد خرج به ماكان في غير زمنه .

٢ ـ الطريق إلى معرفة سبب النزول :

لا سبيل إلى الوقوف على هذه الأسباب إلا بالمأثور عن الصحابة رضوان الله عليهم، لأنهم أعرف الناس بذلك لمشاهدتهم لوقائعها بحكم معاصرتهم للرسول ﷺ .

قال ابن الصلاح والحاكم (المستدرك) : «إن الصحابي الذي شهد الـوحي والتنزيل إذا أخبر عن آية أنها نزلت في كذا، فإنه حديث

مسند له حكم المرفوع» [1] لأنه في مثل هذه القضايا إنما يقوم على النقْـل والسماع، ويستبعد أن يقول ذلك من تلقاء نفسه، لأنه مما لامجال للرأي فيه .

أما التابعي : فقوله مقبول بشروط :

١ ـ أن يكون صريحاً في سبب النزول .

٢ ـ أن يصح المسند إليه .

٣ ـ أن يكـون من أئمة التفسير الذين أخذوا عن الصحابة كمجاهد وعكرمة.

٤ ـ أن يُعتَضَد بمرسل آخر .

٣ ـ فوائد معرفته :

معرفة أسباب النزول عنصر مهم من عناصر ثقافة المفسر، وأصل من أصول التفسير، فلابد من الإحاطة به لما يترتب على ذلك من حِكَمٍ جليلة وفوائدَ منها :

أولا : تعيين المعنى المـراد من النص ، وإزالـة الالتبـاس والإشكال. قال ابن تيمية : «يُعين على فهم الآية ، لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب» [2] .

وقال ابن دقيق العيد : «طريق قوي في فهم معاني القرآن» [3] .

---

(١) الاتقان ص ٣١/١ (٢) ابن تيمية ، مجموعة الفتاوي ٣٣٩/١٣ (٣) البرهان ، ٢٢/١

ومثال على ذلك : ماحُكِيَ عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معد يكرب أنهما كانا يقولان بإباحة الخمر، ويحتجان بهذه الآية : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ٩٣] .

وخفي عنهما سبب نزولها فإنه يمنع من ذلك ، روي عن الحسن وغيره لما نزل تحريم الخمر قالوا : كيف بإخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم وقد أخبرنا الله أنها رجس. فأنزل الله «الآية ٩٣ من سورة المائدة») [1].

ثانيا : إثارة الانتباه وتهيئة النفوس للتقبل ، والتشوق إلى تفاصيل الموضوع، بعد التصور الكلي له .

وكذلك إلقاء الضوء على تعيين مقصود الشارع من الآيات المرتبطة بالوقائع ، فكانت من القرائن الدالة على المعنى، دون أن يكون لها من أثر في تكييف النص القرآني [2] وكما يقول الدكتور مناع القطان : «فهم يتصورون الدرس بمعرفة سبب النزول تصوراً عاماً، بما فيه من عناصر القصة المثيرة ، فتتوق نفوسهم إلى معرفة مانزل ملائماً له، ومايتضمنه من

(١) البرهان ١/٢٨ ، الاتقان ١/٢٩ .
(٢) فتحي الدريني ، بحوث ودراسات في الفكر الإسلامي ١/١٦٧

أسرار تشريعية، وأحكام تفصيلية تهدي الإنسانية إلى نهج الحياة الأقوم» [1] .

عن عروة قال : قالت عائشة رضي الله عنها : «تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، وَيَخْفَى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله وهي تقول : يارسول الله ، أبلى شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبر سني وانقطع ولدي ، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك .
وفي رواية ؛ قالت خويلة : «دخل علي ذات يوم، وكلمني بشيء، وهو فيه كالضجر، فراودته فغضب، فقال : أنت عليّ كظهر أمّي، ثم خرج في نادي قومه، ثم رجع إليّ فراودني عن نفسي، فامتنعت منه. فشادني فشاددته، فغلبته بما تغلب به المرأة الرجل الضعيف، فقلت : كلا ، والذي نفس خويلة بيده، لاتصل إليّ حتى يحكم الله تعالى فيّ وفيك بحكمه، ثم أتيت النبي ﷺ أشكو مالقيت . . فقال : زوجك وابن عمك ، اتقي الله وأحسني صحبته» [2] .
فهذه حادثة مثيرة تتوق النفس إلى معرفة مانزل بشأنها وأحكامها التفصيلية وأسرارها. فربط الأسباب بالمسببات، والأحكام بالحوادث من دواعي تقرير الأشياء وتأكيد الأحكام .

---

(١) مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ٩٥ ، ٩٦ .
(٢) أسباب النزول للواحدي ص ٢٩١ ومابعدها.

ثالثا : بيان الحكمة الباعثة على تشريع حكم من الأحكام فيترتب على ذلك الكشف عن جلال التشريع وسمو مقاصده. فيزيد إيمان المؤمن، ويرغب غيره في الإيمان.

كما أنه يمكن من خلالها تبين الأوضاع الاجتماعية والقضايا المهمة التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي من عقائد فاسدة ونظم جائرة فكان نزول القرآن فيصلاً بين الحياتين. وبذلك حقق مصلحة كان الناس يحتاجون إليها . ومثاله الآيات التي نزلت في المواريث على حوادث من ظلم الجاهلية حيث لايُورّثون البنات ولا الذكور الصغار، كما أن سبب النزول يبين أن الحكم أزال حرجاً كان بعض الناس واقعاً فيه، كآيات اللعان، والظهار، وغيرها.

رابعا : معرفة الناسخ والمنسوخ . لما لأسباب النزول من تعلق بتاريخ الوقائع التي تتصل اتصالاً وثيقاً بالتنزيل تقدماً وتأخراً.

خامسا : الدلالة على إعجاز القرآن الكريم الدال على صدق نبوة النبي ﷺ ومعروف أن سبب النزول لاسبيل إلى معرفته إلا بالمأثور، لأن وقائعه وأحداثه لم يشاهدها إلا الذين عاصروها، فلم يعد هناك طريق إلا بالمأثور حتما.

٤ ـ تعدد الروايات في سبب نزول آية :

قد يرد في أسباب النزول روايتان مختلفتان أو أكثر. وقد وضع العلماء مقاييس دقيقة في ترجيح الروايات المنبئة عن أسباب النزول.

وقد انفردت هذه المقاييس ببراعة التخريج ولطف التذوق وقوة النقد، وبهذا تيسر لهؤلاء الأئمة الثقات أن يضعوا أيديهم على مفاتيح أسباب النزول .

وكانت طريقهم إذا رجعوا إلى الروايات المتعددة أن ينظروا إلى العبارة الواقعة، لأن صيغ سبب النزول إما أن تكون نصاً صريحاً (بأن يقول الرّاوي : سبب نزول هذه الآية كذا)، وإما أن تكون الصيغة محتملة (أي قد تحتمل السببية أو شيئاً آخر هو ماتضمنته الآية من الأحكام) .

وهناك صور متعددة لسبب النزول :

الصورة الأولى :

بأن يقول الرّاوي : نزلت هذه الآية في كذا . .

ويقول الآخر نزلت في غير ذلك .

الترجيح : ينظر إن كان اللفظ محتملاً كلا القولين (أو الأقوال) حُمل عليها. وإن لم يحتملها تعين مايدل عليه اللفظ ويساعد

السياق على فهمه، لأنه ليس في قول الرَّاوِي هذا نصاً في سبب النزول .

الصورة الثانية :

إذا قال الراوي : نزلت الآية في كذا (صيغة محتملة) وصرح آخر : بذكر سبب خلافه .

الترجيح : يؤخذ بالمصرح به الذي هو نص في السبب دون ماكان محتملاً، ويعتمد في ذلك : على الفكر ، والنظر ، والتدبر .

الصورة الثالثة :

أن تكون الروايات كلها صريحة لا احتمال فيها . وهنا للعلماء مقياس يرجحون به إحدى الروايات أو يوفقون بينها . ويندرج تحت هذه الصور حالات متعددة :

١ ـ إن كانت إحدى الروايتين صحيحة والأخرى غير صحيحة ـ يؤخذ بالصحيحة .

٢ ـ وإن كانت الروايتان صحيحتين إلا أن إحداهما أرجح من الأخرى لوجود مرجح ـ يؤخذ بالأرجح ويترك الراجح .

٣ ـ وإن كانتا صحيحتين ، ولامرجح لإحداهما على الأخرى فيحمل الأمر على وقوع سببين نزلت الآية بعدهما معاً ـ يجمع بينهما لقرب الزمن بين أحداثهما .

٤ ـ إن كانتا صحيحتين ولا مرجح لإحداهما على الأخرى، ولم يستطع الجمع بينهما (لتباعد الزمن بين أحداثهما) ـ يحمل ذلك على تعدد النزول وتكرره.

والحقيقة :

أن هذه الحالة لم تكن موضع اتفاق بين العلماء، إذ أن القول بالتكرار يفتقر إلى الدليل الصحيح، لأنه يتعلق بالوحي، ولايقوم على العقل .

مثال الحالة الثالثة من الصورة الثالثة :

ماأخرجه الشيخان عن سهل بن سعد : «أن عويمرا أتى عاصم ابن عدي، وكان سيد بني عجلان، فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً : أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع ؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك . فأتى عاصم النبي ﷺ ـ فقال : يارسول الله؛ فكره رسول الله ﷺ ـ المسائل وعابها . فقال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك، فجاءه عويمر فقال : يارسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلاً، أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ : «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك» فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمى الله في كتابه ، فلاعنها.

وأخرج البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال ﷺ : «البينة وإلاَّ حد في ظهرك» فقال : يارسول الله،

إذا وجد أحدنا مع امرأته رجلاً ، ينطلق يلتمس البينة. فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه : ﴿والذين يرمون أزواجهم﴾ .

وقد جُمع بينهما : بأن أول ماوقع له ذلك هلال. وصادف مجيء عويمر كذلك فنزلت الآية في شأنهما .

تعدد النزول مع وحدة السبب :

قد يتعدد السبب كما مر ، وقد يتعدد النزول لسبب واحد .

مثال : ما أخرجه الحاكم عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: «يارسول الله : لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء»؟

فأنزل الله تعالى :

﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران : ١٩٥] .

وأخرج الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها قالت : يارسول الله : «تذكر الرجال ولاتذكر النساء» فأنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ.....﴾ [الأحزاب : ٣٥] .

وكذلك أنزلت آية آل عمران .

٥ ـ عموم اللفظ مع خصوص السبب :

نزلت كثير من الآيات لأسْبَابٍ خاصة إلا أن لفظها عام ، وقد

ذهب جمهور العلماء إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومما يدل على ذلك :

١ ـ أن النص القرآني العام الوارد على سبب خاص ، ينبغي أن يبقى على عمومه، لأن مَجِيئهُ على هذه الصيغة قرينة على إرادة العموم .

٢ ـ لأن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وهم الفصحاء الذين يعرفون بفطرتهم ماتفيده أساليب لغتهم تمسكوا بعمومات وردت على أسباب خاصة ، وأجروا أحكامها على غير أسبابها، من ذلك :(١)

- آيات الظهار نزلت في أوس بن الصامت عندما ظاهر من امرأته .
- آيات اللعان ، وحد القذف . فقد احتجوا بتلك الآيات مع نزولها على أسباب خاصة ، وقد سئل ابن عباس عن «والسارق والسارقة» أخاص أم عام فقال بل عام، مع أنها نزلت في حادثة خاصة. مما يدل على أن العبرة بالعموم لا بالخصوص. وفي ذلك فائدة عظيمة وهي استمرار الحكم الشرعي في الجميع بدليل شرعي وعدم إهمال العمل بهذا الحكم .

---

(١) أنظر إرشاد الفحول للشوكاني .

٦ - المناسبة وسبب النزول :

لابد من تعريف المناسبة ليتضح الفرق بينهما:

أ - المناسبة لغة :

مأخوذ من نسب . وهو اتصال شيء بشيء، ومنه النسب . سُمي لاتصاله ، وللاتصال به . يقال : بين الشيئين مناسبة وتناسب أي مشاكلة وتشاكل .

ب- واصطلاحاً :

ارتباط آي الذكر الحكيم وسوره بعضها ببعض حتى يكون كالموضوع الواحد محكم البناء .

جـ- وقد أفرد بعض العلماء علم المناسبة بالتصنيف ومنهم :

١ - ابراهيم بن عمر البقاعي (ت ٧٨٥) «نظم الدرر في تناسب الآي والسور»
٢ - السيوطي (ت ٩١١) «تناسق الدرر في تناسب السور» .

٧ - أمثلة لأسباب نزول آيات من القرآن الكريم :

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة : ٧٩]

عن ابن عباس قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ويهود تقول إنما هذه الدنيا سبعة آلاف سنة إنما يعذب الناس في النار لكل ألف سنة من أيام الدنيا يوم واحد في النار من أيام الآخرة ، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤] فقد انقطع العدد وبقي الأمد.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧] .

قال سعيد بن المسيب : أقبل صهيب مهاجرا نحو رسول الله ﷺ فاتبعه نفر من قريش من المشركين،فنزل عن راحلته ونثر مافي كنانته، وأخذ قوسه،ثم قال:يامعشر قريش،لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً، وأيم الله لاتصلون إليّ حتى أرمي بما في كنانتي ثم أضرب بسيفي مابقي في يدي منه شيء،ثم افعلوا ماشئتم. قالوا: دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلي عنك،وعاهدوه إن دلهم أن يدعوه ففعل،فلما قدم على النبي ﷺ قال : أبا يحيى ربح البيع ربح البيع وأنزل الله«ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله»وقال المفسرون : أخذ المشركون صهيباً فعذبوه فقال لهم صهيب إني شيخ كبير لايضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا ذلك،وكان قد شرط عليهم راحلة ونفقة فخرج إلى المدينة فتلقاه أبو بكر وعمر ورجال،فقال له أبو بكر: ربح بيعك أبا يحيى، فقال صهيب : وبيعك فلا بخس ، ماذاك ؟ فقال : أنزل الله فيك كذا

وقرأ عليه هذه الآية وقال الحسن : أتدرون فيمن نزلت هذه الآية في أن المسلم يلقى الكافر فيقول له قل : لا إله إلا الله فإذا قلتها عصمت مالك ودمك، فأبى أن يقولها، فقال المسلم : والله لأشرين نفسي لله فتقدم فقاتل حتى يقتل. وقيل نزلت فيمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر. قال : أبو الخليل سمع عمر بن الخطاب إنساناً يقرأ هذه الآية، فقال عمر إنَّا لله قام رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل .

﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨]

عن أنس بن مالك قال : كسرت رباعية رسول الله ﷺ يوم أُحد وَدَمِيَ وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم قال : فأنزل الله تعالى ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] .

عن أنس أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه وجعل يسيل الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله عز وجل ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ .

عن سالم عن أبيه أنه سمع رسول الله ﷺ قال في صلاة الفجر حين رفع رأسه من الركوع «ربنا ولك الحمد اللهم العن فلاناً وفلاناً» دَعَا على ناس من المنافقين. فأنزل الله عز وجل ﴿ليس لك من الأمر

شيء﴾ رواه البخاري من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب .

عن ابن شهاب قال : أخبرني شعيب بن المسيب وأبو سلمة بن عبدالرحمن أنهما سمعا أبا هريرة يقول كان رسول الله ﷺ حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه ويقول سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يقول وهو قائم اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك [1] على مضر واجعلها عليهم سنين كسني [2] يوسف اللهم العن لَحْيَان ورعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله ثم بلغنا أنه ترك لما نزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ رواه البخاري عن موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد عن الزهري .

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عمران : ١٦٩]

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا أنَّا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولاينكلوا في الحرب فقال : الله عز وجل : أنَا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى : ﴿ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ .

---

(١) الوطأة : موضع القدم ، وهي كالضغطة ، أي اللهم اشدد ضغطك على مضر .

(٢) أي كسني يوسف الجدباء .

وعن جابر بن عبدالله قال : نظر إليّ رسول الله ﷺ فقال : مالي أراك مهتما. قلت : يارسول الله قتل أبي وترك ديناً وعيالا فقال : «ألا أخبرك ماكلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وإنه كلم أبَاكَ كفـاحا فقال : ياعبدي سلني أعطك قال : أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال : إنه قد سبق مني أنهم إليها لايرجعون قال: يارب فأبلغ من ورائي فأنزل الله تعالى ﴿ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمـواتـا بل أحياء﴾ الآية وَوَرَدَ عن سعيد بن جبـير ﴿ولاتحسبن الـذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ قال : لما أصيب حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير يوم أحد ورأوا مارزقوا من الخير قالوا : ليت إخواننا يعلمون ماأصابنا من الخير كي يزدادوا في الجهاد رغبة فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تحسبن الـذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء﴾ إلى قوله ﴿لايضيع أجر المؤمنين﴾ وقال أبو الضحى نزلت هذه الآية في أهل أحد خاصة وقال جماعة من أهل التفسير : نزلت الآية في شهداء بئر معونة ؛ وقصتهم مشهورة ذكرها محمد بن إسحق بن يسار في المغازي. وقال آخرون: إن أولياء الشهداء كانوا إذا أصابتهم نعمة أو سرور تحسروا وقالوا : نحن في النعمةِ والسرور وآباؤنا وأبناؤنا وإخواننا في القبـور فأنـزل الله تعالى هذه الآية تنفيسا عنهم وإخباراً عن حال قتلاهم .

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال : ١٧]

عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : أقبل أبيّ

ابن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ يريده فاعترض له رجال من المؤمنين فأمرهم رسول الله عليه السلام فخلوا سبيله فاستقبله مصعب بن عمير أحد بني عبدالدار ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أبيّ من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فسقط أبيّ عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعاً من أضلاعه فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له: ماأعجزك إنما هو خدش فقال : والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز [1] لماتوا أجمعين فمات أبيّ إلى النار فسحقا لأصحاب السعير، قبل أن يقدم مكة، فأنزل الله تعالى ذلك ﴿ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ .

وروى صفوان بن عمرو عن عبدالعزيز بن جبير أن رسول الله ﷺ يوم خيبر دعا بقوس فَأُتيَ بقوس طويلة فقال : جيؤوني بقوس غيرها فجاؤوه بقوس كبداء فرمَى رسول الله ﷺ الحصن فأقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن أبي الحقيق وهو على فراشه فأنزل الله تعالى ﴿ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ وأكثر أهل التفسير أن الآية نزلت في رمي النبي عليه السلام القبضة من حصباء [2] الوادي يوم بدر حين قال للمشركين شاهت الوجوه ورماهم بتلك القبضة فلم يبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء، قال حكيم بن حزام: لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ تلك الحصاة فانهزمنا، فذلك قوله تعالى ﴿ومارميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ .

---

(١) كذا وردت بالأصل وبعض النسخ ولعلها تحريف عن الحجاز .

(٢) حصباء الوادي : أرضه ذات الحصب .

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١]

قال : محمد بن كعب القرظي لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفساً قال : عبدالله بن رواحة يارسول الله اشترط لربك ولنفسك ماشئت فقال : أشترط لربي أن تعبدوه ولاتشركوا به شيئاً،وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، قالوا : فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا ؟ قال: «الجنة» قالوا : ربح البيع لانقيل ولانستقيل فنزلت هذه الآية .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ [الحج : ١١]

قال المفسرون : نزلت في أعراب كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة مهاجرين من باديتهم وكان أحدهم إذا قدم المدينة فإن صح بها ونتحت فرسه مهراً حسناً وولدت امرأته غلاماً وكثر ماله وماشيته آمن به واطمأن،وقال : ماأصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيراً وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية وأجهضت رماكه وذهب ماله وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال : والله ماأصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شرا فينقلب عن دينه فأنزل الله تعالى ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآية .

وروى عطية عن أبي سعيد الخدري قال : أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده وتشاءم بالإسلام،فأتى النبي ﷺ فقال:أقلني، فقال:إن الإسلام لايقال،فقال : إني لم أصب في ديني هذا خيراً أذهب

بصري ومالي وولدي. فقال : يايهودي إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب ، قال : ونزلت ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ . . ﴾ [الممتحنة : ١]

قال جماعة المفسرين : نزلت في حاطب بن أبي بلتعة وذلك أن سارة مولاة أبي عمر بن صهيب بن هشام بن عبد مناف أتت رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ورسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فقال لها : أمسلمة جئت ؟ قالت : لا قال : فما جاء بك قالت : أنتم الأهل والعشيرة والمولى، وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني ، قال لها: فأين أنت من شباب مكة؟ وكانت مغنية ، قالت : ماطلب مني شيء بعد وقعة بدر ، فحث رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وبني المطلب فكسوها وحملوها وأعطوها، فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وكتب معها إلى أهل مكة وأعطاها عشرة دنانير على أن توصل إلى أهل مكة ، وكتب في الكتاب من حاطب إلى أهل مكة إن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم . فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فأخبر النبي ﷺ بما فعل حاطب ، فبعث رسول الله ﷺ علياً وعماراً والزبير وطلحة والمقداد بن الأسود وأبا مرثد وكانوا كلهم فرساناً ، وقال لهم : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن فيها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين، فخذوه منها وخلوا سبيلها ، فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها ، فخرجوا حتى أدركوها في ذلك المكان فقالوا لها : أين الكتاب فحلفت بالله مامعها كتاب،

ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتاباً، فهموا بالرجوع فقال علي: والله ماكـذبنـا ولا كذبنا وسَلّ سيفه وقال : أخرجي الكتاب وإلا والله لَأُجْزُرَنَّكِ ولأضربن عنقك، فلما رأت الجد أخرجته من ذؤابتها [1] قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب إلى رسول الله ﷺ فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فأتاه فقال له: هل تعرف الكتاب ؟ قال : نعم قال: فما حملك على ماصنعت؟ فقال : يارسول الله والله ماكفـرت منـذ أسلمت ولاغششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن أحَـدٌ من المهاجرين إلا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريباً فيهم وكان أهلي بين ظهرانيهم فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يداً وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه وكتابي لايغني عنهم شيئـاً فصدقه رسول الله ﷺ وعذره فنزلت هذه الآية ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ فقام عمر بن الخـطاب فقال : دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ : ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم . أخبرنا أبو بكر وأحمد ابن الحسن بن محمـد أخبرنا محمد بن يعقوب أخبرنا الربيع أخبرنا الشافعي أخبرنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد أخبرنا محمد بن يعقوب بن علي بن عبيد الله بن أبي رافع قال: سمعت علياً يقول: بعثنا رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن فيها ظعينة معها كتاب فقلنا لها لتخـرجن الكتاب أو لَنُلْقِيَنَّ الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به

---

(١) الذؤابة : ضفيرتها

رسـول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعـة إلى ناس من المشركـين ممن بمكـة يخبر بعض أمـر النبي ﷺ فقـال : ماهـذا ياحاطب ؟ فقال : لاتعجل عليّ إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش ولم أكن من نفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها قراباتهم ولم يكن لي بمكة من يمنعني فأردت أن يكون لي عليهم يداً .

النشاط التقويمي :

١ ـ من تعاريف سبب النزول «هو مانزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال» قارن هذا التعريف بتعريف سبب النزول الوارد بالدرس .

٢ ـ الجهل بأسباب النزول يؤدي أحياناً إلى فهم الآيات على غير وجهها. بين ذلك .

٣ ـ معظم مانزل ابتداء بدون سبب هو من نوع الوصف والإخبار، ومعظم مانزل بسبب هو من نوع الأوامر والنواهي والتوجيه والإرشاد.

أ ـ هل العبارة صحيحة .

ب ـ أورد أدلة على ماتقول .

٤ ـ ميز بين المناسبة وسبب النزول من حيث :

ـ كيفية الوصول إلى كل منهما .

٥ ـ هناك صور متعددة لسبب نزول آية :

أ ـ أذكر هذه الصور

ب ـ ماموقف العلماء عند ذلك ؟

٦ ـ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب اشرح هذه العبارة .

٧ ـ من أمثلة أسباب النزول في العنصر السابع من الدرس آيات تعددت روايات أسباب نزولها .

أ ـ أذكر هذه الآيات .

ب ـ أذكر أسباب نزول كل منها .

جـ ـ كيف توفق بين روايات أسباب نزول كل منها

النشاط الدراسي :

١ ـ ابحث عن سبب نزول الآيات التالية :

ـ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ ﴾ [عبس : ١/٤]

ـ ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ﴾ [النساء : ٢]

ـ ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[آل عمران : ١٨٨] .

ـ آيات أخرى يحددها مدرس المنهاج .

الأحرف السبعة

عناصر الدرس :

١ ـ الروايات في الأحرف السبعة .
٢ ـ معنى الأحرف السبعة .
٣ ـ فوائد تؤخذ من الأحاديث .

● الأنشـــطة

عرض الدرس :

تمهيد :

١ ـ الروايات في الأحرف السبعة :

ورد في الأحرف السبعة روايات منها :

١ ـ ماروى الشيخـان في صَحِيحَيْهِماَ عن ابن عباس ـ رضـي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قالَ : «أقرأني جبريل على حرف ، فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» (١) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ٤/١٩٠٩

٢ - وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال :

سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله - ﷺ - فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم ، ثم لَبَّبْتُهُ بردائه أو بردائي فقلت: من أقرأك هذه السورة ؟ قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ. قلت: كذبت فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله، إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله ﷺ: أرسله ياعمر ، اقرأ ياهشام ، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها. قال رسول الله ﷺ : هكذا أنزلت ثم قال رسول الله ﷺ : «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ماتيسر منه»[1] .

٣ - روى مسلم وأبو داود والنسائي ، واللفظ لمسلم، عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار (الماء المستنقع كالغدير وجمعها أضاة، كحصاة وحصا). فأتاه جبريل عليه السلام فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف، فقال : أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه جـ ١٩٢٣/٤

أمتي لاتطيق ذلك، ثم أتاه الثانية، فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لاتطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لاتطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تُقْرِئَ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرءوا عليه فقدَ أصابوا [1] .

٤ - رَوَىَ أحمد في مسنده عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال : لقى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام عند أحجار المراء[2] فقال رسول الله ﷺ لجبريل : "إني بعثت إلى أمة أميين، منهم الغلام والخادم والشيخ العاسي [3] والعجوز، فقال جبريل: فليقرأوا القرآن على سبعة أحرف".

وفي رواية الترمذي : «إني بعثت إلى أمة أميين: منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط. قال : يامحمد ، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

روى النسائي في سننه عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتياني فقعد

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٣٢/٥) والترمذي في سننه جـ ١٩٤/٥ حديث ٢٩٤٤

(٢) المراء : موضع بقباء خارج المدينة، وهي من المماراة، وهي موضع بالمدينة مثل أضاة بني غفار .

(٣) العاسي : وفي مطبوعة الطبري «الفاني» وفي المخطوطة «العاشي» وفي المسند «العاصي» وكلها بمعنى وعَسَا الشيخ إذا كبر وأسن وضعف بصره ويبس جلده وصلب، قال في مختار الصحاح عسا الشيخ يعسو عُسِيًا ولى وكبر .

جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري. فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف واحد، وقال ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف، وكل شافٍ كافٍ» .

وفي رواية لأبي بكـرة : «فنـظرت إلى ميكـائيل فسكت، فعلمت أنه قد انتهت العدة» .

قال السيوطي : ورد حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من رواية جمع من الـصحـابـة : أبيّ بن كعب، وأنس ، وحذيفة، وابن عباس، وابن مسعود حتى ٢١ صحابي . [1] .

٢ ـ معنى الأحرف السبعة :

اختلف العلماء في معنى الأحرف السبعة إذ لم يرد نص أو أثر في معناها، ومن هذه الأقوال :

القول الأول :

المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب المشهورة في كلمة واحدة، تختلف فيها الألفاظ مع اتفاق المعاني، وعدم تناقضها، نحـو : هلم ـ تعـال ـ أقبـل ـ إليّ ـ نَحْـوِي ـ قصدي ـ قربي ، فهذه الألفاظ السبعة يعبر بها عن معنى واحد ، وهو طلب الإقبال .

---

(١) الإتقان ١/١٣٠

وهو رأي جمهور أهل الفقه والحديث .

وعمدة أدلتهم حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن جبريل عليه السلام قال : يامحمد اقرأ القرآن على حرف . . قال ميكائيل استزده . . الحديث .

واستدلوا كذلك بما روي أن أبيّ بن كعب رضي الله عنه كان يقرأ: «أمهلونا نقتبس،ويقرأ : مشوا فيه | مروا فيه | سعوا فيه . .» .

القول الثاني :

إن القرآن الكريم نزل على سبع لغات متفرقة فيه، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل ، أو هوازن، أو اليمن فهو ينتظم في مجموعة اللغات السبع.

وهذا الرأي يختلف عن سابقه، لأن معناه أن الأحرف السبعة متفرقة في القرآن، أما الرأي السابق فيعني أن الأحرف السبعة لغات مختلفة في كلمة واحدة مع اتفاق المعنى .

واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة منها :

١ ـ ماقاله عثمان رضي الله عنه للرهط الأربعة حين أمرهم بنسخ الصحف: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوه بلغة قريش، فإنه أنزل بلسانهم ففعلوا»

فهو يدل على أن معظمه بلسان قريش وفيه من لغات العرب .

ويرد هذا الرأي لأسباب منها :

أولا : بُعده عن واقع الخلاف الذي حصل بين الصحابة رضي الله عنهم، فالأحاديث لاتؤيده: فالخلاف الذي وقع إنما كان في تلاوة سورة واحدة، ففي حديث عمر سورة الفرقان حيث سمع عمر هشاماً يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئه إياها النبي ﷺ - وهذا يدل على أنهما قرآها على وجه مختلف . وكذلك حديث أبيّ واختلافه مع الرجلين في قراءة سورة النحل

ثانيا : أن الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف إنما هي التخفيف والتيسير على العرب والقول السابق ليس فيه أي معنى للتخفيف، لأن العرب لايمزج غالبهم لغات بعضهم ببعض .

ثالثا : لو كان القرآن مؤلفاً من عدة لغات، كل جزء من لغة، لما أمكن لأهل كل لغة أن يقرءوا منه إلا جُزْءاً واحداً - النازل بلغتهم - ويدعون ماكان بغير لغتهم ، لتعسر اللغات الأخرى عليهم، فيقعون في الحرج ولايتلونه كله، مع أن

الجميع مكلفون بقراءته كله، وفهمه، والعمل به. فيكون هذا الرأي موقعاً في الحرج . [1]

٣ ـ فوائد تؤخذ من الأحاديث

١ ـ تدل الأحاديث السابقة على أن الأحرف السبعة ليست إلا خلافا في الألفاظ وهيئات النطق في كلمات القرآن، بدليل أن الخلاف الذي وقع بين الصحابة (عمر وهشام بن حكيم) كان حول كيفية التلاوة .

٢ ـ أن قراءة الصحابة رضي الله عنهم للقرآن الكريم لم تكن باجتهادهم، إنما كان ذلك بالتلقي عن النبي ﷺ، والأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن توقيفية، لامجال للرأى والقياس فيها، فقد نزل بها الروح الأمين على قلب الرسول ﷺ.

٣ ـ يدل الحديث الرابع ـ وغيره ـ التي فيها استزادة النبي ﷺ من جبريل عليه السلام، الأحرف حرفاً حرفاً، دلالة واضحة على أن المراد بالسبعة حقيقة العدد الواقع بين الستة والثمانية لا أن المراد بها التوسعة دون أن يكون العدد مراداً (فنظرت إلى ميكائيل فسكت، فعلمت أنه قد انتهت العدة).

٤ ـ أن الحكمة الأولى التي من أجلها أنزل، الله القرآن على سبعة

---

(١) الأحرف السبعة ومنزلة القرآن منها ص ١٧٣ .

أحرف هو التيسير على الأمة الأمية (إنيّ بعثت إلى أمة أمية . .) فقد اعتادوا على كيفية معينة في النطق بلهجتهم الخاصة منذ الصغر، فمن العسر بمكان أن يطلب منهم التحول مرة واحدة إلى لهجة أخرى تختلف، فكان من رحمة الله تعالى بعباده أن أنزله على سبعة لمراعاة اختلاف لغاتهم، ودفعا للحرج عنهم.

٥ - نهى النبي ﷺ - عن الجدال والخصام والتنازع بشأن الأحرف السبعة لأن كل حرف إنما هو منزل من عند الله تعالى له حرمة القرآن الكريم، وأن إنكار أي شيء منها هو إنكار وجحود لما أوحاه الله إلى نبيه ﷺ ، وإنكار شيء مما أنزل الله على نبيه يوقع صاحبه في الكفر «إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فلاتماروا في القرآن ، فإن المراء فيه كفر» .

٦ - إن ماوقع من خلاف بين الصحابة الكرام في تلاوة القرآن الكريم، وتحاكمهم إلى النبي ﷺ إنما كان في المدينة المنورة بعد هجرته ﷺ حيث المسجد وأضاة بني غفار.

٧ - لم يُقْرِىء النبي ﷺ المسلمين جميع الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن، إنما كان يقرؤهم حسبما تيسر، فَيُقْرِئُ هذا حرفا، ويُقْرِئُ الآخر حرفاً غيره.

٨ - لم يكن إقراء النبي ﷺ - لكل إنسان حسب لهجته وماتنطق به قبيلته فحسب، إنما كان يُقْرِئُ الصحابة حسبما تيسر بقطع

النظر عن لهجتهم، فقد يُقْرِئُ أصحاب قبيلة واحدة بأكثر من حرف (عمر وهشام بن حكَيم فهما قرشيان).

٩ ـ أن إعجـاز القرآن الكريم إنما هو في الأحرف المتواترة جميعاً، لأنها كلها من عند الله تعالى، فهي كلام الله المنزل على الرسول ﷺ للبيان والإعجاز (كلها كافٍ شافٍ)، لاتفاقها في المعنى، وهي كافية في الحجة على صدقه ﷺ لإعجاز نظمه وعجز الخلق عن الإتيان بمثله.

النشاط التقويمي :

١ ـ موضوع الأحرف السبعة من المواضيع الهامة في علوم القرآن . علل.

٢ ـ ذهب كثير من العلماء إلى أن الأحرف السبعة رخصة اقتضاها حال العـرب في صدر الإسـلام، ويدل على ذلك أن الإذن بالأحرف السبعة اقتصر على القراءة فقط، أما الكتابة فكانت بحرف واحد هو حرف قريش. ناقش هذا الرأي.

٣ ـ تتفاوت الأحرف السبعة في درجة تخالفها وتباعدها عن بعضها. فَسِّرْ ذلك.

النشاط الدراسي :

١ - يقوم الطلاب بتخريج أحاديث الأحرف السبعة الواردة بالدرس.

٢ - يرجع الطالب إلى مقدمة تفسير الطبري ملخصاً حديثه عن الأحرف السبعة.

المكي والمدني

عناصر الدرس :

١ ـ تعريف المكي والمدني
٢ ـ فوائد معرفة المكي والمدني .
٣ ـ كيفية معرفة المكي والمدني .
٤ ـ السور المكية والمدنية .

● الأنشـــطة

عرض الدرس :

تمهيد :

١ ـ تعريف المكي والمدني :

اختلف العلماء في تعريفهما تبعاً للجهة التي نظر كلٌّ إليها عند التقسيم. فبعضهم نظر إلى المخاطبين، وبعضهم نظر إلى المكان. وآخرون نظروا إلى الزمان.

فالذين نظروا إلى المخاطب قالوا : إن المكي ماكان خطابا لأهل مكة، والمدني ماكان خطابا لأهل المدينة .

والذين نظروا إلى المكان قالوا : إن المكي مانزل بمكة ، والمدني مانزل في المدينة .

أما الفريق الثالث فهم الذين نظروا إلى الزمان وهم أكثر العلماء. فقالوا : إن المكي مانزل قبل الهجرة ، والمدني مانزل بعد الهجرة.

وعند النظر في هذه الأقوال يلاحظ أن :

القول الأول غير مطرد ولا منضبط . فكثير من الآيات، بل بعض السور أيضاً ليس فيها خطاب لا لأهل مكة ولا لأهل المدينة .

وهناك سور جاءت خطابا للرسول ﷺ كالضحى والشرح. فسورة الشمس مثلاً ليس فيها خطاب لأحد . وهناك سُوَرٌ اشتملت على خطاب المؤمنين، وعلى خطاب الناس جميعاً مثل البقرة والنساء.

القول الثاني : غير منحصر ولا منضبط . فكثير من الآي لم تنزل في مكة أو المدينة . فسورة براءة نزل كثير منها في تبوك. والفتح في منصرفه ﷺ من الحديبية. وبعض الآيات في الغزوات أو بيت المقدس.

القول الثالث : خالٍ من الإعتراضات. والقسمة ثنائية (مانزل قبل الهجرة مكي/ ومانزل بعدها مدني، مهما كان المكان . ولذلك كان قوله تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة : ٣] آية مدنية نزلت في عرفة.

٢ ـ فائدة معرفة المكي والمدني :

من فوائد معرفة المكي والمدني :

١ ـ عناية المسلمين بهذا تبين الصورة المشرقة لعنايتهم بالقرآن الكريم، وكله دليل على سلامة النص القرآني من كلِّ شائبة . .

٢ ـ الوقوف على السياسة الحكيمة التي سلكها القرآن الكريم في تربية الإنسان، وهي تقوم على التدرج في الأحكام والتكاليف، وعلى البداية بالأولويات التي تتلاءم مع ماتقتضيه تلكم التربية الحكيمة.

فمثلاً ـ اشتمل المكي على تثبيت العقيدة ـ والنهي عن الرذائل ، والأخلاق السيئة ـ وقصص الأولين ـ إشارات ولمحات لبعض القضايا الكبرى التي فصل فيها في المدني . (ذم الربا والخمر) فقد نفى الحُسْنَ عن الخمر. وهي لمحة ذكية يدركها العرب بفطنتهم .

٣ ـ معرفة الناسخ من المنسوخ . والمتتبع لايجد آيات مكية منسوخة، إلا ماقيل عن آية المزمل : ﴿قم الليل إلا قليلاً﴾ .

٤ ـ تيسير فهم الموضوعات القرآنية بحيث تدرس القضايا القرآنية موضوعياً مبينة على الترتيب الزمني، وهو مايعرف اليوم بالتفسير الموضوعي .

٣ - كيفية معرفة المكي والمدني :

ذكر العلماء طريقتين :

١ - المنهج السماعي : وعمدته النقل . كأن يقول بعض الصحابة أو التابعين رَضي الله عنهم : نزلت سورة كذا في المدينة أو كذا قبل الهجرة . كما روي عن السيدة عائشة بأن سورة النساء نزلت في المدينة . وكما روي عن بعض الصحابة أن قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ . . . . . [البقرة : ١٩٥] نزلت في شأن الأنصار . .

ويلحق بهذا :

أن تتحدث السورة الكريمة عن أمر عرف زمانه ومكانه، مثل سورة الأنفال (غزوة بدر). وسورة الإسراء تحدثت عن الإسراء ومن البديهي أن الأولى مدنية والثانية مكية.

٢ - القياسي : وهو ضوابط وخصائص كُلٌّ منهما .

والفرق بين الضوابط والخصائص والمميزات أن الضوابط علامات ظاهرة قد تكون لفظية أو معنوية، إذا وجدت في سورة قيل إنها مكية أو مدنية.

أما الخصائص والمميزات ، فهي الأصول والمقاصد والأغراض والأساليب .

أولاً : ضوابط المكي :

وهي ليست عامة أي ليست في جميع السُّوَر .

١ ـ وجود كلمة كَلاَّ ذكرت ٣٣ مرة في خمس عشرة سورة مكية .

٢ ـ كل سورة فيها سجدة .

وهما ضابطان مطردان بمعنى أنه لاتوجد كَلاَّ ولا سجدة في السور المدنية .

٣ ـ كل سورة فيها قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
من حيث : دعوتهم لأقوامهم لعبادة الله وحده، والابتعاد عن الرذائل الاجتماعية .

واستثنى بعضهم سورة البقرة : ولا ضرورة لهذا الاستثناء، لأن ماذكر في البقرة مِن ذكر إبراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام، ليس مِنْ هذه الحيثية.

يعني : حيثية الدعوة إلى التوحيد . فالحديث عن موسى عليه السلام كان عما جرى بينه وبين بني إسرائيل. والحديث عن أبينا إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء ، وشيخ الحنفاء كان عن بناء الكعبة ومايتصل به.

ثـم : إذا استثنينا سورة البقرة . فلابد أن نستثني غيرها من السـور المـدنية. آل عمـران : قصـة امـرأة عمران وزكريا. والمائدة : نبأ من قصة موسى عليه السلام .

٤ ـ كل سورة بدئت بالحروف المقطعة إلا الزهراوين .

٥ ـ كل سورة ذكرت فيها قصة آدم عليه السلام . إلا سورة البقرة.

٦ ـ كل سورة انفردت بـ «ياأيها الناس» دون نداء المؤمنين مثل: سورة يونس . الأعراف . فإذا اجتمع النداءان فالسورة مدنية مثـل البقرة والنساء . على أن هذين النداءين ذكرا في سورة الحج وقد اختلف فيها .

ثانياً : ضوابط المدني :

١ ـ كل سورة ذكـرت فيها الحدود والفرائض (النساء + المائدة + النور) كلها مدنية باتفاق .

٢ ـ كل آية أمرت المسلمين بالجهاد والقتال (لم نقل ذكر فيها الجهاد لأن هناك فرقاً بين ذكر الجهاد في سورة وبين أمر المسلمين بالجهاد) .

فقـولـه سبحـانـه ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ . . . . [العنكبوت: ٦٩] هي آخر آية في سورة العنكبوت وهي آية مكية عند أكثر العلماء.

٣ ـ كل سورة ذكر فيها المنافقون إلا سورة العنكبوت. عند أكثر العلماء .

خصائص المكي :

كان أهل مكة يعبدون الأصنام وينكرون البعث . ورغم عاداتهم الطيبة كالكرم والشجاعة ، كانت لهم عادات سيئة ورذائل اجتماعية كالوأد وقتل الأولاد خشية إملاق. ويرفعون شأن القبيلة.

فعمد القرآن الكريم في قسمه المكي إلى تغيير معتقداتهم كتثبيت عقيدة التوحيد في القلوب وتحويل الأعراف إلى مايلائم حقيقة الإسلام وإنسانيته وعالميته .

١ ـ فمن أصول القسم المكي الدعوة إلى التوحيد ، ومناقشة المنكرين له . وإقامة الأدلة عليه . ومثاله في الأنبياء [آية: ٢٢] ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ وفي المؤمنون [آية : ٩١]: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ وفي سورة النَّمْل [آية: ٦٠] : ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

٢ ـ ضرب الأمثال : في النحْل [آية : ٧٤]: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ . .﴾ وفي الروم [آية : ٢٨]: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ وفي الزمر [آية : ٢٩]: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ .

٣ ـ تثبيت قواعد إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، ورد

شبهات الذين يزعمون أنهم لايكونون من البشر، وأن الرسالة توضع فيمن يختارهم الله سبحانه لها حسب مكانتهم : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام : ١٢٤].

٤ ـ تثبيت عقيدة البعث ، ومناقشة مايحيك في صدور القوم ، وتفنيد شبهاتهم . والدعوة إلى مباديء الأخلاق الفاضلة .

٥ ـ كثرة قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خاصة التي تتصل بدعوة أقوامهم إلى التوحيد ونبذ العادات السيئة . وذلك لأن أخبار الأولين من أعظم الوسائل المؤثرة في النفوس .

٦ ـ من حيث الأسلوب ، تمتاز السور المكية بالقصر، وقصر الآيات والجزالة في تقرير القواعد وعرض الأحداث والمشاهد.

خصائص القسم المدني :

تكفَّل القسم المدني بتنظيم شؤون حياة الناس وعلاقاتهم بأحكام تفصيلية وعامة تُعرِّف كل إنسان بماله وما عليه .

ـ فمما امتاز به هذا القسم : الحديث عن أهل الكتاب ودعوتهم إلى الحق، ومناقشتهم في بعض ماحرّفوه وبدّلوه.

ـ واشتمل على فضح المنافقين ، والتحذير من ألاعيبهم ومكرهم وكيدهم، لأن النفاق لم يكن مشتهراً في مكة .

- ومن خصائصه بيان أحكام الجهاد والقتال ، تمشياً مع طبيعة هذا الدين، الذي جاء يحرر الناس من العبودية .

- من حيث الأسلوب يمتاز بطول آياته ، وكثير من سوره، لأن الحديث عن الأحكام يحتاج إلى شرح وتفصيل .

ما اسْتُثْنِيَ من السور :

حاولوا أن يستثنوا من السور المدنية آيات قالوا إنها نزلت في مكة.

ومن السور المكية آيات قالوا : إنها نزلت في المدينة . وهنا نلاحظ أمرين :

الأمر الأول : إذا أمكن القول بأن هناك آيات مدنية في السور المكية، على أن تنزل السورة في مكة ثم تنزل آيات بعد ذلك في المدينة فيأمر النبي ﷺ ، أن تلحق هذه الآيات المدنية التي نزلت في المدينة بالسور المكية. فكيف يمكن أن نتصور سورا أنزلت في المدينة وألحقت بها آيات نزلت في مكة . . إن ذلك يصعب أن نتصوره. ولذلك أنكره كثير من المحققين .

وعلى هذا يصح قول من قال بأن هناك سوراً مكية فيها آيات مدنية، مثل سورة الحج. ولكننا نستبعد أن هناك سوراً مدنية فيها آيات مكية.

الأمر الثاني : ما استثنوه في السور المكية من آيات مدنية يظهر فيه الغلو والتكلف في كثير من الأحيان .

وقلّ أن تجد سورة من السور المكية إلا وقد استثنوا منها آيات قالوا إنها مدنية. وفي أغلب الأحوال يكون هذا الاستثناء لأسباب واهية :

إما رواية ضعيفة .

وإما ذكر كلمة توهم أنها ليست مما ينزل في مكة .

وإما حملُ بعض الكلمات على تفسير معين .

أمثلة :

١ ـ استثنوا كلَّ آية ذكرت فيها الزكاة بحجة أنها مدنية، لأن الزكاة إنما فرضت في المدينة .

٢ ـ استثنوا كُلَّ آية ذكر فيها التسبيح، مثل ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم : ١٧] . ومثل : ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [ق : ٣٩] .

٤ ـ السور المكية والسور المدنية :

ذكر العلماء أن السور منها ماهو مكي خالص، ومنها ماهو مدني خالص، وهناك سور مكية فيها آيات مدنية، وسور مدنية فيها آيات مكية. وأقرب الروايات مانقله السيوطي عن ابن الحصار وهي :

المدني باتفاق عشرون، والمختلف فيه اثنتا عشرة سورة، وماعدا ذلك مكي باتفاق .

ومع كون هذه الرواية هي الأقرب إلى القبول ؛ إلا أنه يمكن إجراء بعض التعديل عليها، فالمرجح أن الصف والتغابن مدنيتان، وكذلك المعوذتان.

السور المدنية
البقرة
آل عمران
النساء
المائدة
الأنفال
التوبة
النور
الأحزاب
محمد ﷺ
الفتح
الحجرات
الحديد
المجادلة
الحشر
الممتحنة
الجمعة
المنافقون
الطلاق
التحريم
النصر

السور المختلف فيها
الرعـد
الرحمـن
المطففين
القـدر
البينة
الزلزلة
الإخلاص

ماعدا ذلك من السور فمكية

شكل رقم (١) السور المكية والمدنية

النشاط التقويمي :

١ ـ قيل «من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته، ومانزل بمكة والمدينة» .
اشرح هذا القول .

٢ ـ اذكر تعاريف السور المكية والمدنية ، وبين الراجح منها.

٣ ـ لمعرفة السور المكية والمدنية منهجان :
أ ـ ما هما ؟
ب ـ هات أمثلة على كل منهما .

٤ ـ ميز الآيات المكية من المدنية فيما يلي ذاكراً السبب :

ـ ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ ﴾ [آية ١، ٢].
ـ ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ .
﴿[المطففين : ١٤].
ـ ﴿ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ ﴾ .
.[النور : ٣]
ـ ﴿ حَـٰمٓ ﴾ .
ـ ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ .
[آل عمران : ٦٤]

- ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ [هود : ٣٦]
- ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ . [النساء : ١٤٥].

٥ ـ أ ـ كم عدد السور المكية ؟
ب ـ ما دلالة هذا العدد ؟
جـ ـ كم عدد السور المختلف فيها ؟
د ـ لِمَ اختلف فيها ؟

النشاط الدراسي :

حرص العلماء على الدقة في النقل والرواية والترتيب ومن ذلك ذكر :

١ ـ الآيات المدنية في السور المكية .

٢ ـ ما حمل من مكة إلى المدينة .

٣ ـ ما حمل من المدينة إلى مكة .

٤ ـ ما نزل ليلاً ومانزل نهاراً .

ابحث عن أمثلة لكل من الأقسام السابقة .

المحكم والمتشابه

عناصر الدرس :

١ ـ المعنى اللغوي
٢ ـ معنى المحكم والمتشابه عند العلماء
٣ ـ آراء العلماء في معنى الإحكام والتشابه
٤ ـ حكم ورود المتشابه .
٥ ـ أسباب وقوع التشابه .

● الأنشـــطة

تمهيـــد :

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

[آل عمران : ٧] .

شغلت قضية المحكم والمتشـــابـه الفكـر الإسـلامي في القـديم والحديث، وتعددت فيه كلمات العلماء، وتباينت آراؤهم، . . .

١ - المعنى اللغوي :

المحكم : أصله حكم ومعناه منع ، ومنه سميت اللجام حَكَمَةَ الدابة. قيل حكمتُ الدَّابَّة أي منعتها. وأحكمت الشيء فاستحكم، صار محكماً، واستحكم الأمر واحتكم : وثق .

وبهذا المعنى فإن القرآن الكريم كله محكم ، لأنه يمنع مَن تَدَبَّرَهُ وعمل به من السوء والإنحراف في العقيدة، والفساد في المسلك. قال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] .

المتشابه : أما المتشابه فهو من شَبَه . ومعناه المماثلة ، والمماثلة بين أمرين تعني أن لايتميز أحدهما عن الآخر لما بينهما من التشابه، وَالمُشْتَبَهاتُ من الأمور المشكلات .

وعلى هذا المعنى : القرآن الكريم متشابه كله من حيث مجيئه بأفصح الألفاظ وأبلغ التراكيب، وأصح المعاني.

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر : ٢٣] .

فآي القرآن الكريم كلها صدق . وكلها حق ، وكلها هداية، وسعادة وخير، لا فرق في ذلك بين قصصه وأمثاله وأحكامه العملية والاعتقادية .

٢ ـ معنى المحكم والمتشابه عند العلماء :

ينقسم المتشابه في اصطلاح العلماء إلى قسمين :

القسم الأول : المتشابه اللفظي ، وهو ما يوجد بين بعض آيات القرآن الكريم. كأن تقدم جملة في آية، وتؤخر في أخرى.

أمثلة :

١ ـ ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة : ٣٥]

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف : ١٩]

وهذا مما نجد فيه كلمة في آية ، ولانجدها في أخرى وهنا زيدت كلمة رغدا في سورة البقرة . وتغير العطف في كُلَا.

٢ ـ قوله تعالى : ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة : ٥٨]

﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ [الأعراف : ١٦١]

٣ ـ قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [هود : ٧٧] ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا﴾ [العنكبوت : ٣٣]

٤ ـ قوله تعالى : ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء : ١٣٥] ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [المائدة : ٨]

وهذا القسم هو من أعظم روافد الإعجاز، وقد أُلِّفَتْ فيه كتب كثيرة، منها :

متشابه القرآن	للكرماني
ملاك التأويل	لأبي جعفر بن الزبير
درة التنزيل	الإسكافي
	(يشكك في ذلك كثير من المحققين)

وهذا القسم ليس محل خلاف بين العلماء .

القسم الثاني : وهو الذي يقابل المحكم ، وهو الذي يعنيه العلماء في هذا البحث .

٣ ـ آراء العلماء في معنى الإحكام والتشابه :

لما كان المحكم والمتشابه ليس من الأمور التَّوْقِيفِيَّةِ التي ورد الشرع ببيان تفسيرها ومعناها ، كان من الأمور التَّوقِيفِيَّة والاجتهادية التي كثرت فيهما الأقوال، ومنها :

١ ـ المحكمات الناسخات المتشابهات المنسوخات

يروى ذلك عن ابن عباس وقتادة والضحاك .

٢ ـ إحكامها : بيانها وإيضاحها وهو قول ابن كيسان .

٣ ـ المحكمات مافيه من الحلال والحرام المتشابه مايصدق بعضه بعضاً.

روي هذا عن مجاهد وعكرمة

٤ ـ المحكم مالم تشتبه معانيه المتشابه مااشتبهت معانيه

روي كذلك عن مجاهد

٥ ـ المحكم مالم يتكرر لفظه المتشابه المتكرر لفظه

روي عن ابن زيد

٦ ـ المحكم مايعرف تعيين تأويله المتشابه مالايعرف تعيين تأويله نحو الساعة .

روي عن جابر بن عبدالله

٧ ـ المحكم مالا يحتمل إلا وجهاً المتشابه ما احتمل أكثر من وجه

روي عن محمد بن جعفر بن الزبير

٨ ـ المحكم ماكان خبراً لا يلحقه النسخ المتشابه : الناسخ والمنسوخ ، اشتبه عليهم ، لايعلمون منتهى مايصير إليه أمره وأمر العمل به .

٩ - المحكمات الآيات الثلاث في آخر الأنعام: ﴿قل تعالوا﴾ (١٥١/١٥٣)
المتشابه ماتشابه عليهم نحو : الم - الر - يس . . .

روي عن ابن عباس

١٠ - المحكم ماكان معقول المعنى
المتشابه بخلافه كأعداد الصلاة واختصاص الصيام برمضان .

١١ - المحكم الذي يعمل به
المتشابه الذي يؤمن به ، ولا يعمل به .

وبالنظر إلى هذه الأقوال يتبين أن بعضها متداخل في بعضها الآخر ويمكن أن يرجع المقبول منها إلى رأيين اثنين :

الأول : أن المحكم ماوضح معناه ، والمتشابه مالم يتضح معناه إلا بعد إجالة نظر وإعمال فكر .

الثاني : أن المحكم ماعلم معناه وكان في دائرة الإمكان.
والمتشابه مااستأثر الله بعلمه .

وعلى هذين المذهبين تدور أقوال العلماء .

وقد ذهب إلى القول الأول : أكثر المفسرين ، وعلماء الكلام، وبعض أئمة الفقه والأصول .

يقول الإمام الغزالي في المستصفي : «إذا لم يرد توقيف في تفسيره، فينبغي أن يفسر بما يعرفه أهل اللغة، ويناسب اللفظ من حيث

الوضع، ولايناسبه قول من قال : المتشابه، الحروف المقطعة في أوائل السور، والمحكم ماسواه. ولا قولهم : المحكم مايعرفه الراسخون في العلم، والمتشابه ما انفرد الله بعلمه .

ولا قولهم : المحكم : الوعد والوعيد والحلال والحرام، والمتشابه القصص والأمثال فهو أبعد الأقوال .

بل الصحيح : أن المحكم يرجع إلى مَعْنَيَيْنِ :

١) - أحدهما : المكشوف المعنى الذي لايتطرق إليه إشكال واحتمال. والمتشابه مايتعارض فيه الاحتمال .

٢) - الثاني : أن المحكم ما انتظم ترتيبه مقيدا، إما ظاهراً وإما بتأويل.

أما المتشابه : فالأسماء كَالْقُرْءِ (فهو متردد بين الحيض والطهر) وكالذي بيده عقدة النكاح (فهو بين الولي والزوج). وكاللمس (فهو بين الوطء والمس باليد) ونحوها .

ويطلق أيضاً على ماورد في صفات الله تعالى : مما يوهم ظاهره الجهة، والتشبيه ، ويحتاج إلى تأويل [1] .

أما المذهب الثاني فقد ذهب إليه بعض أئمة الفقه .

---

(١) الغزالي ، المستصفي

يقول الشاطبي : «فالتشابه حقيقي وإضافي، فالحقيقي مالا سبيل إلى فهم معناه ، وهو المراد من الآية، والإضافي ما اشتبه معناه لاحتياجه إلى مراعاة دليل آخر، فإذا تقصى المجتهد أدلة الشريعة، وجد فيها مايبين معناه، والتشابه بالمعنى الحقيقي قليل جداً في الشريعة، وبالمعنى الإضافي كثير[1] .

مناقشة هذين القولين :

أصحاب المذهب الأول بنوه على أساسين اثنين ؛ النقل والعقل :

١ ـ أما النقل ففي كثير من كتاب الله تعالى مثل :

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل : ٨٩] .

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود : ١] .

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص : ٢٩] .

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر : ٢٨]

---

(١) الشاطبي ، الموافقات ، ٩١/٣

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد : ٢٤]

ومثل هذه الآيات آيات كثيرة .

ومن الأحاديث النبوية ، قول النبي ﷺ : «وأنزلتُ عليك كتابا لايغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظاناً» .

ودعاؤه - ﷺ - لابن عباس أن يعلمه الله التأويل .

٢ - وأما العقل : فلأن الله تعالى - وهو الحكيم الخبير - لايكلف الناس مالايطيقون ، ومن حكمته أن لايتعبدهم بما يعجزون عن فهمه، ولايستطيعون إدراكه ، لأن ذلك يتنافى مع التيسير.

أصحاب المذهب الثاني :

يستدلون على ماذهبوا إليه ، من وجود المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، بأن ذلك للابتلاء، حتى يتبين المؤمنون الصادقون. فذِكْرُ مالا يستطيع الناس فهمه، وقبولهم له، وتسليمهم به من غير مراء، من أقوى الأدلة على صدق الإيمان ، وهو الذي يتفق مع معنى العبودية. ومن ذلك :

علم الساعة - الروح - الدّجّال - الدابة - عدد الركعات - تخصيص بعض الشعائر بأوقات معينة - الحروف المقطعة في فواتح السور - آيات الصفات .

وعند التأمل في هذه الأمور جميعاً يتضح أنها ليست محلاً للنزاع بين المسلمين لأن النزاع والخلاف في أن تقرأ آية من كتاب الله ولايعقل معناها أو لايستطيع أحد معرفتها .

أما الحروف المقطعة فقد ذهب المحققون من العلماء بأن لها معنى معقولاً. فعلى حين ذهب بعضهم إلى أنها أسماء للسور، ذهب الأكثرون إلى أنها حروف افتتحت بها بعض سور القرآن الكريم للتحدي والتنبيه وقرع الأسماع .

أما آيات الصفات فإن اختلاف العلماء فيها ليس ناشئاً عن عدم الفهم، بل هو ناشئ عن أمر آخر، وهو أن الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى : ١١] .

لذلك اختلف العلماء في فهمها، فبعضهم أبقاها على ظاهرها، وذهب الأكثرون إلى تأويلها بما يتفق مع تنزيه الله عز وجل وتقديسه، ومع مايتفق كذلك مع أسلوب القرآن العربي المبين.

٤ - حكم وُرُودِ التَّشَابُهِ :

إن الحكمة من التشابه تختلف باختلاف الآراء فيه .

ـ فأما الذين يرون أن المتشابه ما استأثر الله بعلمه، فتتلخص كلمة التشابه عندهم في أنه مما ابتلى الله به عباده، وتعبدهم به، فهم يؤمنون به دون أن يعلموا المراد منه.

ـ أما عند الفريق الآخر وهم الذين يرون أن المتشابه ماخفيت دلالته، فيذكرون له فوائد كثيرة. يقول الإمام الرازي : «وَاعْلم أن العلماء ذكروا في فوائد المتشابهات وجوهاً :

الوجه الأول : أنه متى كانت المتشابهات موجودة ، كان الوصول إلى الحق أصعب وأشق ، وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران : ١٤٢] .

الوجه الثاني : لو كان القرآن محكما بالكلية لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد ، وكان تصريحه مبطلاً لكل ماسوى ذلك المذهب، وذلك مما ينفر أرباب المذاهب عن قبوله، وعن النظر فيه، فالانتفاع به إنما حصل لما كان مشتملاً على المحكم وعلى المتشابه، فحينئذ يطمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه مايقوي مذهبه، ويؤثر مقالته، فحينئذ ينظر فيه جميع أرباب المذاهب، ويجتهد في التأمل فيه كل صاحب مذهب، فإذا بالغوا في ذلك، صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات، فبهذا الطريق يتخلص المبطل من باطله ويصل إلى الحق.

الوجه الثالث : أن القرآن إذا كان مشتملاً على المحكم والمتشابه، افتقر الناظر فيه إلى الاستعانة بدليل العقل، وحينئذ يتخلص عن ظلمة التقليد، ويصل إلى ضياء الاستدلال والبينة، أما لو كان كله

محكماً لم يفتقر إلى التمسك بالدلائل العقلية، فحينئذ كان يبقى في الجهل والتقليد .

الوجه الرابع : لما كان القرآن مشتملاً على المحكم والمتشابه ، افتقروا إلى تعلم طرق التأويلات وترجيح بعضها على بعض، وافتقر تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو، وعلم أصول الفقه، ولو لم يكن كذلك لما كان يحتاج الإنسان إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة، فكان إيراد هذه المتشابهات لأجل هذه الفوائد الكثيرة. (١) .

٥ ـ أسباب وقوع التشابه :

أسباب وقوع المتشابه في القرآن قد ترجع إلى اللفظ، أو إلى المعنى، أو إليهما جميعاً .

١ ـ مايرجع إلى اللفظ : وهو إما أن يكون في المفردات أو التراكيب

أ ـ المفردات :

سبب التشابه فيها ، إما لغرابتها كالأبِّ في قوله سبحانه : ﴿وفاكهة وأباً﴾ . ومثل : يَزِفُّونَ في قوله تعالى : ﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ [الصافات : ٩٤] . ومثل ﴿ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴾ [النجم : ٦١] .

---

(١) تفسير الرازي ، ١٨٥/٧

وهناك ألفاظ مشتركة بين معنيين أو أكثر: كاليد والعين في قوله تعالى : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] و ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ [طه : ٣٩] . وكَالْقُرْء : ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [البقرة : ٢٢٨] فهو لفظ مشترك بين الحيض والطهر .

ومثل لفظ : المسحرين مثل : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ . . [الشعراء : ١٥٣] لفظ مشترك بين من أصابه السحر، وبين من هو ذو رئة ويأكل ويشرب. لذلك اختلف المفسرون في الآية الكريمة (الطبري : سورة الشعراء) .

ب ـ التراكيب :

قد يكون سبب التشابه فيها الإيجاز والاختصار، أو الإطناب، لفائدة .

مثال :

قوله تعالى : ﴿ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ﴾ [النساء : ١١] .

فلقد ذكر في الآية نصيب مازاد على الإثنتين، ونصيب الواحدة، ولم يذكر نصيب الإثنتين، وفي شأن الأخوات : ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾ [النساء : ١٢] وكذلك : ﴿ إِنِ ٱمْرُؤٌا

هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ﴾ [النساء : ١٧٦] . فقد ذكر نصيب الواحدة والاثنتين ولم يذكر مازاد عليهما، فاختلف الصحابة في نصيب الإثنتين .

أما مايرجع إلى الإطناب وبسط الكلام، فمثل قوله سبحانه : ﴿ليس كمثله شيء﴾ ولم يقل : ليس مثله شيئاً، ولذلك تعددت آراء العلماء في المقصود من هذه الكاف.

وقد يرجع التشابه في المزكّبات إلى نظم الكلام مثل : ﴿وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ . بعد قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ . ﴾ [الفتح : ٨، ٩]، حيث اختلفوا في مرجع الضمائر في قوله : وتعزروه - وتوقروه - أهو الله أم رسول الله ﷺ .

وقد يكون سبب التشابه اختلاف القراءات المتواترة :
- مثل قوله تعالى : ﴿حتى تَطْهُرْنَ﴾ وفي قراءة ﴿ يَطَّهَّرْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].
- وقوله تعالى : ﴿ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ [المائدة: ٦] (بجر أرجلكم ونصبها) .
- وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ [المائدة: ٦] بفتح همزة أن. وفي قراءة بكسرها على أنّ إن شرطية.

٢ - <u>مايرجع إلى المعنى</u> :

ومنه. صفات الله سبحانه وتعالى ، وأخبار يوم القيامة .

٣ ـ ما يرجع إلى اللفظ والمعنى كليهما :

وهو أنواع :

فمنه مايرجع إلى العموم والخصوص، ومنه مايرجع إلى الناسخ والمنسوخ، ومنه مايرجع إلى الوجوب والندب، ومنه مايرجع إلى الشروط التي يصح بها الفعل أو يفسد.

ومنه مايرجع إلى معرفة عادات العرب وأحوالهم .

أ ـ مثال مايرجع إلى العموم والخصوص : قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة : ٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾ [البقرة : ٢٢١] فقد اختلف العلماء : أهي عامة تشمل المشركات كلهن، أم مخصوصة بغير الكتابيات، لقوله تعالى : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [المائدة : ٥].

ب ـ ومثال مايرجع إلى النسخ : قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾ [النساء : ٨]

جـ - ومثال الوجوب والندب قوله تعالى : ﴿إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ . ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وقوله : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء : ٣] .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ﴾ [النساء : ٦]

د - ومثال مايرجع إلى الشرط ، قوله تعالى : ﴿ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ ﴾ [النساء : ٢٣] . فقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم ، أيشترط في تحريم الربيبة أن تكون في حجر زوج أمها ، أم لايشترط ذلك ؟

هـ - ومثال مايتصل بعادات العرب، قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ [التوبة : ٣٧] فإن معرفة تفسير هذه الآية الكريمة، تتوقف على ماكانوا يفعلونه في الجاهلية . ومثل ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ ۚ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ الآية فإن من فسر الآية على ظاهرها، لابد له من أن يعرف ماكانوا يفعلون في جاهليتهم كذلك.

النشاط التقويمي :

١ - القرآن الكريم محكم كله، ومتشابه كله ، كيف يكون كذلك ؟

٢ ـ ميز بين نوعي المتشابه في القرآن الكريم .

٣ ـ قارن بين رأي الغزالي ورأي الشاطبي في المتشابه .

٤ ـ في آيات الصفات قال الشيخ السالمي :

والرد للمحكم حكم الثاني أو يلزمن تناقض القرآن

اشرح البيت السابق .

٥ ـ قسم الراغب الأصفهاني المتشابه من حيث الوقوف على معناه إلى :

ـ ضرب لاسبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة . . .

ـ ضرب للإنسان أسباب إلى معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة .

ـ ضرب متردد بين الأمرين يختص به بعض الراسخين في العلم، وهو المشار إليه بقوله ﷺ لابن عباس : «اللهم فَقِّههُ في الدين وعلمه التأويل» انقد هذا الرأي .

٦ ـ في وجود المتشابه بين آيات القرآن الكريم حافز على الفهم والتدبر بيّن ذلك ؟

٧ ـ يرجع وقوع المتشابه في القرآن الكريم إلى :

ـ اللفظ

- أو المعنى
- أو كليهما

مثل لكل منها .

النشاط الدراسي :

ارجع إلى تفسير «هميان الزاد» وتفسير «المنار» الآية (٨) من سورة آل عمران، ولخص ماذكراه، وقارن بين ذلك .

الناسخ والمنسوخ

عناصر الدرس :

١ ـ تعريف النسخ
٢ ـ دليل النسخ .
٣ ـ طرق معرفة النسخ .
٤ ـ من الآيات المنسوخة في القرآن الكريم .

● الأنشـــطة

تعريف النسخ :

يطلق النسخ في اللغة إطلاقين :

١ ـ الإزالة : ومثاله نَسَخَ الريحُ الأثرَ .

٢ ـ النقل : ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية : ٢٩].

وفي الاصطلاح :

رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي صالح للنسخ، متراخ عن المنسوخ

ويؤخذ من التعريف :

أولا - أن المنسوخ لابد أن يكون حكماً ثبت بالشرع . ومن هنا فإن إبطال عادات الجاهلية وما أشبهها لايسمى نسخاً، كالظهار فإن بيان أحكامه وكفارته لا يُعدُّ نسخاً . لأن عادات الجاهلية ليست حكماً شرعياً .

ثانياً - أن النسخ لايكون إلاَّ للأحكام ، أما الأخبار ـ سواء القصص أو الأخلاق والمواعظ أو العقائد ـ فلا يدخلها النسخ ، لأنه رفع حكم شرعي .

ثالثاً - لابد من تعارض بين الحكم الناسخ والحكم المنسوخ ، بحيث يتعذر الجمع بينهما ، أما إذا أمكن الجمع فلا نسخ، وهذا هو المسلك الذي سلكه العلماء، لايذهبون إلى القول بالنسخ إلا بعد مراحل من البحث .

رابعاً - أن الناسخ يجب أن يكون مُتَرَاخياً عن المنسوخ، أما إذا لم يكن متراخياً عنه فلايُسَمىَّ نسخاً، ولذلك قالوا في الآية: ﴿ثم أتِمُّوا الصيام إلى الليل﴾ بأن قوله ﴿إلى الليل﴾ ليست ناسخة للحكم وهو قوله : ﴿ثم أتموا الصيام﴾، بل هي مبينة لغاية انتهاء الصوم.

وأصرح من هذا في الدلالة قوله تعالى : ﴿وَٱلَّتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ...﴾ [النساء : ١٥] ثم قال ﷺ : «خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً .

قالوا: فهذا ليس نسخا للآية الكريمة، لأن الحكم الذي ثبت في الآية لم يأت بصورة التأبيد والدوام بل جاء مؤقتاً، يفهم هذا من قوله تعالى : ﴿أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾ .

خامساً - أن رفع الحكم إذا لم يكن بحكم شرعي فليس نسخاً، كرفع الحكم بسبب الموت أو الجنون .

٢ - دليل النسخ :

دليل وقوع النسخ في كتاب الله قول الله تعالى : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ١٠٦] ولا حجة في الاستدلال بقوله تعالى : ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾ . . . . [فصلت : ٤٢] على عدم وقوع النسخ في كتاب الله إذ أن النسخ ليس بباطل ، إنما الباطل ماليس بحق .

٣ - طرق معرفة النسخ :

أهمية النسخ ومايترتب عليه من نتائج أمر لابد فيه من الحيطة ، ولذلك فإن الحكم على أحد النصين بأنه ناسخ أو منسوخ لايخضع للاجتهاد، ولايؤخذ فيه بقول لايستند إلى حجة شرعية، وكما أن طريق النسخ لا يكون بالاجتهاد ، فإنه لايقبل فيه قول مفسر - حتى قول الصحابي - مالم يثبت بطريق صحيح، ويكون هذا القول مؤيداً بقرائن.

كما أنه ليس من طريق معرفة النسخ كذلك تقدم الآية أو تأخرها في كتاب الله ، بحيث يقال : إن الآية المتقدمة منسوخة، والمتأخرة ناسخة، لأن ترتيب القرآن في المصحف يختلف عن ترتيب النزول كما في قوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ . . . . [البقرة : ٢٣٤] ، حيث جاءت قبل قوله سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ ﴾ [البقرة : ٢٤٠] مع أن هذه منسوخة والأولى ناسخة .

ومن طرق معرفة النسخ :

أولا - أن يكون أحد النصين فيه دلالة على تأخره عن النص الأول. مثل قوله سبحانه ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ ففيه دلالة على أنه متأخر عن قوله تعالى : ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ [الأنفال : ٦٥] .

كذلك قوله - ﷺ - : «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها» فإنه دليل على تأخر النص عن الذي قبله .

ثانياً - من طرق معرفة النسخ أيضاً، الإجماع على أن أحد النَّصّيْنِ هو الناسخ .

ثالثاً - أن يثبت ذلك من قول الصحابة رضوان الله عليهم، أما تفرد أحد الصحابة بالقول ، فلا يكون طريقاً لمعرفة النسخ، لأنه يمكن أن يقوله اجتهاداً، فلابد أن يكون

قول الصحابي في أمر النسخ معه من القرائن الدالة على أنه لم يقله اجتهاداً.

٤ ـ من الآيات المنسوخة في القرآن الكريم :

الأصل في آيات كتاب الله الإحكام، ولاتنسخ آية من كتاب الله إلا بدليل صريح على النسخ .

ومن الآيات المنسوخة في كتاب الله الكريم :

ـ نسخ الصدقة بين يدي نجوى رسول الله ﷺ في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ [المجادلة : ١٢] بقوله تعالى ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [المجادلة : ١٣] .

ـ نسخ الحبس في البيوت بقوله تعالى ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ (النساء : ١٥) بقوله تعالى في غير المحصنين : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور : ٢]. وبالرجم للثيب الوارد في السنة.

ـ نسخ قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة : ٢٤٠]

بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

- نسخ قوله تعالى : ﴿ فَإِن جَآءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ [المائدة : ٤٢] بقوله تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ [المائدة : ٤٩] .

- نسخ قوله تعالى : ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [المزمل : ٢]
بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ . ﴾
[المزمل : ٢٠] .

النشاط التقويمي :

١ ـ اشرح قول الجمهور :
«النسخ لايقع إلا في الأمر والنهي» .

٢ ـ فسر العبارة التالية :
النسخ منوط بحكمة المشرع ومصلحة العباد .

٣ ـ طرق معرفة النسخ لاتكون بالاجتهاد .
أ ـ لِـمَ ؟

ب ـ ماهي طرق معرفة الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم مع التمثيل ؟

٤ ـ تدبر الآيات المنسوخة في الدرس واستخلص العبر من ذلك .

النشاط الدراسي :

١ ـ اجمع آيات منسوخة من كتاب الله غير الواردة في الدرس

٢ ـ ارجع إلى «جواهر التفسير» للشيخ أحمد الخليلي ولخص تفسيره لقوله تعالى :
«ماننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها» .

الأمثال في القرآن

عناصر الدرس :

١ ـ تعريف الأمثال
٢ ـ أقسام الأمثال في القرآن الكريم .
٣ ـ فوائد الأمثال .
٤ ـ نموذج من أمثال القرآن الكريم .

● الأنشـــطة

١ ـ تعريف الأمثال :

الأمثال جمع مثل ، والمَثَل والمِثل والمثيل : كالشبَهِ والشِّبْهِ وَالشَّبِيهِ لفظاً ومعنى .

ثم قيل للقول السائر الذي يشبه فيه حال المحكي حال ماقيل لأجله في الأصل .

ويطلق على الحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة .

والمثـل عنـد علماء البيان «المجـاز المركب من علاقة المشابهة» وأمثـال القرآن الكريم تشتمل على تمثيل حال أمر بحال أمر

آخر، والمثل في القرآن الكريم : «إبراز المعنى في صورة حسية موجزة» .

٢ ـ أقسام الأمثال في القرآن الكريم :

في القرآن الكريم الكثير من الأمثال .

وتنقسم الأمثال في القرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام هي :

أ ـ الأمثال المصرحة :

وهو قسم صريح يصرّح فيه بلفظ المثل أو مايدل على التشبيه، وهو أمثال كثيرة مثل :

- ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [البقرة : ١٧، ١٨]

- ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾

[الرعد : ١٧].

ـ ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

[الفتح : ٢٩]

ب ـ الأمثال الكامنة :

وهي الأمثال التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل، ولكن يفهم أنها تحكي شيئاً واقعاً يمثل له . مثل :

ـ ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] ، ويقابله عند العرب «خير الأمور الوسط» .

ـ ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر : ٤٣] ويقابله «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها» .

ـ ﴿ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٧] ، ويقابله «لاتلد الحيّة إلا الحية» .

ـ ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء : ١٢٣] ويقابله «كما تدين تدان» .

جـ - الأمثال المرسلة :

وهي آيات قرآنية أرسلت إرسالا دون تصريح بلفظ التشبيه ، وتجري مجرى الأمثال . ومن ذلك :

- ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام : ٦٧]

- ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة : ٩١]

- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة : ٢٨٦]

- ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود : ٨١]

- ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف : ٤١]

- ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء : ٨٤]

- ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن : ٦٠]

- ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ [يوسف : ٥١]

- ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة : ٢١٦]

- ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر : ٣٨]

- ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون : ٥٢]

- ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات : ٦١]

ومن غير الجائز التمثل بالقرآن في مقام الهزل والمزاح، واختلف في التمثل بالقرآن في مقام الجد، فذهب البعض إلى جواز ذلك ، كما إذا حاور إنسان صاحب مذهب فاسد يحاول استهواءه إلى الباطل فقال له ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون :٦] وذهب البعض إلى عدم الجواز لأن القرآن لم ينزل ليُتَمثَّل به ، وإنما ليتدبر ويعمل به .

٣ - فوائد الأمثال :

للأمثال في القرآن الكريم فوائد متعددة هذه أهمّها :

أ - تقريب المعاني إلى القاريء والمستمع في صورة محسوسة تستقر في الذهن ، وترسخ في القلب ، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج : ٧٣] .

ب - تأليف المعاني المجردة في عبارة موجزة تبرز وحدتها وترابطها

كما في قوله تعالى : ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

جـ ـ القوة في التأثير على النفس، فهي أبلغ في الوعظ، وأشد في الزجر، وأكثر قدرة في الاقناع، وذلك كقوله تعالى : ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾ إلى قوله ﴿وأحيط بثمرة .....﴾ [الكهف : ٣٢].

٤ ـ نموذج من أمثال القرآن الكريم :

ـ قال تعالى : ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ ۖ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٥ ، ١٧٦] .

ضرب الله تعالى هذا المثل لكفار بني إسرائيل ، حين كفروا بنبوة سيدنا محمد ﷺ وهم يعلمون بنبوته وكانوا يستفتحون به على المشركين.

والنبأ في الآية نبأ أحد علماء بني إسرائيل، أوتي علم بعض كتب الله عز وجل، لكنه أخلد إلى الدنيا وشهواتها، وركب أهواءه، ولم ينفعه علمه، فغدا يلهث خلف الدنيا ومغانمها كالكلب يلهث في كل حال إن جاع أو شبع .

«إنه مشهد من المشاهد العجيبة، الجديدة كل الجدة على ذخيرة هذه اللغة من التصورات والتصويرات، إنسان يؤتيه الله آياته، ويخلع عليه من فضله، ويكسوه من علمه، ويعطيه الفرصة كاملة للهدى والاتصال والارتفاع . . ولكن هاهو ذا ينسلخ من هذا كله انسلاخا. ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه، فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه.

. . ثم إذا هو مسخ في هيئة الكلب يلهث إن طورد ويلهث إن لم يطارد . . . كل هذه المشاهد المتحركة تتتابع وتتوالى ، والخيال شاخص يتبعها في انفعال وانبهار وتأثر . . . فاذا انتهى إلى المشهد الأخير منها . . . مشهد اللهاث الذي لاينقطع . . . سمع التعليق المرهوب الموحي ، على المشهد كله :

﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ . . وهل أسوأ من هذا المثل مثلا ؟ وهل أسوأ من الانسلاخ والتعري من الهدى ؟ وهل أسوأ من اللصوق بالأرض واتباع الهوى ؟

وما أكثر مايتكرر هذ النبأ في حياة البشر، ما أكثر الذين يعطون علم دين الله ، ثم لايهتدون به، إنما يتخذون هذا العلم وسيلة لتحريف الكلم عن مواضعه، واتباع الهوى به . . هواهم وهوى المتسلطين الذين يملكون لهم ـ في وهمهم ـ عرض الحياة الدنيا .

وكم من عالم دين رأيناه يعلم حقيقة دين الله ثم يزيغ عنها ، ويعلن غيرها، ويستخدم علمه في التحريفات المقصودة والفتاوى المطلوبة لسلطان الأرض الزائل ! يحاول أن يثبت بها هذا السلطان المعتدي على سلطان الله وحرماته في الأرض جميعاً» [1] .

النشاط التقويمي :

١ ـ للمثل تعاريف متعددة ، اذكر ثلاثة منها ، وقارن بينها .

٢ ـ المثل في القرآن الكريم لايحمل على المعنى اللغوي للكلمة، ولا على معنى الأمثال عند علماء البيان ، علل ذلك .

٣ ـ ميز بين أقسام الأمثال في القرآن الكريم .

٤ ـ انسب كل مثل مما يلي إلى قسمه من أمثال القرآن الكريم :

أ ـ ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القلم : ١٧] .

ب ـ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النور : ٣٩].

---

(١) في ظلال القرآن ـ ٣/ ١٣٩٦ ـ ١٣٩٨ .

جـ - ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ﴾ [البقرة : ٦٨].

د - ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ [المائدة : ١٠٠].

هـ - ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأعراف : ٥٨].

و - ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ . ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

ز - ﴿ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم : ٥٨].

ح - ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [الحشر : ١٤].

ط - ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ١١٠].

٥ - أ - عدد ثلاثة فوائد للأمثال في القرآن الكريم .

ب - هات مثالا على كل منها غير الأمثلة الواردة عليها بالدرس .

٦ - قال أبو عبيد «وكذلك الرجل يريد لقاء صاحبه أو يهم

بحاجته، فيأتيه من غير طلب فيقول له كالمازح ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه : ٤٠] فهذا من الاستخفاف بالقرآن» .

أ ـ ما الدليل الذي استند إليه أبو عبيد ؟

ب ـ ما الحكم لو قيل المثل في الجد ؟

النشاط الدراسي :

يرجع الطالب إلى كتاب «من أسرار البلاغة» للشيخ عبدالقادر الجرجاني ويلخص ماجاء فيه عن الأمثال في القران الكريم .

إعجاز القرآن الكريم

عناصر الدرس :

١ ـ تعريف المعجزة
٢ ـ إعجاز القرآن .
٣ ـ الإعجاز البياني .
٤ ـ الإعجاز التشريعي .
٥ ـ الإعجاز العلمي .

● الأنشـــطة

تمهيـــد :

من نعم الله تعالى أنه لم يخلق الناس ويدعهم وشئونهم، إنما تكفل لهم سبحانه بما يصلح شئونهم ويحقق السعادة في دنياهم وآخرتهم، لأن الإنسان مهما أُوتِيَ من علم، وأودع الله فيه من عقل، فإن ذلك لايغنيه عن الهداية الربانية، لذا كان من رحمة الله وحكمته، أن يرسل الرسل، مبشرين ومنذرين، يدعون الناس إلى الإيمان بالله الواحد، ويبينون لهم ما يُصْلِحُهُمْ .

ولما كان كثير من الناس يمكن أن يكذِّبوا هؤلاء الرسل في دعواهم، كان من رحمة الله أن يُؤَيِّدَ هؤلاء الرسُل بالمعجزات ، تصدقهم في دعواهم النبوة، حتى لا تبقى شبهة تحيك في النفوس.

١ ـ تعريف المعجزة :

أ ـ المعجزة لغة :

أصل مادة معجزة العجز . يقول الراغب الأصفهاني : عَجُز : عَجُزُ الإنسان : مُؤَخَّرُهُ . وبه شُبِّهَ مؤخّر غيره، قال تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر : ٢٠] .

والعَجْزُ : أصله التأخر عن الشيء . وحصوله عند عجز الأمر، أي مؤخره، كما ذكر في الدُّبُر ، وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة . قال تعالى : ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ﴾ [المائدة : ٣١]، وأعجزتُ فلاناً وعَجَزْتُهُ وعاجَزْتُهُ جعلته عاجزاً» (١) .

ب ـ المعجزة اصطلاحاً :

هي أمر خارق للعادة يدل على تصديق الله للمدعي في دعواه الرسالة، أو هي تأييد الله مُدعي النبوة بما يؤيد دعواه ليصدقه المرسل إليهم.

والمعجزة لابد لها من شروط حتى تتحقق . ومنها :

١ ـ أن تكون فعلاً لله تبارك وتعالى . فلاتكون من فعل البشر.

---

(١) الأصفهاني : المفردات ، ص ٣٢٣ .

٢ ـ أن تكون خارقة للعادة ، ليست مما يألفه الناس ويعتادونه .

٣ ـ أن تكون معارضتها غير ممكنة (لايمكن للناس أن يأتوا بمثلها) .

٤ ـ أن تكون قد ظهرت على يد مدعي النبوة، وليس على يد غيره من الناس .

٥ ـ أن تكون موافقة لما يَدَّعيه النبي .

٦ ـ أن تكون بعد ادعاء النبوة وليس قبله .

ومن حكمة الله سبحانه أن المعجزة تكون منسجمة مع أحوال الناس الذين ظهرت فيهم. لأن الناس يختلفون باختلاف أزمنتهم وأمكنتهم ، فالمعجزة لابد أن تكون جارية مع تفكيرهم، ومع طبيعة بيئتهم .

ومن الأمثلة على ذلك :

١ ـ معجزة موسى عليه السلام العصا التي ألقاها باسم الله، فإذا هي حية تسعى، وهي تشبه السحر، والأمة التي تحدّاها تفوّقت في السحر .

٢ ـ ومعجزة عيسى عليه السلام منسجمة مع البيئة . لأن

العهـد الـذي أرسل فيه ، كان عهداً قد طغت عليه المادة. وبخاصة على بني إسرائيل، حيث قطعوا كل صلة بينهم وبين شريعة موسى. فكانت معجزته تقويضاً للمادة رأساً على عقب ، وصفعة للماديين . وليس صحيحاً مايقال من أن معجزته كانت إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، لأن قَومَهُ اشتهروا بالطب .

٣ ـ معجزة النبي محمد ﷺ كانت القرآن الكريم، الذي كان على درجة كبيرة من الفصاحة والبلاغة ، لأن القوم كانت البلاغة بضاعتهم .

ومعجزة النبي ﷺ معجزة عقلية ، وسبب كونها عقلية أنها معجزة عامة باقية خالدة على مر الأزمنة والعصور، فعموم الرسالة وبقاؤها ودوامُها يتطلب أن تكون معجزة عقلية تامّـة الهـداية لاتقتصر على مجال دون مجال، أو مكان دون مكان، أو شعب دون شعب .

٢ ـ إعجـازُ الْقُرْآن :

معنى إعجـاز القـرآن عجزُ الناس عن الإتيان بمثله، فكلمة إعجاز مصدرٌ، وإضافتها إلى القرآن من إضافة المصدر إلى فاعله، فكأن التقدير: أعجز القرآن الناس أن يأتوا بمثله .

وجـــوه الإعجـــاز

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للنبي ﷺ - وقد اتفق العلماء على أن أعظم وجوه إعجاز القرآن بيانه وبلاغته ونظمه، ولكنهم اختلفوا فيما وراء ذلك :

- رأى بعضهم أن القرآن الكريم معجز ببيانه فحسب.
- ذهب أكثرهم إلى أن وجوه الإعجاز كثيرة ومتعددة منها البياني والعلمي والتشريعي .

وتـــرجيح أحـد هذين القـولـين يستلزم التحـدث عن التحدّي ومراحله .

امتاز العرب بسلامة السليقة ، وسرعة البديهة ، وعرفوا كثيراً من أصول النَّقْد الأدبي ، ولذلك ؛ لما سمعوا القرآن الكريم استولى على مسامعهم، وَصَارَ حديث نواديهم، واهتزت له ألبابهم، فكان حَرِيًّا بهم أن يؤمنوا به، ولكنهم كانوا أشد عناداً، فتحداهم القرآن، وأرخى لهم العنـان في التحـدي، ولكنهم وقفـوا منـه موقف العاجز، فلم يستطيعوا معارضته، مع أن الأسباب متوفرة لديهم، وهي فصاحتهم وبلاغتهم، واستثارة القرآن لهم، فقد رماهم بسفاهة العقل، وسبِّ آلهتهم . . ومـع هذا فقد عجزوا عن معارضته، فاتجهوا إلى اتهام الرسول ﷺ بالكهانة والسحر والجنون.

مراحل التحدي

تحدى القرآن الكريم العرب في أكثر من آية على مراحل متعددة،

وهذه المراحل :

أولا : تحدوا أن يأتوا بمثل القرآن من غير تعيين ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور : ٣٤] .

ثانيا : لما عجزوا عن الإتيان بمثله أرخى لهم القرآن الكريم العنان : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ [هود : ١٣] .

ثالثا : فلما عجزوا ، ولم يستطيعوا ، خفف عنهم القرآن الكريم، فقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس : ٣٨] .

رابعا : ولكن القوم عجزوا كذلك ، فتحداهم القرآن الكريم للمرة الأخيرة فقال : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٣] .

دراسة هذه المراحل

أولا : نلاحظ أن هذه المراحل الثلاث الأولى كلها مكية التنزيل، فالطور وهود ويونس سور مكية باتفاق، أما الآية الرابعة فهي مدنية باتفاق .

ثانيا : أن المراحل الثلاث الأولى خوطب بها العرب، لأنهم هم المتحدون في هذه السور الثلاث. أما المرحلة الرابعة، فقد خوطب بها الناس جميعاً، يدل على ذلك سياق الآيات : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة ٢١/٢٣] .

ثالثا : أن المراحل الثلاث الأولى مختلفة من حيث الأسلوب عن المرحلة الرابعة وبيانه :

المرحلة الأولى : فليأتوا بحديث مثله .
والثانية : قل فأتوا بعشر سور مثله .
والثالثة : فأتوا بسورة مثله .

أما المرحلة الرابعة فجاء الأسلوب فيها : فأتوا بسورة من مثله . فكلمة «من» لم تذكر إلا في المرحلة الرابعة.

فهناك اختلاف بين المراحل الثلاث والمرحلة الرابعة من حيث التنزل، ومن حيث السياق، والأسلوب. ولهذه الفروق دلالاتها في ترجيح أحد القولين السابقين في بيان وجوه الإعجاز:

فإذا كان التحدي في المراحل الثلاث المخاطب به العرب، ولقد كان البيان بضاعة العرب، والبلاغة

سجيتهم، فإن المرحلة الرابعة المخاطب بها الناس جميعاً عربهم وعجمهم.

وإذا كانت المراحل الثلاث الأولى خالية من كلمة «من» فلقد جاءت المرحلة الرابعة مشتملة على هذا الحرف الدال على التبعيض، ومعنى هذا أن المرحلة الأخيرة كان التحدي فيها للناس جميعاً، ولايعقل أن يتحدى الناس جميعاً بالبيان وحده، إنما هو تحدّ عام عموم المخاطبين به.

والقرآن الكريم كتاب معجز من حيث بيانه، ومن حيث تشريعه، ومن حيث مافيه من حقائق علمية وكونية، ومن حيث مافيه من أخبار غَيْبِيَّةٍ، إلى ماهنالك من وجوه أخر.

٣ - الإعجاز البياني :

أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم، الإعجاز البياني، لأنه ينتظم القرآن الكريم كله، سوره على اختلافها طولاً وقصراً، أما الوجوه الأخرى من وجوه الإعجاز، فليس الأمر فيها كذلك، فأنباء الغيب مثلاً ليست موجودة في كل آية من القرآن. وكذلك الإعجاز العلمي والتشريعي.

فالإعجاز البياني أهم الوجوه، وأعمها، بل أتمها، لأنه عَامٌّ في

القرآن كله، لاتخلو منه سورة على قصرها، بل هو في كل آية من الآيات القرآنية.

والإعجاز البياني يرجع في جوهره إلى النظم، وهذا النظم ليس خاصاً بالعرب وحدهم، وهو ذلك الترتيب الذي كان لكلمات القرآن في جُملها من جهة، واختيار الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة. وتلك قضية كان يدركها العربي منذ نزول القرآن بذوقه وسليقته، أما العرب اليوم فإنما يدركونها بالفكرة لا بالفطرة، بعد أن تفسر لهم ، وتبين لهم دقائقها.

والكلمة القرآنية هي أساس النظم، إذ أن مفردات القرآن مختارة منتقاة، وهي كما قال الراغب ، «هي لب كلام العرب وزبدته، ووساطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وماعداها، وعدا الألفاظ المتفرعات عنها، والمشتقات منها، هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى، بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحفظة».

إن الكلمة القرآنية مقدّرة خير تقدير، معبّرة أصح تعبير وأصدقه، فاختيار الكلمة في موضع دون آخر، واختيار الكلمة دون غيرها من إعجاز القرآن، ولذا فإن كتاب الله تعالى،

لاترادف في كلماته، فكل كلمة تحمل معنى خاصاً بها، لا تسد غيرها مسدّها .

وترتب حروف القرآن بمالها من صفات وايحاءات، وتناسق كلماته بما لها من إشعاعٍ يَتَأَلَّقُ من رَصْفِهاْ وترتيبها وتساوق المعاني التي تسابق إلى النفس وقع ألفاظها في السمع، كل ذلك من أسرار الإعجاز البياني في القرآن، فقد قدر في ترتيب حروفه مخارجها ونبراتها وصفاتها ومايوحي به كل حرف من أثر في النفس، كما قدر في ترتيب الكلمات التناسق العجيب بحيث تكون كل كلمة منها لقف أختها فلاتجد مابينها ماينبو عنه السمع أو ينفر منه الطبع، ومأأجمل وصف الأستاذ الرافعي لحروف القرآن إذ وصف كل حرف منها بأنه يمسك الكلمة ليمسك بها الجملة، ومأأروع المثل الذي ضربه للقرآن حيث جعل مثله مثل نظام الكون في ترتيبه الدقيق وتناسقه العجيب بكل مافيه من الذرة إلى المجرة. (١)

ومن دقة معاني الأحرف في الكتاب الكريم قوله تعالى :

﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه : ٧١] .

فحرف الجر «في» لايسد غيره مسده، إذ يصور هذا الحرف مافي نفس فرعون من حقد وغيظ على السحرة المؤمنين، فهو لايود فقط تصليبهم على الجذوع ، بل يود أن يدخلهم في جذوع النخل ويَحْشُرُهُمْ فيها.

---

(١) جواهر التفسير ٦٨ ، ٦٩

ومن دقة القرآن على استعمال الأحرف قوله تعالى : ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾[البقرة : ١٣٦] . وقوله تعالى : ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [آل عمران : ٨٤] فقد عبر بـ «إلى» حينما كان الخطاب للأمة ، لأن القرآن إنما أنزل إليهم.

وجاءت «على» حينما كان الخطاب للرسول ﷺ لأن القرآن إنما أنزل عليه وحده.

«ومن دلائل الإعجاز في عبارة القرآن تميزه عن غيره من الكلام البليغ بكثرة الاحتمالات، فإن كلام البشر كلما كان أبلغ كان أدل على المطلوب وأبعد عن الاحتمالات، ولكن القرآن بما أنه صوت الغيب الموجه إلى مسامع الدهر يعي كل زمن من أزمنة الدهر من معانيه بقدر مايكون فيه من مقاييس الفكر وتطورات العلم ومن ثم تجد الإنسان في كل عصر يشعر إذا تلا القرآن أن حقائقه تتجلى أكثر مما تتجلى في العصر الذي هو فيه، فتجد الأعرابي البدائي الذي ماكان يتخيل المراصد الجوية ولا درس شيئاً من الهيئة الكونية إذا تلا قول الله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس ٣٧/ ٤٠]
يتصور منه المعاني التي تنطبق على فكره، ويتسع لها أفقه العلمي، كما تجد عالم الفلك الذي يستعين بالآلات المستحدثة

المتنوعة على مهمته العلمية يتصور أن هذه الآيات ماجاءت إلا لتخاطب عقله وعقول نظرائه من العلماء الباحثين، ومثل هذه الآيات قول الله تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان : ٦١/٦٢]

وقوله تعالى : ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف : ٥٤] وقوله : ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزمر : ٥] بل تجد صاحب كل تخصص علمي في كل عصر يستخرج من القرآن الحقائق العلمية بحسب ماأوتي من فهم وما وصل إليه من اكتشاف ولاتجد مايدل على التصادم بين نصوص القرآن ومدلولات العلم وإن اختلفت أطوار العلماء وتباينت مذاهبهم العلمية فكيف وسع هذا القرآن الدهر كله وجاءت عباراته ـ مع بلاغتها التي تنحط دونها بلاغة البلغاء ـ منسجمة مع أفهام الناس المختلفة باختلاف الأطوار الثقافية.

ومما يميز بلاغة القرآن أنك تجد آياته تتناول الموضوعات المتعددة من غير تبويب وترتيب، فبينما تجدها تأمر وتنهى تجدها تعد وتتوعد أو تعظ وتذكر أو تكشف عن طبيعة الكون أو تكوين الإنسان أو تقص أنباء الأمم السالفة وأخبار الأنبياء الغابرين، ومع ذلك فلا تجد مايدل على انحطاط في التعبير أو مايشير إلى خلخلة في البلاغة، ولكن تجده طبقة واحدة في قوة التعبير وجزالة المعاني وانسجام الألفاظ وحسن التركيب بحيث لايمكنك أن تفضل بيانه في جانب عليه في جانب آخر، بينما

كلام نبغاء البشر لايتيسر له قدر مّا من البلاغة في كل شيء، ولذلك يتفاضل الشعراء والخطباء والكتاب باختلاف الموضوعات التي يطرقونها، فقد يفضل شاعر غيره في الوعظ أو الرثاء أو الحماس أو الغزل أو الفخر ولاتجد شاعراً واحداً بعينه يتفوق على الشعراء في جميع أغراض الشعر ومثلهم الخطباء والكتاب»[1].

الأسلوب القرآني :

أسلوب القرآن متميز وفريد، يختلف عن غيره من أساليب العرب، وقد ذكر الدكتور محمد عبدالله دراز خصائص لهذا الأسلوب وهي :

١ - القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى : ففي القرآن الكريم بيان قد قدر على حاجة النفس أحسن تقدير، فلا تحس فيه تخمة الإسراف، ولا مخمصة التقتير، يؤدي لك من كل معنى صورة نقية وافية، لايشوبها شيء، مما هو غريب عنها ، وافية لايشذ عنها شيء من عناصرها الأصلية، ولواحقها الكمالية، كل ذلك في أوجز لفظ وأنقاه [2] .

٢ - خطاب العامة وخطاب الخاصة : وهاتان كذلك غايتان متباعدتان عند الناس، فإن الكاتب إذا أراد مخاطبة العامة، لابد أن ينزل إلى مستواهم فيوضح ويبين ، ولو خاطب بهذا

---

(١) جواهر التفسير ، ص ٧٧ ، ٧٨ (٢) محمد عبدالله دراز ، النبأ العظيم ، ص ١٠٦

الأسلوب الخاصة لَعُدَّ كلامُهُ معيبا، لأن الخاصة تكفيهم اللمحة والإشارة، وهكذا تجد أن هناك أسلوبا للخاصة وآخر للعامة، ولايمكن أن تخاطبهما جملة واحدة، ولكنك واجد هذا في القرآن الكريم، فإن الجملة الواحدة تُلقى إلى العلماء والجهلاء والأذكياء والأغبياء .

٣ - إقناع العقل وإمتاع العاطفة : النفسُ الإنسانية قوتان؛ قوة تفكير، وقوة وجدان، وكل منهما تحتاج إلى مالاتحتاجه الأخرى، والخطاب القرآني يجمع بينهما .

٤ - البيان والإجمال : وهذان الطرفان لايجتمعان إلا في كتاب الله، فإنك إذا قرأت سياقا قرآنيا وجدت الإحكام والدقة والخلو من الغريب، ويخيل إليك أنك أحطت بها وبمعانيها، ولكنك لو رجعت إليها كرّة أخرى لاستخرجت منها معنى آخر جديداً، غير الذي فهمته من قبل، وهكذا تجد للكلمة الواحدة، والجملة الواحدة وجوهاً عدة، كلها صحيحة [1] .

٤ - الإعجاز التشريعي :

اقتضت مشيئة الله أن ينزل القرآن في بيئة لم يمتد إليها شعاع الحضارة، إذ كانت جزيرة العرب أبعد بقاع الأرض عن معرفة النظم ومناهج التشريع .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٢ .

وكان قد مّر على القانون الروماني زهاء ثلاثة عشر قرنا (من سنة ٧٤٤ ق.م إلى سنة ٥٣٣ م) ، وقد بلغ من الإصلاح والتهذيب مالم يبلغ من قبل نتيجة إصلاحات كبار الفلاسفة ورجال العلم والقانون والاجتماع .

فكان القرآن معجزة تشريعية تتناول جوانب الحياة جميعاً، وتعالج المشاكل الإنسانية المعاصرة وغير المعاصرة بحلول شاملة عميقة تغوص إلى أعماق فطرة الإنسان الذي هو محور التشريع، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل : ٨٩] .

ومن التشريعات ما اصطلح على تسميته بالعبادات، ومنها المعاملات ـ وهي ماتعرف بالقانون المدني ـ ، ومنها مايتصل بالعقوبات ـ وهي ماتعرف بالقانون الجنائي ـ ومنها السّير ـ وهي ماتسمى في لغة القانون بالعلاقات الدولية ـ إلى غير ذلك من التشريعات .

ومن وجوه الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم :

١ ـ إعطاء كل نوع من الجنس البشري أحكامه التي تلبي ضروراته، وتنسجم مع خصائص تكوينه، فَأُعْطِيَ الرجل أحكاماً تخصه في بعض الجوانب تختلف عن أحكام المرأة .

ـ إذ أن الاختلاف بين الرجل والمرأة ليس في الأعضاء

التناسلية وبنية الجسم، بل الفارق بينهما جد عميق فإن كل حجيرة في جسمها تحمل طابع جنسها - كما بين الدكتور أُلِكْسِيسْ كَارِلْ صاحب كتاب «الإنسان ذلك المجهول» - والقرآن يوضح هذا الاختلاف بين طبيعة كل من الرجل والمرأة فيما حكاه عن امرأة صالحة من بني إسرائيل ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران : ٣٦] .

٢ - تقديم أحكام عامة في بعض جوانب الحياة، تتطلب الاجتهاد في تطبيقها بما يناسب ظروف الزمان والمكان والإنسان، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل : ٩٠].

٣ - ربط الأحكام التشريعية بالإيمان به تعالى توحيداً وحباً وخوفاً وجزاء مما يثمر رغبة وصدقا في تطبيقها، ومحاسبة ذاتية في النفس عنها يؤدي إلى سلامة التطبيق وشموله واستمراره.

٥ - الإعجاز العلمي :

أنزل الله تعالى القرآن الكريم ليكون كتاب موعظة وهدى وشفاء ومنهج حياة، قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس : ٥٧].

وكما جاءت دعوة القرآن الكريم دعوة صريحة للإيمان الصحيح ومكارم الأخلاق، جاءت كذلك دعوة صريحة للعلم والنظر والتفكر.

ومن عظيم شأن القرآن ، وعجيب أمره أنه جعل دعوته للعلم مفتوحة للبشر جميعاً، ولم يفرق بين غني وفقير، ورجل وامرأة، أحراراً كانوا أو مملوكين. ولقد ظهر أثر ذلك في وقت مبكر في ظل حكومة القرآن. فإذا هذه الأمة المنطوية على نفسها، المنحصرة في مضاربها، تفجر طاقات الكون، وهي تجوب آفاق الأرض التي جعل الله لها ذلولا، لتمشي في مناكبها غير معتدية أو سالبة، وإنما هي فاتحة للعقول قبل البلاد، لقد نمت دعوة القرآن للعلم، فإذا بهذه الأمة الأمية، التي منّ الله عليها بالهداية يصبح كل بيت من بيوتها، ومسجد من مساجدها ، موئلاً للعلم، يأتيه الناس على اختلاف لغاتهم، وأديانهم، من كل فج ليشهدوا منافع لهم. هذه حقيقة لايختلف فيها اثنان ولايشك فيها عدو.

وهناك بدهية أخرى ، وهي أن هذا القرآن، رغم اكتشاف كثير من المجاهيل ورغم تقدم الإنسان في مضمار العلم ، وآفاق الكون الفسيحة، لايتعارض مع المسلّمات التي وصل إليها الإنسان فضلاً عن أن يناقضها.

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن القرآن معجزة علمية، وأن آيات القرآن يمكن أن تفسر تفسيراً علمياً، شريطة أن يتهيأ لذلك ذوو الاختصاص، ومن شروط التفسير العلمي للقرآن الكريم :

١ ـ موافقة اللغة موافقة تامة، بحيث يطابق المعنى المفسر المعنى اللغوي.

٢ ـ عدم مخالفة صحيح المأثور عن الرسول ﷺ . أو ماله حكم المرفوع.

٣ ـ موافقة سياق الآيات، بحيث لايكون التفسير نافراً من السياق.

٤ ـ التحذير من أن يتعرض التفسير العلمي لأخبار وشئون المعجزات.

٥ ـ أن لايكون التفسير حسب النظريات الوهمية المتداعية، بل لابد من أن يكون حسب الحقائق العلمية الثابتة.

والخروج عن هذه الشروط يعرض المفسر للأخطاء :

١ ـ فمن مخالفة اللغة مثلاً تفسير الطير بالحجارة، في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ... ﴾ [الفيل : ٣] . وتفسير ﴿ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴾ [الأعلى : ٥] بالفحم الحجري .

٢ ـ ومن مخالفة صحيح المأثور ، ماجاء في تفسير قوله تعالى ﴿ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ... ﴾ [الدخان : ١٠] حيث فسر بما يدل على نهاية الأرض .

٣ ـ أما تعرض التفسير العلمي لأخبار الغيب ، من تفسير قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ... ... [السجدة : ٥] ، بأن هذا يقصد به مابين نفختي الصور، وأن المدة ألف سنة .

٤ ـ أما التفسير حسب النظريات المتداعية الواهية، فكتفسير «الخلق» حسب نظرية دارون في التطور، كما ذهب إليه الطبيب مصطفى محمود.

ومن نماذج التفسير العلمي لآيات من القرآن الكريم :

١ ـ قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل : ٧٨] .

فقد تقدم في الآية السمع على البصر، وأفرد السمع وجمع الأبصار.

ـ ذكر المفسرون القدامى أن ذلك لأفضلية السمع، وأنه أفرد لأنه مصدر .
ـ ولكن العلم الحديث بيّن أن حاسة السمع يمنحها الله للطفل قبل حاسة الإبصار، وأن السمع إنما يدرك به شيء واحد، وهو الأصوات، بينما يدرك بالبصر أكثر من شيء كالألوان والأشكال ، ولذلك تقدم السمع وأفرِدَ .

٢ ـ قال تعالى : ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾ . . . . . [مريم : ٢٥] ، فقد خص الرطب بالذكر في الآية الكريمة، وقد أثبت العلم أخيراً أن البلح له تأثير على خفض ضغط الدم عند الحوامل، وبذلك

تقل كمية الدم النازلة منها، وهو يحتوي على نسبة عالية من السكاكر البسيطة السهلة الهضم والامتصاص، والسكاكر هو الغذاء المفضل للعضلات، وعضلة الرحم من أضخم عضلات الجسم، وتقوم بعمل جبار أثناء الولادة التي تتطلب سكاكر بسيطة بكميات جيدة، ونوعية خاصة سهلة الهضم والامتصاص كتلك التي في الرطب.

وأثبت العلم أن ثمر النخيل الناضج يحتوي على مادة مقبضة للرحم تقوي عضلاته في الأشهر الأخيرة من الحمل وتساعد على الولادة.

٣ ـ قال تعالى : ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر : ٦] .

ـ المفسرون القدامى يعدون هذه الظلمات الثلاث : ظلمة البطن والرحم والمشيمة.
ـ علم التشريح الحديث يثبت أن هذه الظلمات هي المشيمة ثلاثة : محيط بالطفل غشاء فوق غشاء . وهي لاتظهر بالعين المجردة وهي المنباري / الخربوتي / اللفائفي، أو كما يقول توماس إيدن: هي الكوريون وهو الغشاء الخارجي، ويليه الميزودرم.

٤ ـ قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ [النور : ٤٣] .

يقول الأستاذ رشيد رشدي العامري رحمه الله : «لحصول المطر عوامل ثلاثة إذا توافرت لابد من المطر، وإن نقص عامل واحد منها فلا إمكان لحصوله. وتلك العوامل هي :

أولا : التبخير حتى يؤدي إلى تكوين سحاب .
ثانيا : وصول الهواء إلى درجة الإشباع بكمية البخار .
ثالثا : التكاثف .

هذا الترتيب على التعاقب لا مفر منه لتكوين المطر . .

ولكن الآية جاءت بوصف موجز مدهش للألباب: فقد عبرت بكلمة «يزجي سحاباً» عن عملية التبخر. ثم عبرت عن تشبع الهواء ببخار الماء بقولها على سبيل التعاقب «ثم يؤلف بينه» إذ أن درجة الإشباع تتوقف على تساوي تبادل الجزئيتين من الماء والهواء. وماهذه الظاهرة إلا التآلف من تلك الجزئيات.

ومن ناحية أخرى أنه لايحصل التشبع إلا بالتعادل والتآلف من ضغطي بخار الماء وبخار الهواء، أو الاتحاد بين نوعي الكهربائية وائتلافها كما قد سبق بيانه.

وعلى ذلك فإن أصدق وأصح وأبلغ تعبير لهذه الظاهرات هو التآلف الذي وصفه العلم بالتشبع، وليس لها تفسير آخر.

ثم جاءت بقوله تعالى : ﴿ثم يجعله ركاما﴾ على سبيل التعاقب

أيضاً، فأبلغ تعبير للتكاثف هو الركام. ولاتفسر كلمة «الركام» بغير التكاثف، فجاء في معجمات اللغة في تفسير كلمة الركام بأنه «سحاب كثيف» ، ويقصد بالسحاب الكثيف البخار، والذي قد تشبع الهواء منه فتكاثف . .

ثم تقول الآية : ﴿فترى الودق﴾ أي المطر، «يخرج من خلاله» فعندما بينت الآية العوامل الثلاثة لحصول المطر، فصلت بينها بكلمة «ثم» للترتيب والتراخي . لأن كلاً من عوامل التبخر والتشبع والتكاثف التي ذكرناها يستغرق وقتا مهما كان ضئيلاً، وبعدها بكلمة: ﴿فترى الودق﴾ بحرف الفاء السببية والتعقيبية، أي أنها تقول : بعدما تتوافر العوامل الثلاثة فلابد أن يحصل المطر فوراً.

فهذا الترتيب الطبيعي الثلاثي لحصول المطر لم يحققه العلم، ولم يطلع عليه العلماء على الوجه العلمي إلا من مدة قصيرة، ولكن القرآن الكريم عرفه قبل أن ينوف على ثلاثة عشر قرنا [1] .

النشاط التقويمي :

١ ـ مما جاء في تعريف إعجاز القرآن الكريم :

«صرف الله لقدرات عباده وسلب همتهم وَحَبْس ألسنتهم عن الإتيان بمثله» .

أ ـ قارن هذا التعريف بالتعريف الوارد في الدرس مبينا

---

(١) بصائر جغرافية ، ص ٢١١

الفرق بين التعريفين .

ب ـ انقد التعريف السابق .

٢ ـ (ظلت آيات التحدي في كتاب الله عز وجل تقرع آذان العلماء والأدباء والمفكرين والمبدعين في كل عصر، دون أن يقدر أحد على معارضتها) .

اشرح العبارة السابقة .

٣ ـ (الإعجاز اللفظي للقرآن حجة على العرب، والعرب حجة بدورهم على سائر الناس) .

هات أمثلة على العبارة السابقة .

٤ ـ قيل إن أهم وجوه الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم أن آيات الأحكام نزلت ولم يتكون المجتمع خلاف التشريعات الأرضية التي لاتكتمل إلا بعد نهوض المجتمع الإنساني.

ناقش هذا الرأي .

٥ ـ « . . وقد وقف المفسرون حيال الاكتشافات العلمية مواقف متباينة فمنهم المُفْرِط ومنهم المفرِّط ومنهم المعتدل، . . وأما المعتدلون فهم الذين جعلوا القرآن هو الأصل وحملوا عليه الحقائق العلمية التي دلت عليه آياته دلالة واضحة».

اشرح العبارة السابقة .

النشاط الدراسي :

ارجع إلى كتاب «جواهر التفسير» للشيخ أحمد بن حمد الخليلي واقرأ ماعدّد من الإعجاز الاجتماعي والخلقي والخبري والائتلافي.

ـ تخصص حصة لمناقشة ماقرأه الطلاب من وجوه الإعجاز السابقة.

التفسير

عناصر الدرس :

١ ـ تعريف التفسير
٢ ـ الفرق بين التفسير والتأويل .
٣ ـ شروط التفسير .
٤ ـ نشأة التفسير وتطوره .

● الأنشطة

تمهيد :

١ ـ تعريف التفسير :

أ ـ لغة :

أصل مادة التفسير الْفَسْر وهو البيان والكشف، ومنه فسرتَ الفرس أي عريته للإنطلاق .
وأول ما استعمل العرب هذه الكلمة في الأمور الحسية ثم استعملت في المعنويات.

ب ـ اصطلاحاً :

هو «علم يبحث في إخراج معاني كتاب الله من مقام الخفاء إلى

مقام التجلي» [1] .

ويتضح من التعريف أن التفسير علم يبحث في ألفاظ كتاب الله لبيان وكشف معانيها ونقلها من الخفاء إلى التجلي .

٢ - الفرق بين التفسير والتأويل :

وردت كلمة التفسير مرة واحدة في القرآن . قال تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان : ٣٢/٣٣] أي لايأتونك بمثل ما يحيك في صدورهم إلا رددناه بأحسن بيان .

أما كلمة «تأويل» فقد وردت في الكتاب العزيز في سياقات مختلفة .

١ - فيما يتعلق بالمتشابه : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ .... [آل عمران : ٧]

٢ - فيما يتعلق بتأويل الرؤيا : ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ﴾ ... [يوسف : ١٠٠] .

---

(١) أحمد بن حمد الخليلي ، جواهر التفسير ، مسقط ، مكتبة الاستقامة ، ١٤٠٤ هـ ، ١٧/١

٣ ـ في تأويل الأعمال وبيان مايقصد منها : ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا . . ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ [الكهف : ٧٨/٨٢] .

٤ ـ وردت كلمة «تأويل» في صحة ماينبىء عنه القرآن، وأنه أمر محقق الوقوع : قال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [يونس : ٣٩] .

والتأويل مأخوذ من الأول وهو الرجوع، ومنه آل إليه الأمر، ويراد به «نقل الكلام عن وضعه فيما يحتاج إلى دليل لولاه لم ينقل عن ظاهر لفظه» .

ويتبين أن التأويل رجوع عن ظاهر معنى اللفظ إلى معنى آخر يحتمله اللفظ بدليل صحيح يدل على ذلك .

ومثال ذلك تأويل العين في قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] بالحفظ والرعاية .

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه : ٣٩] .

٣ ـ شروط التفسير :

يشترط لمن يفسر كتاب الله الكريم شروط أهمها :

أ ـ العلم باللغة العربية ألفاظاً وجملة، وإعراباً وصرفاً،

والمعرفة بالأساليب الرفيعة في الكلام من البلاغة للوصول إلى مراد المتكلم .

ب ـ رسوخ الإيمان في قلب المفسر، ليستطيع تدبر كلام الله تعالى، بعيداً عن التحريف وحمل الآيات على غير الحق.

جـ ـ معرفة القواعد التي تمكن من استنباط الأحكام الشرعية، وهي مايسمى بعلم أصول الفقه، وكذلك معرفة الأحكام الفرعية المستخرجة من أدلتها التفصيلية بدراسة كُتُب الفقه التي ترد الفروع إلى أصولها، وتقرن الأحكام بِأَدِلَّتِهَا .

د ـ معرفة مباحث علوم القرآن من علم القراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه . . .

هـ ـ تصور الظروف التي صاحبت نزول كتاب الله ، والمحن التي اكتنفت المنزل عليه، والعراقيل التي وضعت في طريق الدعوة إليه، مما يستلزم معرفة السيرة النبوية ومعايشة أحداثها، ويثمر إحساساً وتذوقاً لآيات كتاب الله عز وجل .

٤ ـ نشأة التفسير وتطوره :

أ ـ لقد تكفل الله تعالى بحفظ كتابه الكريم كما تكفّل كذلك ببيانه قال تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة : ١٩]

وكان رسول الله ﷺ أول شارح لكتاب الله يبين للناس ما نزل عليه من ربه ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل : ٤٤] ومن ذلك : تفسيره لمعنى قوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ . . [الأنعام : ٨٢] ففسر الظلم هنا بالشرك وكذلك فسر السبيل بالزاد والراحلة في قوله تعالى ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران : ٩٧]

ولم يفسر الرسول ﷺ القرآن كله، وترك المجال مفتوحاً للأمة في فهم القرآن الكريم ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص : ٢٩] .

ب ـ عندما انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، حمل صحابته رضوان الله عليهم لواء التفسير، فكانوا يقومون ببيان ماعلموه وتوضيح مافهموه، واشتهر من الصحابة في التفسير كثيرون وأشهرهم عشرة هم :

الخلفاء الأربعة ، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبَيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وعبدالله بن الزبير.

وكان أكثرهم تفسيراً لكتاب الله عبدالله بن عباس الذي دعا له رسول الله ﷺ بقوله : «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» وسماه ترجمان القرآن.

ومصادر التفسير عند الصحابة رضوان الله عليهم هي الكتاب والسنة واللغة والاجتهاد، ولم تكن أخبار أهل الكتاب مصدراً من مصادر التفسير عندهم، إذ تخلو رواياتهم الصحيحة من أثر أهل الكتاب.

جـ- التفسير في عهد التابعين :

تلقى التابعون تفسير القرآن من صحابة رسول الله ﷺ محافظين عليه بكل دقة وأمانة .

وقد تميز التفسير في عهد التابعين بما يلي :

- اعتماد المصادر السابقة في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، وزيادة مصدر جديد هو أخبار أهل الكتاب، بحكم امتداد البيئة الإسلامية، ودخول كثير من أهل الكتاب في الإسلام.

- زيادة الاختلاف في التفسير عما كان في عهد الصحابة رضي الله عنهم .

- ظهور البذرة الأولى للتفسير بالرأي كما يلاحظ في بعض تفسيرات مجاهد .

وكان من أكثر الأماكن اشتهاراً بالتفسير :

مكة المكرمة :

ومنها تلاميذ ابن عباس واشتهر منهم : مجاهد وسعيد بن

جبير وعكرمة وطاووس وجابر بن زيد.

المدينة المنورة :

وكـان فيهـا أُبَيّ بن كعب وتتلمـذ عليه زيد بن أسلم وأبو العالية ومحمد بن كعب .

الكـوفة :

وكـان فيها عبدالله بن مسعود ومن تلاميذه علقمة بن قيس ومسروق والحسن وقتادة .

د ـ مرحلة التدوين :

كان القـرن الثـاني من الهجـرة النبـوية المبـاركة ميدانا للتـأليف، فقـد شغـل القـرآن علماء هذا القـرن على اختلاف مسالكهم ومشاربهم، فجمعوا أقوال من تقدمهم وصنفوا التفاسير كما فعل سفيان بن عُيَيْنَةَ، وشعبة بن الحجاج، ووكيع بن الجراح، ويزيد بن هارون، وعبد ابن حميد، ومن ذلك تفسير ابن سلام البصري (ت ٢٠٠ هـ) ، وتفسير الإمام عبدالرحمن بن رستم وهو مفقود.

وقد غلب على التفسير في هذه المرحلة لونان :

ـ التفسير بالمأثور وهو مالامجال فيه للرأي والاجتهاد والاستنباط: فيفسر القرآن بالقرآن، أو بسنة ثابتة، أو قول صحابي أعطي حكم المرفوع.

وبدأ التفسير بالمأثور بنقل الروايات بأسانيدها دون تعليق عليها، ومن ذلك تفسير يزيد بن هارون السلمي (ت ١١٧ هـ) .

ـ الدراسات اللغوية مثل : معاني القرآن للفرّاء ، ومجاز القرآن لأبي عبيد .

هـ ـ التفسير في القرن الثالث الهجري :

استمر العلماء في تفسير كتاب الله عز وجل وظهرت تفاسير منها : تفسير ابن ماجة (ت ٢٧٣ هـ) ، «تفسير كتاب الله العزيز» للشيخ هود بن محكم الهواري (ت ٢٨٠ هـ).

و ـ التفسير في القرن الرابع الهجري :

ممن ساهم في تفسير القرآن الكريم في القرن الرابع الهجري ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) والنيسابوري (ت ٣١٨ هـ) ، وابن حبان (ت ٣٦٩ هـ) .

واشتهر منها تفسير الطبري المسمى «جامع البيان في تفسير القرآن» ، ويتعرض الطبري في تفسيره لكل ماروي في الآية، ويرجح بعضها على بعض، كما يتعرض لناحية الإعراب إن دعت الحاجة إلى ذلك، ويستنبط بعض الأحكام .

ز ـ توسع العلماء بعد ابن جرير الطبري في دلالات الألفاظ القرآنية ، وبرزت عدة مدارس واتجاهات في التفسير أهمها :

أولاً ـ المدرسة البيانية :

وأستاذها الإمام الزمخشري المعتزلي صاحب تفسير «الكشاف» (ت ٥٣٨ هـ) ، الذي أبان فيه من وجوه الإعجاز في آي القرآن، وأظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته، مالم يسبق إليه، وقد تأثر الزمخشري في تفسيره بعقيدته الاعتزالية.

ـ ومن هذه المدرسة تفسير البيضاوي المسمى «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» والذي يُعْنَى بتقرير الأدلة والتبنية على قواعد اللغة، إلا أن أكثر مايرويه من الأحاديث في ختام كل سورة لبيان فضلها غير صحيح ، ولتفسير البيضاوي حواش كثيرة أفضلها حاشية الشهاب الخفاجي.

ـ تفسير أبي السعود المسمى «إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم» ويُعْنىَ بتبيان المباحث المتعلقة بإعجاز القرآن وتذوق البلاغة القرآنية.

ـ تفسير «مدارك التنزيل وحقائق التأويل» للنسفي (ت ٧١٠ هـ)، وتفسيره جامع لوجوه الإعراب والقراءات، وفيه إشارات دائمة إلى روائع البلاغة القرآنية.

ثانيا ـ مدرسة الأحكام :

وقد اعتنت بتجريد آيات الأحكام على حدة، وبيان مافيها من الأحكام تفصيلياً مثل :
أحكام القرآن للجصاص .
أحكام القرآن لابْن العربي .
أحكام القرآن للكياهراسي .

ثم جاء القرطبي بتفسير شامل كامل ، كان اسمه منبئاً عنه وهو «الجامع لأحكام القرآن» فكان خاتمة العلماء الذين كتبوا في هذا الاتجاه.

ثالثا ـ المدرسة العقدية :

وإمامها الفخر الرازي بتفسيره (مفاتيح الغيب) واختصره بعض العلماء كالنيسابوري وغيره .

رابعا ـ المدرسة الرابعة :

كان جل اهتمامها بآثار السلف، والروايات عنهم. وكان من أهم ماكتب فيها :

أ ـ زاد المسير لابن الجوزي .

ب ـ المحرر الوجيز لابن عطية .

جـ ـ الدر المنثور للسيوطي.

على تفاوت بينهم في الأسلوب والمنهج.

وقد حاول الإمام السيوطي أن يجمع هذه المدارس في جامعة واحدة، وجعل كتابه «الإتقان» مقدمة لهذا التفسير كما ذكر في مقدمته، إلا أنه لم يقدر له أن يتم هذا المشروع.

وجاء بعده علّامة الرافدين في القرن الثاني الهجري شهاب الدين الألوسي فوضع كتابه «روح المعاني» ليكون جامعة قرآنية، لم يهمل فيه مسائل المتكلم ، ولا مشكلات النحوي ، ولا روايات الأثري .

التفسير في العصر الحديث :

ظهرت تفاسير كثيرة في العصر الحديث منها :

ـ «همیان الزاد» للشيخ محمد بن يوسف أطفيش وقد اختصره في

تفسير آخر هو «تيسير التفسير» عرض فيه لكثير من القضايا اللغوية والفقهية والعقدية.

- «تفسير المنار» للسيد محمد رشيد رضا، جمع فيه بين تحقيقات القدماء وإضافات المحدثين، وبرزت فيه دعوة المسلمين إلى الاجتماع حول القرآن، وطرح الخلافات العقدية والمذهبية التي من شأنها أن تمزق وحدة المسلمين.

- «تفسير التحرير والتنوير» للعلامة التونسي محمد بن عاشور أكثر فيه من القضايا البلاغية واللغوية، كما اهتم ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض.

- «دروس التفسير» لشيخ الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي .

- «دروس التفسير» لعلامة الجزائر المجاهد عبدالحميد بن باديس .

- «دروس التفسير» للشيخ بيوض إبراهيم بن عمر .

- «في ظلال القرآن» للشهيد سيد قطب وهو محاولة لإثارة وجدانات المسلمين وإحساساتهم ليتفاعلوا مع القرآن الكريم.

- «جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل» للشيخ أحمد بن حمد الخليلي والذي لايزال مستمراً في إلقاء دروسه وتهذيب كتابته.

النشاط التقويمي :

١ ـ ميّز بين التفسير والتأويل لغة واصطلاحاً .

٢ ـ قيل إن التفسير بيان معنى اللفظة الغريبة أو الخفية، والتأويل التصرف في اللفظ بما يكشف عن مقصوده . قارن هذين التعريفين بما يقابلهما في الدرس .

٣ ـ أ ـ عدد الشروط التي يجب أن تتوافر لمن يشرع في تفسير كتاب الله .
ب ـ ما دلالة هذه الشروط في نظرك ؟

٤ ـ استنتج أهم الحاجات التي تقتضي تفسير كتاب الله عز وجل على مر العصور .

٥ ـ قارن بين خصائص التفسير في :
أ ـ مرحلة الصحابة وعهد التابعين .
ب ـ عهد التابعين ومرحلة التدوين في القرن الثاني الهجري .

٦ ـ تعددت اتجاهات التفسير في القرن الرابع الهجري
أ ـ لماذا ؟ ب ـ كيف كان ذلك ؟

٧ ـ ظهرت في القرنين الثالث عشر الهجري والرابع عشر الهجري تفاسير كثيرة . علل ذلك مع الأمثلة .

النشاط الدراسي :

يكتب الطالب تقريراً لايقل عن (٣) صفحات في أحد المواضيع التالية :

- المدرسة البيانية في تفسير القرآن الكريم .
- المدرسة العقدية في تفسير القرآن الكريم .
- مدرسة الأحكام في تفسير القرآن الكريم .

مناهج المفسرين (١)
«تفسير كتاب الله العزيز»
للشيخ هود بن محكَّم الهُواري

عناصر الدرس :

١ ـ التعريف بالمؤلف
٢ ـ التعريف بالتفسير .
٣ ـ منهج التفسير .
٤ ـ نموذج من التفسير .

● **الأنشـــطة**

تمهيـــد :

١ ـ التعريف بمناهج بعض المفسرين :

* تَنَـوَّعَتْ منـاهـج المفسرين وفقـاً لما اتبعـه بعضهم؛ من الأخذ بأساليب النقل عن السلف ـ خاصة الصحابة الذين هم نجوم سمائه وينابيع فيضه ـ وهو مايسمى «التفسير بالمأثور».

وبجانب هذا الاتجاه، هناك من أجاز «التفسير بالرأي» الناتج عن النظر والتأمل، ممن استوفى شروط من يتصدَّى لتفسير الكتاب العزيز.

* وقد تدرج التفسير ـ عبر العصور ـ فظهرت طرائق متنوعة، ومسالك وألوان في كل عصر، وأنتج ذلك كله كثيراً من تفاسير المتقدمين ممن دوّنُوا في «التفسير بالمأثور» ـ وهو الأسبق ـ واتّسعت المؤلفات التي تناولت «التفسير بالرأي» ـ الجائز ـ خاصة في عصرنا الحاضر، وقد وقع الاختيار على دراسة مناهج المفسرين باختصار في ثلاثة منها هي :

ـ «تفسير كتاب الله العزيز»
ـ «في ظلال القرآن»
ـ «جواهر التفسير» (أنوار من بيان التنزيل) .

* «تفسير كتاب الله العزيز»

١ ـ التعريف بالمؤلف :

هو الشيخ هود بن مُحَكِّم بن هود الهُوَّارِيُّ، يقدر عام مولده في العقد الأول أو الثاني من القرن الثالث الهجري، وهو ينتسب إلى قبيلة «هُوَّارَة» من قبائل البراري البربرية التي كانت تسكن بطون منها جبال أوراس بغرب إفريقية.

أخذ العلم أولاً من مراتع طفولته ، فحفظ كتاب الله، وتفقه في حلقات دروس أبيه بالمساجد في القرى الجبلية والبوادي . . .

ويبدو أنه رحل إلى مركزي العلم في عهده، وهما : «القيروان»

و «تاهرت» طالبا فيهما مزيداً من العلم وحضور مجالس الدرس والمناظرة، والاتصال بالعلماء بجانب أنه وَرِثَ علم أبيه وأخلاقه، ولمع اسمه بين العلماء ، فاستقر في أوراس، وأصبح بها محطَّ أنظار طُلاب العلم، يأتون إليه من الفجاج والشعاب والبوادي .

أما والده «الشيخ مُحَكِّم» فقد كان أكثر منه شهرة، وقد كان قاضياً للإمام أفلح بن عبدالوهاب بن عبدالرحمن ثالث الأئمة الرستميين، واشتهر عنه العدل والتقوى، والقوة في دينه، والجهر بالحق ؛ فلا يخاف في الله لومة لائم، إذ وقف معظم حياته في بادية جبل أوراس، فاكتسب منها شدةً في الحق، وصلابة في الدين وتقدر وفاة الشيخ هود عام ٢٨٠ هـ .

٢ - التعريف بالتفسير :

يعتبر هذا المؤلَّف من التفاسير الأولى التي ظهرت في أوائل عهد التدوين ، وهو يقع في أربع مجلدات :

الجزء الأول : يحوي ٥٨٠ صفحة وينتهي عند تفسير قوله تعالى « إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم» آخر سورة الأنعام .

والجزء الثاني : من أول سورة الأعراف وينتهي بآخر سورة الكهف .

والجـــزء الثـالث : من أول سورة مريم وينتهي بآخـر سورة الصافات .

ويبدأ الجزء الرابع بأول سورة (ص) وينتهي بسورة الناس.

ورغم أن المخـطوطـات نسبت الكتاب إلى الشيخ هود، فإن الأستـاذ الفـاضل «بَالْحَاجّ بن سعيد شريفي» محقق الكتاب، وضع تساؤلاً بيّنَ فيه أنه اكتشف أن صلة قائمة ووثيقة بين هذا التفسير، وبين تفسير آخر سبقه بنحو قرن من الزمن، ذلك هو تفسـير أبي زكريا يحيى بن سلام البصري المولود بالكوفة سنة ١٢٤ هـ .

وقـد قارن المحقق صفحـات كثـيرة في مواضـع متعـددة من التفسيرين فتبينت له العلاقة الظاهرة بينهما .

وكذلك اكتشف المحقق أن هناك علاقة بين تفسير الشيخ هود وتفسير أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى المريّ المعروف بابْن أبي زمنين، وهو مختصر تفسير ابن سلام.

وقد خلص المحقق إلى نتيجة هامة ؛ هي أن تفسير الشيخ هود اعتمـد اعتـماداً كثـيراً إن لم يكن كلياً على تفسـير ابن سلام البصري، ويقـول: «ولـو جاز لي أن أضـع للكتاب عنواناً غير الـذي وجـدته في المخطوطات لكان العنوان هكذا : (تفسير الشيخ هود الهواري «تفسير مختصر ابن سلام البصري»)، لأن

تفسير ابن سلام أصل لتفسير الشيخ هود، والأمانة العلمية تقتضي أن أجلو هذا وأبينه في تقديمي هذا» .

وكما يقول في موضع آخر : «لقد أخذ المتأخر كثيراً من المتقدم، ونقل عنه، ولكل منهما فضل وأجر» .

ويبين الشيخ ابن أبي زمنين الأسباب التي دفعته إلى اختصار تفسير ابن سلام فيقول في الديباجة : «وبعد فإني قرأت كتاب يحيى بن سلام في تفسير القرآن فوجدت تكراراً كثيراً وأحاديث ذكرها يقوم علم التفسير دونها، فطال بذلك الكتاب . . . ، نظرت فيه فاختصرت فيه . .» .

أما الشيخ هود السابق بتفسيره على تفسير ابن زمنين فيبدو أنه «لايريد أن يؤلف تفسيراً من عنده، مستقلاً بذاته، ولعله كان من أولئك الذين يتهيبون التفسير مخافة أن يتقولوا على الله أو يتأولوا كلامه على غير وجوهه» «وكأنه يرى أنه مادام قد وجد تفسيراً مروياً متداولاً، فليعد هو كتابته على مايعتقد أنه الحق والصواب» .

٣ - منهج التفسير :

نظراً لأن المؤلف تأثر كثيراً بتفسير ابن سلام فقد كان الكتاب بين يديه وهو في القيروان يتزود بالمعرفة، وكان يتلقاه مباشرة من محمد بن يحيى المتوفي سنة ٢٦٢ أو من أبي داود العطار المتوفي

سنـة ٢٧٤. ولذلك يتأكد أنه استفاد من منهج ابن سلام، وأهم مميزات هذا المنهج :

(١) أنه من أقدم ماوصل إلينا من كتب «التفسير بالمأثور».

(٢) يتتبع آيات القرآن الكريم آية آية، فيذكر سبب نزولها ـ إن وجد ـ ثم يذكر ماينـاسبها من الآية أو الآيات المشابهة إن كانت .

(٣) يعتمد القاعدة الأساسية وهي «تفسير القرآن بالقرآن» وقد التزم بها في تفسيره .

(٤) يذكر الأحاديث التي تبين الآية وتعين على فهمها، وإذا كان للآية قراءتان أو أكثر أشار إلى مدلول كل قراءة، دون تعمق في التعليل.

(٥) لما كان تفسـير ابن سلام هو أصـل تفسـير الشيخ هود فيمكن أن يضـاف إلى نقـاط هذا المنهـج إجابات هذه التساؤلات :

أ ـ ماهو الدافع له على اختصار تفسير ابن سلام ؟

ب ـ ماذا يوجد في تفسيره من جديد ؟

جـ ـ بماذا يمتاز تفسيره عن مختصر ابن أبي زمنين ؟

د ـ ما هي قيمة تفسيره بين كتب التفسير ؟

(٦) أهم موضوعات المنهج عند الشيخ هود، أنه لم يواصل المسير وفق خطوات ابن سلام باستمرار ـ وهذا يعلي قدر منهج ابن محكم ـ لأنه وقف كثيراً يخالف فكر ابن سلام، ويعارضه فيما لاينسجم مع ماتعلمه ابن محكم من قبل وآمن به. ولذلك أعاد النظر فيه، وكأنه يرى أنه مادام قد وجد تفسيراً مروياً متداولاً، فلْيُعِد هو كتابته على مايعتقد أنه الحق والصواب، فيُبْقى على ماارتضاه ووافق أصول عقيدته ـ وهو جل التفسير ـ أو يحذف مايراه غير صواب، ويضيف هو من علمه ومعارفه مايرى فيه فائدة .

ومن ذلك مسائل الكفر والإيمان :

عندما يقول ابن سلام مثلاً في قول الله تعالى من سورة النحل ، [الآية: ٩٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ . . .﴾ «قال الحسن : كما صنع المنافقون، فلا تصنعوا كما صنع المنافقون، فتظهروا الإيمان وتسروا الشرك، والدخل إظهار الإيمان وإسرار الشرك».

يقول الهواري : ﴿دخلاً بينكم﴾ أي : خيانة وغدراً كما صنع المنافقون الذين خانوا الله إذ نقضوا الإيمان فقالوا ولم يعملوا، وتركوا الوفاء بما أقروا لله به، والدخل الخيانة» .

وإذا قال ابن سلام في ريب المنافقين الذي ورد في [الآية : ٤٥] من سورة التوبة: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي :

شكّت في الله عز وجل وفي دينه، كما جاء في مختصر ابن أبي زمنين، ورقة ١٢٧، قال الشيخ الهواري : «أي وشكت قلوبهم في أن لايعذبهم الله بالتخلف عن الجهاد بعد إقرارهم بالله وبالنبي . . . ولم يكن ارتيابهم شكاً في الله وإنما كان ارتيابهم وشكهم في أن لايعذبهم الله بتخلفهم عن نبي الله بعد إقرارهم وتوحيدهم» .

وفي تفسير قول الله تعالى من سورة فاطر ، [الآية ١٠] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ . . . . ﴾ يكتفي ابن سلام بقوله: «إليه يصعد الكلم الطيب» أي: التوحيد «والعمل الصالح يرفعه» التوحيد، لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد، يزيد الشيخ الهواري : «ولا التوحيد إلا بالعمل، كقوله تعالى : ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ . . .﴾ [الإسراء : ١٩] ، والإيمان قول وعمل، لاينفع القول دون العمل». (١) .

(٧) هناك زيادات يضيفها الشيخ الهواري لإيضاح المعاني الغامضة، أو لِدَحْضِ الشبهات، أو لإسناد رأي إلى قائله، خاصة في تفسيرِ آيات الأحكام، وهي زيادات هامة، تدل على فقه واسع، وإدراك عميق لأسرار التشريع.

---

(١) ص ٣٥ ، ٣٦

(٨) يحذف الأحاديث والأخبار التي وردت في تفسير ابن سلام التي لم تصح عنده، ولاتتفق وأصول مذهبه . فقد اختصر أغلب سلاسل الإسناد، واكتفى بذكر الصحابي الذي روى الحديث. وكان يبدأ ذكر الخبر بقوله : قال بعضهم . . أو ذكر عن بعضهم . . وربما قال : بلغني كذا وكذا . .

«أما مايتعلق بحذف الشيخ الهواري لأحاديث وأخبار وردت في تفسير ابن سلام. فالملاحظ أنه يحذف الأحاديث التي لم تصح عنده والتي لاتتفق وأصول مذهبه. لقد حذف أحاديث في تفسير قوله تعالى من سورة مريم ، الآية ٨٧ : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾ ، وهي أحاديث في الشفاعة، وحذف أحاديث متتابعة في تفسير قوله تعالى من أوائل سورة الحجر : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الآية : ٢] وهي أحاديث حول من سموا بالجهنميين، أو بعتقاء الرحمن لم تصح عنده كذلك. وقد أشرت إلى ذلك على الهامش في مواضع كثيرة من هذا التفسير .

إذا كانت هذه الزيادات المفيدة والآراء الخاصة التي تنبيء عن فكر الهواري وعن شخصيته العلمية تمثل جانباً إيجابياً هاماً في تفسير الهواري، فمن الإنصاف أن نقول إن حذف المؤلف لأسانيد الرواة هو جانب من جوانب النقص فيه.

لقد اختصر المؤلف أغلب سلاسل الإسناد أو حذفها، واكتفى بذكر الصحابي الذي روى الحديث عن رسول الله ﷺ ، أما عن أسماء التابعين وتابعيهم وعن شيوخه هو فلا نعلم عنهم إلا قليلاً. وكان الهواري يبدأ الكلام أحياناً بقوله : قال بعضهم، أو ذُكر عن بعضهم ثم يأتي بالخبر. وربما قال أحياناً بلغني كذا وكذا فيظن القارىء أن العبارة من قوله هو، ولكن عند المقارنة يتبين أن العبارة لابن سلام، وهذا خطأ منهجي ماكان ينبغي أن يقع فيه الهواري خاصة وهو يؤلف في عهد كان فيه الإسناد والرواية من العلوم التي يُعنى بها عناية بالغة.[1]

(٩) وهناك جانب نقص آخر هو التكرار الممل أحياناً، أو إيراد بعض عبارات بسيطة لاتليق بمستوى تفسير كتاب الله.

٤ - نموذج من التفسير :

قوله : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ . . ﴾ [البقرة : ٢٥٥] قال الحسن : الله والرحمن اسمان ممنوعان لم يستطع أحد من الخلق أن ينتحلهما.

قوله : الحي القيوم ، أي القائم على كل نفس. قال الحسن:

---

(١) ص ٣٧

القائم على كل نفس كسبها، يحفظ عليها عملها حتى يجازيها به.

ذكروا عن عبدالله بن مسعود أنه كان يقرأ هذا الحرف : الحي القَيَّامُ، وهو من باب الفيعال ، والقيوم الفيعول.

قوله : ﴿لا تَأخُذُهُ سِنَةٌ﴾ قال بعضهم : كسل ، وقال بعضهم: فترة . ﴿وَلاَ نَوْمٌ﴾ . قال الحسن : السِّنة النعاس، والنوم ؛ النوم الغالب [1] .

﴿لهُ مافي السمواتِ ومَا في الأرض مَنْ ذا الذي يَشفَعُ عِندَهُ إلاَّ بإذْنِهِ﴾ أي: لا أحد . وهو مثل قوله : ﴿وَلَايَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء : ٢٨] . وكقوله : ﴿مَامِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ﴾ [يونس : ٣] .

قوله : ﴿يعلم مابين أيديهم وماخلفهم﴾ . قال الحسن : أول أعمالهم وآخرها، وقال بعضهم: مابين أيديهم من أمر الآخرة، وماخلفهم من أمر الدنيا، أي : إذا صاروا في الآخرة.

قوله : ﴿ولايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ أي ما أعلم الأنبياء من الوحي .

---

(١) جاء في مجاز القرآن جـ ١ ص ٧٨ مايلي : (سِنَةٌ) السِّنَةُ : النعاس ، والوسنة النعاس أيضاً.
قال عدي بن الرقاع :
وَسْنَانُ أقصدَهُ النُعَاسُ فَرنقَت في عَينِهِ سِنة وليس بنائمِ

﴿وَسِعَ كُرسيهُ السَّمواتِ والأرضَ﴾ . ذكر بعضهم أن الكرسي عماد الشيء وقوامه، ولايعلم قدر العرش إلا الذي خلقه. وقال بعضهم : وسع كرسيه السموات والأرض أي : ملأ كرسيه السماوات والأرض.

قوله : ﴿ولاَ يَئُودُهُ حِفْظُهُما﴾ . قال مجاهد : أي لايثقل عليه حفظهما ﴿وهو العليُّ﴾ قال الحسن : لاشيء أعلى منه . ﴿العَظيمُ﴾ الذي لا منتهى له ولا قدر ولا حدّ .

ذكروا عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : «لاتتفكروا في الله وتفكروا فيما خلق» (١) .

ذكروا عن الحسن أنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه يوماً: أي القرآن أعظم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : سورة البقرة. قال : أتدرون أيُّاً أعظم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم ...﴾ إلى آخر الآية .

ذكروا عن ابن عباس أنه قال : أشرف سورة في القرآن سورة البقرة؛ قيل له : أيها أعظم ؟ قال : آية الكرسي (٢) .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ، وأخرجه الأصبهاني في الترغيب عن عبدالله بن سلام قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه وهم يتفكرون فقال : لاتتفكروا في الله ولكن تفكروا فيما خلق . وفي مسند الربيع بن حبيب بن جابر بن زيد عن رجل من أهل الكوفة يكنى أبا أمية جاء الحديث بلفظ: تفكروا في الخلق ولاتفكروا في الخالق ، وبهذا اللفظ أخرجه ابن أبي الدنيا.

(٢) الأحاديث التي وردت في فضل آية الكرسي كثيرة رواها أصحاب السنن بألفاظ متشابهة، منها مارواه ابن مسعود بلفظ : أعظم آية في القرآن ... ولفظ أبي هريرة : سيدة آي القرآن آية الكرسي.

قوله : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ . . . [البقرة : ٢٥٦].

ذكروا عن سعيد بن جبير قال : كان قوم من أصحاب النبي عليه السلام استرضعوا لأولادهم من اليهود في الجاهلية، فكبروا على اليهودية، فلما جاء الإسلام أسلم الآباء؛ فأرادوا أن يكرهوا أولادهم على الإسلام، فأنزل الله : ﴿لا إكراهَ في الدِّين﴾ .

ذكروا عن بعضهم أنه قال : أكره على الدين ولم يُكره فيه. أكره عليه العرب، إن هذه الأمة كانت أُمَّةً أمية ليس لها كتاب تقرؤُهُ أتى من عند الله، فأكرهوا على الإسلام. أما من كان على ملة من يهودي أو نصراني فأقر بالجزية قُبلت منه ولم يُفتن عن دينه. قال : وماكان سوى أهل الكتاب من المشركين ـ ماخلا العرب ـ فأقر بالجزية قبلت منه ولم يقتل .

وقال مجاهد : كانت النضير أرضعت رجالاً من الأوس، فلما أمر الرسول بإجلائهم قالت أبناؤهم من الأوس : لنذهبن معهم ولندينن بدينهم، فمنعهم أهلوهم، وأكرهوهم على الإسلام ففيهم نزلت : ﴿لا إكراه في الدِّين قَد تَبينَّ الرُّشْدُ من الغيِّ﴾ . الرشد الهدى ، والغي الضلالة .

قوله : ﴿فمن يكفُر بالطَّاغُوتِ﴾ الطاغوت هو الشيطان ﴿ويؤمن بالله فقد اسْتمسكَ بالعُروَةِ الوُثقَى لا انفصام لها والله سميعٌ عَليمٌ﴾ . قال مجاهد : العروة الوثقى الإيمان. وقال بعضهم: العروة الوثقى

لا إله إلا الله. (لا انفصامَ لها) أي لا انقطاع لها. وقال الحسن: لا انفصام لها دون أن تهجم بأهلها على الجنة.

قوله: ﴿الله ولي الذين ءَامَنُوا﴾، قال الحسن: ولي هداهم وتوفيقهم، ﴿يُخرِجُهُم من الظُلُمٰتِ إلى النورِ﴾ أي يخرجهم من وحي الشيطان إلى وحي الله، ولم يكونوا في وحي الشيطان قط. ﴿والذينَ كَفَرُوا أولياؤهُمُ الطَّاغوتُ يُخرجُونهم من النور إلى الظُلمَاتِ﴾ أي من وحي الله إلى وحيهم، ولم يكونوا في وحي الله قط، وهو كقوله: ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا . . . . . ﴾ [يونس: ٩٨]، كشف عنهم عذاباً لم ينزل بهم أي صرف عنهم. وقال بعضهم: يُخْرِجُهُم من الظُلمات إلى النور، أي من الضلالة إلى الهدى، لأنهم كانوا في ضلالة، قال: ﴿أولئِكَ أَصْحَـٰبُ النار هُم فيها خـٰلدُونَ﴾ أي لايموتون ولا يخرجون منها أبداً.

النشاط التقويمي :

١ ـ يُشكك البعض في نسبة «تفسير كتاب الله العزيز» للشيخ هود ابن محكم الهواري.
أ ـ ما أدلة هذا التشكيك؟
ب ـ كيف ترد على هذه الشكوك؟

٢ ـ من قراءتك للموضوع بين منزلة «تفسير كتاب الله العزيز» للشيخ هود بن محكم الهواري.

٣ ـ من دراستك للعنصر الرابع حدد منهج الشيخ هود في التفسير .

٤ ـ ما قولك فيما نسب إلى الشيخ هود من اختصار أغلب سلسلة الإسناد؟ وما دوافعه إلى ذلك ؟

النشاط الدراسي :

١ ـ «لقد ظل هذا التفسير أكثر من أحد عشر قرناً منسيا مغموراً إلى أن ظهرت مخطوطاته المتفرقة في بعض الخزائن الخاصة، وهي خزائن لعلماء من القرون الأربعة الأخيرة، يحتفظ بها أبناؤهم وحفدتهم» .

النص السابق من «المقدمة» لتفسير «كتاب الله العزيز» الذي حققه وعلق عليه بَالْحَاجّ بن سعيد الشريفي.

ارجع إلى مقدمة المحقق ولخص :

١ ـ نسبة التفسير إلى الشيخ هود الهواري.

٢ ـ تفسير ابن سلام، ومنهجية تفسيره.

٣ ـ تفسير العلامة هود الهواري ، ميزته وقيمته.

٤ ـ مخطوطات الكتاب.

٢ ـ اقرأ تفسير سورة الفاتحة وبين مافيها من منهجية التفسير في تقرير لايتجاوز الصفحتين.

مناهج المفسرين (٢)
«في ظلال القرآن الكريم»
للشهيد سيد قطب

عناصر الدرس :

١ ـ التعريف بالمؤلف
٢ ـ التعريف بالتفسير .
٣ ـ منهج التفسير .
٤ ـ نموذج من التفسير .

● الأنشـــطة

تمهيـــد :

١ ـ التعريف بالمؤلف :

هو سيد بن الحاج قطب إبراهيم حسين الشاذلي ، ينحدر من أصل هندي فجده السادس كان هندياً وهو الفقير عبدالله .

ولد سيد قطب في شهر سبتمبر سنة ١٩٠٦ م في قرية موشا إحدى قرى محافظة أسيوط، ونشأ في أسرة متدينة وطبع والده في حِسه وهو صغير مخافة اليوم الآخر، وكانت أولى أماني والدته أن يحفظ القرآن الكريم .

أتم دراسته في القرية وحفظ القرآن الكريم وهو في نحو العاشرة من عمره، ثم انتقل إلى القاهرة وتخرج في دار العلوم سنة ١٩٣٣ م متخصصاً في اللغة العربية .

عمل في التدريس ، ثم سافر إلى أمريكا لتحضير درجة الماجستير ودراسة (النظم التعليمية)، وهناك درس المجتمع الأمريكي من الداخل ونقد نظمه، ولاحظ أثناء وجوده في أمريكا ترحيباً كبيراً بمقتل الإمام البنا المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين. فبدأ التفكير بالالتحاق بالجماعة .

وظل يجاهد وتتدهور علاقته برجال الثورة حتى استشهد سنة ١٩٦٦ . وأهم آثاره :

(١) كتاب «التصوير الفني في القرآن» .
(٢) كتاب «مشاهد القيامة في القرآن» صدر سنة ١٩٤٧ م.
(٣) تفسير «في ظلال القرآن» وبدأه مقالات في مجلة «المسلمون» سنة ١٩٥٠ م .
(٤) كتاب «العدالة الاجتماعية في الإسلام» سنة ١٩٤٩ م ثم عدّله سنة ١٩٦٤ م .
(٥) «هذا الدين» صدر في أوائل الستينات .
(٦) «المستقبل لهذا الدين» صدر في أوائل الستينات .
(٧) «معالم في الطريق» سنة ١٩٦٤ م .

٢ ـ التعريف بالتفسير :

أصـدر الشهيد الجزء الأول من تفسيره سنة ١٩٥٢ م ، ولما اعتقل سنة ١٩٥٤ م كان قد أنجز ستة عشر جزءاً منه، ثم أكمل تفسيره في السجن. ويقول في مقدمة التفسير :

«الحياة في ظلال القرآن نعمة . نعمة لايعرفها إلَّا من ذاقها. نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه. والحمد لله . لقد مَنَّ عليّ بالحياة في ظلال القرآن في فترة من الزمان، ذقت فيها من نعمته مالم أذق قط في حياتي. ذقت فيها هذه النعمة التي ترفع العمر وتباركه وتزكيه.

لقد عشت أسمع الله ـ سبحانه ـ يتحدث إليَّ بهذا القرآن . . أنا العبد القليل الصغير . . أي تكريم للإنسان هذا التكريم العلوي الجليل ؟ أي رفعة للعمر يرفعها هذا التنزيل ؟ أي مقام كريم يتفضل به على الإنسان خالقه الكريم ؟

وعشت ـ في ظلال القرآن ـ أنظر من عُلو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض، وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة . . أنظر إلى تعـاجب أهـل هذه الجـاهلية بما لديهم من معرفة الأطفال، وتصورات الأطفال، واهتمامات الأطفال . . كما ينظر الكبير إلى عبث الأطفـال، ومحـاولات الأطفـال . . ولثغة الأطفال . . وأعجب . . مابَالُ هذا الناس ؟ ماباهم يرتكسون في الحمأة الوبيئة، ولايسمعون النداء العلوي الجليل. النداء الذي يرفع العمر ويباركه ويزكيه ؟

عشت أتملى ـ في ظلال القرآن ـ ذلك التصور الكامل الشامل الرفيع النظيف للوجود . . لغاية الوجود كله ، وغاية الوجود الإنساني . . وأقيس إليه تصورات الجاهلية التي تعيش فيها البشرية، في شرق وغرب، وفي شمال وجنوب . . وأسأل . . كيف تعيش البشرية في المستنقع الآسن ، وفي الدرك الهابط، وفي الظلام البهيم وعندها ذلك المرتع الزكي، وذلك المرتقى العالي، وذلك النور الوضيء ؟

وعشت ـ في ظلال القرآن ـ أحس التناسق الجميل بين حركة الإنسان كما يريدها الله ، وحركة هذا الكون الذي أبدعه الله . . ثم أنظر . . فأرى التخبط الذي تعانيه البشرية في انحرافها عن السنن الكونية، والتصادم بين التعاليم الفاسدة الشريرة التي تُمْلىَ عليها وبين فطرتها التي فطرها الله عليها . وأقول في نفسي: أي شيطان لئيم هذا الذي يقود خطاها إلى هذا الجحيم ؟ ياحسرة على العباد !!!

وعشت ـ في ظلال القرآن ـ أرى الوجود أكبر بكثير من ظاهره المشهود . . أكبر في حقيقته، وأكبر في تعدد جوانبه . . إنه عالم الغيب والشهادة لا عالم الشهادة وحده. وإنه الدنيا والآخرة، لا هذه الدنيا وحدها . . والنشأة الإنسانية ممتدة في شعاب هذا المدى المتطاول . . والموت ليس نهاية الرحلة وإنما هو مرحلة في الطريق. وما يناله الإنسان من شيء في هذه الأرض ليس نصيبه كله، إنما هو قسط من ذلك النصيب. ومايفوته هنا من الجزاء لايفوته هناك. فلا ظلم ولا بخس ولا ضياع، على أن الرحلة التي يقطعها على ظهر هذا الكوكب إنما هي رحلة في

كون حي مأنوس، وعالم صديق ودود. كون ذي روح تتلقى وتستجيب، وتتجه إلى الخالق الواحد الذي تتجه إليه روح المؤمن في خشوع : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ . . . . . [الرعد : ١٥] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ . . . . . [الإسراء : ٤٤] أيُّ راحة ، وأيُّ سعة وأيُّ أنس، وأيُّ ثقة يفيضها على القلب هذا التصور الشامل الكامل الفسيح الصحيح ؟

وعشت ـ في ظلال القرآن ـ أرى الإنسان أكرم بكثير من كل تقدير عرفته البشرية من قبل للإنسان ومن بعد . . إنه إنسان بنفخة من روح الله : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩ . . .﴾ [الحجر : ٢٩] وهو بهذه النفخة مستخلف في الأرض : «وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة» ومسخر له كل مافي الأرض : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية : ١٣] ولأن الإنسان بهذا القدر من الكرامة والسمو جعل الله الآصرة التي يتجمع عليها البشر هي الآصرة المستمدة من النفخة الإلهية الكريمة. جعلها آصرة العقيدة في الله . . فعقيدة المؤمن هي وطنه، وهي قومه ، وهي أهله . . ومن ثم يتجمع البشر عليها وحدها، لا على أمثال ماتتجمع عليه البهائم من كلأ ومرعى وقطيع وسياج ! . .

والمؤمن ذو نسب عريق، ضارب في شعاب الزمان. إنه واحد من ذلك الموكب الكريم، الذي يقود خطاه ذلك الرهط الكريم: نوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ويعقوب ويوسف، وموسى وعيسى، ومحمد .. عليهم الصلاة والسلام .. ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون : ٥٢].

هذا الموكب الكريم ، الممتد في شعاب الزمان من قديم، يواجه - كما يتجلى في ظلال القرآن - مواقف متشابهة، وأزمات متشابهة، وتجارب متشابهة على تطاول العصور وكر الدهور، وتغير المكان، وتعدد الأقوام. يواجه الضلال والعمى والطغيان والهوى، والاضطهاد والبغي، والتهديد والتشريد. ولكنه يمضي في طريقه ثابت الخطو، مطمئن الضمير، واثقاً من نصر الله، متعلقاً بالرجاء فيه، متوقعاً في كل لحظة وعد الله الصادق الأكيد: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم : ١٣/١٤] موقف واحد وتجربة واحدة. وتهديد واحد . ويقين واحد. ووعد واحد للموكب الكريم .. وعاقبة واحدة ينتظرها المؤمنون في نهاية المطاف. وهم يتلقون الاضطهاد والتهديد والوعيد.

وانتهيت من فترة الحياة - في ظلال القرآن - إلى يقين جازم حاسم .. إنه لا صلاح لهذه الأرض ، ولا راحة لهذه

البشرية، ولا طمأنينة لهذا الإنسان، ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة، ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة .. إلا بالرجوع إلى الله ...

والرجوع إلى الله ـ كما يتجلى في ظلال القرآن ـ له صورة واحدة وطريق واحد .. واحد لا سواه .. إنه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم .. إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها. والتحاكم إليه وحده في شؤونها. وإلا فهو الفساد في الأرض، والشقاوة للناس، والارتكاس في الحمأة، والجاهلية التي تعبد الهوى من دون الله: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ . . . . .﴾ [القصص: ٥٠].

والكتاب يقع في ثماني مجلدات ـ أو ستٍّ في طبعة أخرى ـ وقد طبع عدة طبعات في فترة يسيرة ، ويعتبر ثروة فكرية يحتاج إليها المسلم في حياته الاجتماعية والفردية .

٣ ـ <u>منهج التفسير</u> :

أ ـ نهج في تفسيره أن يستظل بظلالِهِ في مقدمة السورة، تربط بين أجزائها وتوضح أهدافها ومقاصدها.

ب ـ عند الشروع في التفسير يذكر المأثور الصحيح ويضرب صفحاً عن المباحث اللغوية مكتفياً بالإشارة العابرة.

جـ ـ الاقتباس من كتب التاريخ والسير والمؤلفات المتنوعة في جميع مناحي المعرفة، وكان يشير إليها في هوامش الصفحات.

د ـ يتجه إلى إيقاظ وعي المسلم وتصحيح مفاهيمه، وربط الإسلام بالحياة ومن أهم الأفكار التي كانت تتكرر في تفسيره:

أولاً : الحاكمية لله تعالى وحده :

ومن ثم فإن الله وحده هو الذي يُشَرِّعُ للبشر، ويضع لهم نظام حياتهم على هذه الأرض، ولايكون هذا لأحد غيره من البشر، ومن هنا فإن الله وحده الذي يُشَرِّعُ للناس ، ويضع لهم «القوانين» ، ويفيض المؤلف في شرح هذه القاعدة ، فمثلاً في إطار عرض الآية ١٣ من سورة الشورى يقول :

«وليس لأحد من خلق الله أن يُشَرِّعَ غير ماشرعه الله وأذن به كائناً من كان، فالله وحده هو الذي يشرع لعباده. بما أنه ـ سبحانه ـ هو مبدع هذا الكون كله، ومدبره بالنواميس الكلية الكبرى التي اختارها له. والحياة البشرية إن هي إلا ترس صغير في عجلة هذا الكون الكبير، فينبغي أن يحكمها تشريع يتمشى مع تلك

النـــواميس، ولايتحقق هذا إلا حين يُشَرِّعُ لها المحيط بتلك النـــواميس، وكـل من عدا الله قاصر عن تلك الإحاطة بلا جدال . فلا يؤتمن على التشريع لحياة البشر مع ذلك القصور .

ومع وضوح هذه الحقيقة إلى حد البداهة ؛ فإن الكثيرين يجادلـون فيهـا، أو لايقتنعـون بها، وهم يجرؤون على استمـداد التشريع من غير ماشرع الله، زاعمـين أنهم يختارون الخير لشعوبهم، ويوائمون بين ظروفهم والتشريع الذي ينشئونه من عند أنفسهم، كأنما هم أعلم من الله وأحكم من الله ! أو كأنـما لهم شركـاء من دون الله يشرعون لهم مالم يأذن به الله ! وليس أخيب من ذلك ولا اجْرَأُ على الله !

لقد شرع الله للبشرية مايعلم سبحانه وتعالى أنه يتناسق مع طبيعتها وفطرتها،وطبيعة الكون الذي تعيش فيه وفطرته. ومن ثم يحقق لهذه البشرية أقصى درجات التعاون فيما بينها، والتعاون كذلك مع القوى الكونية الكبرى. شرع في هذا كله أصـولاً، وتـرك للبشر فقط اسـتـنـبـاط التشريعات الجزئية المتجددة مع حاجات الحياة المتجددة، في حدود المنهج الكلي والتشريعات العامة. فإذا مااختلف البشر في شيء من هذا ردوه إلى الله، ورجعوا به إلى تلك الأصول الكلية التي شرعها للناس، لتبقى ميزاناً يزن به البشر كل تشريع جزئي وكل تطبيق.

بذلك يتوحد مصدر التشريع ، ويكون الحكم لله وحده، وهو خير الحاكمين . وماعدا هذا النهج فهو خروج على شريعة الله ، وعلى دين الله ، وعلى ماوَصّى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام» .

ثانيا : المنهج الرباني الذي وضعه الله سبحانه للجماعة المسلمة :

يمتاز في كل تصوراته العامة سواء كان في العبادات أو في السلوك أو في المعاملات، أو في أحوالهم الأسرية، والفردية، والاجتماعية، والسياسية، والدولية، فَإنّهُ يعتبر منهجاً متكاملاً شاملاً، يصلح لحياة الناس . . اليوم . . وغداً . . وإلى أن تقوم الساعة.

ومن هنا تبطُل كُلُّ دَعْوىَ يقيمها أعداء الإسلام، أو المتخاذلون من أبنائه، بأنه لايساير أية حياة يحياها البشر على الأرض. وهذه الفكرة تتخلل دراساته في كل مايتصل بالمنهج الإسلامي.

ثالثاً : دراسة الفقه الإسلامي لم تعد تحتمل انشغال فقهاء المسلمين في أمور افتراضية عقيمة تقليدية، وتوهمات خيالية، وشطحات فاسدة، بعيدة عن واقع حياة الناس ومعاشهم، ويجب أن يكون الفقه تطبيقياً ،

يواكب حياة الناس، ويشبع حاجاتهم الفطرية للتعبد، ورغبتهم في الحياة النظيفة التي تحقق خشيتهم لله تعالى .

وطرح آراء في أداء فريضة الزكاة، وذبائح الحجيج، والهدي، والثروات الهائلة التي يملكها المسلمون.

رابعاً :

محاولات اليهود في التلبيس على الإسلام ماتزال مستمرة، وهي اليوم في أعلى عوائها، والمسلمون بحاجة للتصدي لهذه المحاولات، وتنقية الدين مما ألصقه به أعداؤه.

هـ - لكل سورة من سور القرآن الكريم شخصيتها المميزة، ولها روح يعيش فيها القلب، كما ولو كان يعيش مع روح إنسان حي مميز الملامح والسمات.

«ومن هنا فإن السورة إذا عرضت موضوعاً سبق لسورة أخرى أن عرضته، فهي إنما تعرضه في إطار ملامحها وشخصيتها وإيحاءاتها وسياقها».

«وهذا الطابع عام في السور جميعاً، ولايشذ عن هذه القاعدة طوال السور كما لايشذ عنها قصار السور» .

٤ - نموذج من التفسير :

سورة الفاتحة
مكية وآياتها سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

يردد المسلم هذه السورة القصيرة ذات الآيات السبع، سبع عشرة مرة في كل يوم وليلة على الحد الأدنى، وأكثر من ضعف ذلك إذا هو صلّى السنن، وإلى غير حد إذا هو رغب في أن يقف بين يدي ربه متنفلاً، غير الفرائض والسنن. ولاتقوم صلاة بغير هذه السورة لما ورد في الصحيحين عن رسول الله - ﷺ - من حديث عبادة بن الصامت : «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» .

إن في هذه السورة من كليات العقيدة الإسلامية، وكليات التصور الإسلامي، وكليات المشاعر والتوجهات، مايشير إلى طرف من حكمة اختيارها للتكرار في كل ركعة، وحكمة بطلان كل صلاة لاتذكر فيها .

تبدأ السورة : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ . . ومع الخلاف حول

البسملة : أهي آية من كل سورة أم هي آية من القرآن تفتتح بها عند القراءة كل سورة، فإن الأرجح أنها آية من سورة الفاتحة، وبها تحتسب آياتها سبعاً. وهناك قول بأن المقصود بقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧]. هو سورة الفاتحة بوصفها سبع آيات «من المثاني» لأنها يثنى بها وتكرر في الصلاة.

والبدء باسم الله هو الأدب الذي أوحى الله لنبيه ـ ﷺ ـ في أول مانزل من القرآن باتفاق، وهو قوله تعالى : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ . . . .﴾ [العلق : ١]. . وهو الذي يتفق مع قاعدة التصور الإسلامي الكبرى من أن الله ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد :٣] فهو ـ سبحانه ـ الموجود الحق الذي يستمد منه كلُّ موجود وجوده، ويبدأ منه كل مبدوء بدأه. فباسْمه إذن يكون كل ابتداء. وباسْمه إذن تكون كل حركة وكل اتجاه.

ووصفه ـ سبحانه ـ في البدء بالرحمن الرحيم ، يستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها . . وهو المختص وحده باجتماع هاتين الصفتين، كما أنه المختص وحده بصفة الرحمن. فمن الجائز أن يوصف عبد من عباده بأنه رحيم، ولكن من الممتنع من الناحية الإيمانية أن يوصف عبد من عباده بأنه رحمن. ومن باب أولى أن تجتمع له الصفتان . . ومهما يختلف في معنى الصفتين: أيتهما تدل على مدى أوسع من الرحمة، فهذا الاختلاف ليس مما يعنينا تقصيه في هذه الظلال، إنما نخلص منه إلى استغراق هاتين الصفتين مجتمعتين لكل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها.

وإذا كان البدء باسم الله ومايطوي عليه من توحيد لله وأدب معه يمثل الكلية الأولى في التصور الإسلامي .. فإن استغراق معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها في صفتي «الرحمن الرحيم» يمثل الكلية الثانية في هذا التصور، ويقرر حقيقة العلاقة بين الله والعباد .

وعقب البدء باسم الله الرحمن الرحيم يَجيء التوجه إلى الله بالحمد ووصفه بالربوبية المطلقة للعالمين : ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ..

والحمد لله هو الشعور الذي يفيض به قلب المؤمن بمجرد ذكره لله .. فإن وجوده ابتداء ليس إلا فيضاً من فيوضات النعمة الإلهية التي تستجيش الحمد والثناء. وفي كل لمحة وفي كل لحظة وفي كل خطوة تتوالى آلاء الله وتتواكب وتتجمع، وتغمر خلائقه كلها وبخاصة هذا الإنسان .. ومن ثم كان الحمد لله ابتداء، وكان الحمد لله ختاماً قاعدة من قواعد التصور الإسلامي المباشر: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [القصص : ٧٠].

ومع هذا يبلغ من فضل الله ـ سبحانه ـ وفيضه على عبده المؤمن، أنه إذا قال : الحمد لله . كتبها له حسنة ترجح كل الموازين .. في سنن ابن ماجة عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ حدثهم أن عبداً من عباد الله قال : «يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك» . فعضلت الملكين فلم يدريا كيف يكتبانها. فصعدا إلى الله فقالا : ياربنا ، إن عبداً قد قال مقالة لاندري كيف نكتبها. قال الله ـ وهو أعلم بما قال عبده ـ :

«ومماالذي قال عبدي؟» قالا : يارب ، إنه قال : لك الحمد يارب كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله لهما: «اكتباها كما قال عبدي حتى يلقاني فأجزيه بها» .

والتوجه إلى الله بالحمد يمثل شعور المؤمن الذي يستجيشه مجرد ذكره لله ـ كما أسلفنا ـ أما شطر الآية الأخير : ﴿رب العالمين﴾ فهو يمثل قاعدة التصور الإسلامي، فالربوبية المطلقة الشاملة هي إحدى كليات العقيدة الإسلامية .. والرب هو المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد وعلى المتصرف للإصلاح والتربية .. والتصرف للإصلاح والتربية يشمل العالمين ـ أي جميع الخلائق ـ والله ـ سبحانه ـ لم يخلق الكون ثم يتركه هملاً. إنما هو يتصرف فيه بالإصلاح ويرعاه ويربيه. وكل العوالم والخلائق تحفظ وتُتعهد برعاية الله رب العالمين. والصلة بين الخالق والخلائق دائمةٌ ممتدة قائمة في كل وقت وفي كل حالة.

والربوبية المطلقة هي مفرق الطريق بين وُضُوح التوحيد الكامل الشامل، والغبش الذي ينشأ من عدم وضوح هذه الحقيقة بصورتها القاطعة. وكثيراً ماكان الناس يجمعون بين الاعتراف بالله بوصفه الموجد الواحد للكون، والاعتقاد بتعدد الأرباب الذين يتحكمون في الحياة. ولقد يبدو هذا غريباً مضحكاً. ولكنه كان ومايزال. ولقد حكى لنا القرآن الكريم عن جماعة من المشركين كانوا يقولون عن أربابهم المتفرقة : ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ . . .﴾ [الزمر : ٣] كما قال عن جماعة من أهل الكتاب ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ

أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة : ٣١] وكانت عقائد الجاهليات السائدة في الأرض كلها يوم جاء الإسلام، تعج بالأرباب المختلفة، بوصفها أرباباً صغاراً تقوم إلى جانب كبير الآلهة كما يزعمون !

فإطلاق الربوبية في هذه السورة، وشمول هذه الربوبية للعالمين جميعاً، هي مفرق الطريق بين النظام والفوضى في العقيدة. لتتجه العوالم كلها إلى رب واحد، تقر له بالسيادة المطلقة، وتنفض عن كاهلها زحمة الأرباب المتفرقة، وعنت الحيرة كذلك بين شتى الأرباب .. ثم ليطمئن ضمير هذه العوالم إلى رعاية الله الدائمة وربوبيته القائمة. وإلى أن هذه الرعاية لاتنقطع أبداً ولا تفتر ولا تغيب، لا كما كان أرقى تصور فلسفي لأرسطو مثلاً يقول بأن الله أوجد هذا الكون ثم لم يعد يهتم به ، لأن الله أرقى من أن يفكر فيما هو دونه! فهو لايفكر إلا في ذاته ! وأرسطو ـ وهذا تصوره ـ هو أكبر الفلاسفة، وعقله هو أكبر العقول !

لقد جاء الإسلام وفي العالم ركام من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والأفكار. . يختلط فيها الحق بالباطل، والصحيح بالزائف، والدين بالخرافة، والفلسفة بالأسطورة . . والضمير الإنساني تحت هذا الركام الهائل يتخبط في ظلمات وظنون، ولايستقر منها على يقين .

وكان التيه الذي لا قرار فيه ولا يقين ولا نور، هو ذلك الذي يحيط بتصور البشرية لإلهها، وصفاته وعلاقته بخلائقه، ونوع الصلة بين الله والإنسان على وجه الخصوص .

ولم يكن مستطاعاً أن يستقر الضمير البشري على قرار في أمر هذا الكون، وفي أمر نفسه وفي منهج حياته، قبل أن يستقر على قرار في أمر عقيدته وتصوره لإلهه وصفاته، وقبل أن ينتهي إلى يقين واضح مستقيم في وسط هذا العماء وهذا التيه وهذا الركام الثقيل.

ولا يدرك الإنسان هذا الاستقرار حتى يطلع على ضخامة هذا الركام، وحتى يرود هذا التيه من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والأفكار التي جاء الإسلام فوجدها ترين على الضمير البشري، والتي أشرنا إلى طرف منها فيما تقدم صغير. (وسيجيء في استعراض سور القرآن الكريم منها، مما عالجه القرآن علاجاً وافياً شاملاً كاملاً) .

ومن ثم كانت عناية الإسلام الأولى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة، وتحديد التصور الذي يستقر عليه الضمير في أمر الله وصفاته، وعلاقته بالخلائق، وعلاقة الخلائق به على وجه القطع واليقين.

ومن ثم كان التوحيد الكامل الخالص المجرد الشامل، الذي لاتشوبه شائبة من قريب ولا من بعيد . . هو قاعدة التصور التي جاء بها الإسلام، وظل يجلوها في الضمير، ويتتبع فيه كل هاجسة وكل شائبة حول حقيقة التوحيد، حتى يخلصها من كل غبش. ويدعها مكينة راكزة لايتطرق إليها وهم في صورة من الصور. . كذلك قال الإسلام كلمة الفصل بمثل هذا الوضوح في صفات الله وبخاصة مايتعلق منها بالربوبية المطلقة. فقد كان معظم الركام في ذلك التيه

الذي تخبط فيه الفلسفات والعقائد كما تخبط فيه الأوهام والأساطير. . مما يتعلق بهذا الأمر الخطير، العظيم الأثر في الضمير الإنساني، وفي السلوك البشري سواء.

والـذي يراجع الجهد المتطاول الذي بذله الإسلام لتقرير كلمة الفصل في ذات الله وصفاته وعلاقته بمخلوقاته، هذا الجهد الذي تمثله النصوص القرآنية الكثيرة . . الذي يراجع هذا الجهد المتطاول دون أن يراجع ذلك الركام الثقيل في ذلك التيه الشامل الذي كانت البشرية كلها تهيم فيه . . قد لايدرك مدى الحاجة إلى كل هذا البيان المؤكـد المكـرر، وإلى كل هذا التـدقيق الـذي يتتبـع كل مسـالك الضمير. . ولكن مراجعة ذلك الركام تكشف عن ضرورة ذلك الجهد المتطاول، كما تكشف عن مدى عظمة الدور الذي قامت به هذه العقيدة ـ وتقوم ـ في تحرير الضمير البشري وإعتاقه، وإطلاقه من عناء التخبط بين شتى الأرباب وشتى الأوهام والأساطير!

وإن جمال هذه العقيدة وكمالها وتناسقها وبساطة الحقيقة الكبيرة التي تمثلها . . كل هذا لايتجلى للقلب والعقل كما يتجلى من مراجعة ركـام الجـاهلية من العقـائد والتصورات، والأساطير والفلسفات ! وبخـاصـة موضوع الحقيقة الإلهية وعلاقتها بالعالم . . عندئذ تبدو العقيدة الإسلامية رحمة، رحمة حقيقية للقلب والعقل، رحمة بما فيها من جمال وبسـاطـة، ووضـوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق .

﴿الرحمن الرحيم﴾ . . هذه الصفة التي تستغرق كل معاني الرحمة

وحالاتها ومجالاتها تتكرر هنا في صلب السورة، في آية مستقلة، لتؤكد السمة البارزة في تلك الربوبية الشاملة، ولتثبت قوائم الصلة الدائمة بين الرب ومربوبيه. وبين الخالق ومخلوقاته .. إنها صلة الرحمة والرعاية التي تستجيش الحمد والثناء .. إنها الصلة التي تقوم على الطمأنينة وتنبض بالمودة، فالحمد هو الاستجابة الفطرية للرحمة الندية.

إن الرب الإله في الإسلام لايطارد عباده مطاردة الخصوم والأعداء كآلهة الأولمب في نزواتها وثوراتها كما تصورها أساطير الإغريق. ولايدبر لهم المكائد الانتقامية كما تزعم الأساطير المزورة في «العهد القديم» كالذي جاء في أسطورة برج بابل في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين [1].

﴿مالك يوم الدين﴾ .. وهذه تمثل الكلية الضخمة العميقة التأثير في الحياة البشرية كلها، كلية الاعتقاد بالآخرة .. والملك أقصى درجات الاستيلاء والسيطرة. ويوم الدين هو يوم الجزاء في الآخرة .. وكثيراً ماعتقد الناس بألوهية الله ، وخلقه للكون أول مرة، ولكنهم مع هذا لم يعتقدوا بيوم الجزاء .. والقرآن يقول عن بعض هؤلاء:

---

(١) وكانت الأرض كلها لغة واحدة وكلاماً واحداً. وكان أنهم لما رحلوا من المشرق وجدوا بقعة في أرض شنعار فأقاموا هناك. وقال بعضهم لبعض تعالوا نصنع لبناً وننضجه طبخاً فكان لهم اللبن بدل الحجارة والحمر كان لهم بدل الطين. وقالوا تعالوا نبن لنا مدينة وبرجاً رأسه إلى السماء ونقم لنا إسماً كي لانتبدد على وجه الأرض كلها. فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونها. وقال الرب هوذا هم شعب واحد ولجميعهم لغة واحدة وهذا ماأخذوا يفعلونه. والآن لايكفون عما هموا به حتى يصنعوه. هلم نهبط ونُبلبل هناك لغتهم حتى لايفهم بعضهم لغة بعض. فبددهم الرب من هناك على وجه الأرض كلها وكفوا عن بناء المدينة. ولذلك سميت بابل لأن الرب هناك بلبل لغة الأرض كلها. ومن هناك شتتهم الرب على كل وجهها.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ . . . . ﴾ [لقمان : ٢٥] ثم يحكي عنهم في موضع آخر : ﴿ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝١ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ ﴾ [ق : ٢، ٣] .

والاعتقاد بيوم الدين كلية من كليات العقيدة الإسلامية ذات قيمة في تعليق أنظار البشر وقلوبهم بعالم آخر بعد عالم الأرض ، فلا تستبد بهم ضرورات الأرض. وعندئذ يملكون الاستعلاء على هذه الضرورات. ولا يستبد بهم القلق على تحقيق جزاء سعيهم في عُمرهم القصير المحدود، وفي مجال الأرض المحصور . وعندئذ يملكون العمل لوجه الله وانتظار الجزاء حيث يقدره الله ، في الأرض أو في الدار الآخرة سواء، في طمأنينة لله ، وفي ثقة بالخير، وفي إصرار على الحق، وفي سعة وسماحة ويقين . . ومن ثم فإن هذه الكلية تعد مفرق الطريق بين العبودية للنزوات والرغائب، والطلاقة الإنسانية اللائقة ببني الإنسان. بين الخضوع لتصورات الأرض وقيمها وموازينها والتعلق بالقيم الربانية والاستعلاء على منطق الجاهلية . مفرق الطريق بين الإنسانية في حقيقتها العليا التي أرادها الله الرب لعباده، والصور المشوهة المنحرفة التي لم يقدر لها الكمال.

وما تستقيم الحياة البشرية على منهج الله الرفيع مالم تتحقق هذه الكلية في تصور البشر. ومالم تطمئن قلوبهم إلى أن جزاءهم على الأرض ليس هو نصيبهم الأخير. ومالم يثق الفرد المحدود العمر بأن له حياة أخرى تستحق أن يجاهد لها، وأن يضحي لنصرة الحق والخير معتمداً على العوض الذي يلقاه فيها . .

ومـايستـوي المؤمنـون بالآخرة والمنكرون لها في شعور ولا خلق ولا سلوك ولا عمـل. فهـما صنفان مختلفان من الخلق. وطبيعتان متميزتان لا تلتقيان في الأرض في عمل ولا تلتقيان في الآخرة في جزاء . . وهذا هو مفرق الطريق . .

﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ . . وهذه هي الكلية الاعتقادية التي تنشأ عن الكليات السابقة في السورة. فلا عبادة إلا لله، ولا استعانة إلا بالله.

وهنا كذلك مفرق طريق . . مفرق طريق بين التحرر المطلق في كل عبودية، وبين العبودية المطلقة للعبيد! وهذه الكلية تعلن ميلاد التحـرر البشري الكـامـل الشـامـل. التحرر من عبودية الأوهام. والتحرر من عبودية النظم، والتحرر من عبودية الأوضاع. وإذا كان الله وحده هو الذي يُعبد، والله وحده هو الذي يُستعان، فقد تخلص الضمـير البشري من استـذلال النـظم والأوضاع والأشخاص، كما تخلص من استذلال الأساطير والأوهام والخرافات.

وهنـا يعـرض موقف المسلم من القوى الإنسانية ، ومن القوى الطبيعية . .

فأما القوى الإنسانية ـ بالقياس إلى المسلم ـ فهي نوعان : قوة مهتدية، تؤمن بالله ، وتتبع منهج الله . . وهذه يجب أن يؤازرها ، ويتعاون معها على الخير والحق والصلاح . . وقوة ضالة لاتتصل بالله ولاتتبع منهجه . وهذه يجب أن يحاربها ويكافحها ويغير عليها.

ولا يهولن المسلم أن تكون هذه القوة الضالة ضخمة أو عاتية. فهي بضلالها عن مصدرها الأول ـ قوة الله ـ تفقد قوتها الحقيقية. تفقد الغذاء الدائم الذي يحفظ لها طاقتها. وذلك كما ينفصل جرم ضخم من نجم ملتهب، فما يلبث أن ينطفيء ويبرد ويفقد ناره ونوره، مهما كانت كتلته من الضخامة. على حين تبقى لِأَيّةِ ذرة متصلة بمصدرها المشع قوتها وحرارتها ونورها ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٤٩] غلبتها باتصالها بمصدر القوة الأول، وباستمدادها من النبع الواحد للقوة وللعزة جميعاً.

وأما القوى الطبيعية فموقف المسلم منها هو موقف التعرف والصداقة، لا موقف التخوف والعداء. ذلك أن قوة الإنسان وقوة الطبيعة صادرتان عن إرادة الله ومشيئته، محكومتان بإرادة الله ومشيئته، متناسقتان متعاونتان في الحركة والاتجاه.

إن عقيدة المسلم توحي إليه أن الله ربه قد خلق هذه القوى كلها لتكون له صديقاً مساعداً متعاوناً، وأن سبيله إلى كسب هذه الصداقة أن يتأمل فيها. ويتعرف إليها، ويتعاون وإياها، ويتجه معها إلى الله ربه وربها. وإذا كانت هذه القوى تؤذيه أحياناً ، فإنما تؤذيه لأنه لم يتدبرها ولم يتعرف إليها، ولم يهتد إلى الناموس الذي يسيرها.

ولقد درج الغربيون ـ ورثة الجاهلية الرومانية ـ على التعبير عن استخدام قوى الطبيعة بقولهم :« قهر الطبيعة» . . ولهذا التعبير دلالته الظاهرة على نظرة الجاهلية المقطوعة الصلة بالله، وبروح الكون

المستجيب لله. فأما المسلم الموصول القلب بربه الرحمن الرحيم، الموصول الروح بروح هذا الوجود المسبحة لله رب العالمين.. فيؤمن بأن هنالك علاقة أخرى غير علاقة القهر والجفوة. إنه يعتقد أن الله هو مبدع هذه القوى جميعاً. خلقها كلها وفق ناموس واحد، لتتعاون على بلوغ الأهداف المقدرة لها بحسب هذا الناموس. وأنه سخرها للإنسان ابتداء ويسر له كشف أسرارها ومعرفة قوانينها. وأن على الإنسان أن يشكر الله كلما هيأ له أن يظفر بمعونة من إحداها. فالله هو الذي يسخرها له، وليس هو الذي يقهرها: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية : ١٣].

وإذن فإن الأوهام لن تملأ حسه تجاه قوى الطبيعة، ولن تقوم بينه وبينها المخاوف.. إنه يؤمن بالله وحده، ويعبد الله وحده، ويستعين بالله وحده. وهذه القوى من خلق ربه. وهو يتأملها ويألفها ويتعرف أسرارها، فتبذل له معونتها، وتكشف له عن أسرارها، فيعيش معها في كون مأنوس صديق ودود.. وماأروع قول الرسول - ﷺ - وهو ينظر إلى جبل أحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه».. ففي هذه الكلمات كل مايحمله قلب المسلم الأول محمد - ﷺ - من ود وألفة وتجاوب، بينه وبين الطبيعة في أضخم وأخشن مجاليها.

وبعد تقرير تلك الكليات الأساسية في التصور الإسلامي، وتقرير الاتجاه إلى الله وحده بالعبادة والاستعانة.. يبدأ في التطبيق العملي لها بالتوجه إلى الله بالدعاء على صورة كلية تناسب جو السورة وطبيعتها: ﴿اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾..

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ . . وفقنا إلى معرفة الطريق المستقيم الواصل؛ ووفقنا للاستقامة عليه بعد معرفته . . فالمعرفة والاستقامة كلتاهما ثمرة لهداية الله ورعايته ورحمته. والتوجه إلى الله في هذا الأمر هو ثمرة الاعتقاد بأنه وحده المعين. وهذا الأمر هو أعظم وأول مايطلب المؤمن من ربه العون فيه. فالهداية إلى الطريق المستقيم هي ضمان السعادة في الدنيا والآخرة عن يقين . . وهي في حقيقتها هداية فطرة الإنسان إلى ناموس الله الذي ينسق بين حركة الإنسان وحركة الوجود كله في الاتجاه إلى الله رب العالمين .

ويكشف عن طبيعة هذا الصراط المستقيم : ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ . . فهو طريق الذين قسم لهم نعمته . . لا طريق الذين غضب عليهم لمعرفتهم الحق ثم حيدتهم عنه. أو الذين ضلوا عن الحق فلم يهتدوا أصلاً إليه . . إنه صراط السعداء المهتدين الواصلين . .

وبعد: فهذه هي السورة المختارة للتكرار في كل صلاة، والتي لاتصح بدونها صلاة. وفيها على قصرها تلك الكليات الأساسية في التصور الإسلامي، وتلك التوجهات الشعورية المنبثقة من ذلك التصور.

وقد ورد في صحيح مسلم من حديث العلاء بن عبدالرحمن مولى الحرقة عن أبيه، عن أبي هريرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ : «يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين. فنصفها لي ونصفها

لعبدي، ولعبدي ماسأل.. إذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين. قال الله : حمدني عبدي . وإذا قال الرحمن الرحيم . قال الله : أثنى عليّ عبـدي . فإذا قال : مالـك يوم الدين . قال الله : مجدني عبدي. وإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين . قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ماسأل . فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال : هذا لعبدي ولعبدي ماسأل» .

ولعل هذا الحديث الصحيح ـ بعدما تبين من سياق السورة ماتبين ـ يكشف عن سر من أسرار اختيار السورة ليرددها المؤمن سبع عشرة مرة في كل يوم وليلة، أو ماشاء الله أن يرددها كلما قام يَدْعُوهُ في الصلاة.

النشاط التقويمي :

١ ـ من دراستك للعنصر الأول للموضوع حدد العوامل المؤثرة في تكوين شخصية الشهيد سيد قطب .

٢ ـ اقرأ المقتطف المنقول من مقدمة تفسير «في ظلال القرآن» بعناية وحدد دوافع الشهيد لتفسير القرآن الكريم مستشهداً بالعبارات الدالة على ذلك .

٣ ـ فسر المراد بما عند الشهيد :

ـ الحاكمية ـ الشمول والتكامل في المنهج

٤ ـ تشير العبارات التالية إلى بعض ملامح منهجية التفسير عند الشهيد، حدد هذه الملامح، واستشهد بعبارات أخرى دالة عليها إن وجدت في تفسير سورة الفاتحة :

أ ـ «ومهما يختلف في معنى الصفتين : أيتهما تدل على مدى أوسع من الرحمة، فهذا الاختلاف ليس مما يعنينا تقصيه في هذه الظلال» .

ب ـ «أما شطر الآية الأخير ﴿رب العالمين﴾ فهو يمثل قاعدة التصور الإسلامي، فالربوبية المطلقة الشاملة هي إحدى كليات العقيدة الإسلامية» .

جـ ـ «إن الرب الإله في الإسلام لايطارد عباده مطاردة الخصوم والأعداء كآلهة الأولمب في نزواتها وثوراتها كما تصورها أساطير الإغريق» .

د ـ «وهنا كذلك مفرق طريق . . مفرق طريق بين التحرر المطلق من كل عبودية ، وبين العبودية المطلقة للعبيد» .

هـ ـ «ولقد درج الغربيون ـ ورثة الجاهلية الرومانية ـ على التعبير عن استخدام قوى الطبيعة بقولهم: «قهر الطبيعة» .

و ـ «وبعد تقرير تلك الكليات الأساسية في التصور الإسلامي ، وتقرير الاتجاه إلى الله وحده بالعبادة والاستعانة . . يبدأ في التطبيق العملي لها بالتوجه إلى الله بالدعاء على صورة كلية تناسب جو السورة وطبيعتها».

٥ ـ حدد أهم الأفكار الإسلامية في تفسير سورة الفاتحة عند الشهيد.

مناهج المفسرين (٣)
«جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل»
للشيخ أحمد بن حمد الخليلي

عناصر الدرس :

١ ـ التعريف بالمؤلف
٢ ـ التعريف بالتفسير .
٣ ـ منهج التفسير .
٤ ـ نموذج من التفسير .

● الأنشـــطة

تمهيـــد :

١ ـ التعريف بالمؤلف :

ولـد الشيخ أحمـد بن حمد بن سليمان الخليلي في زنجبار سنة ١٣٦١ هـ، ونشأ وتعلم فيها، وكانت أكثر مراجعاته العلمية للشيخ أحمد بن حمدون الحارثي والشيخ عبدالله بن سليمان الحارثي .

ولازم الشيخين خلفان بن جميل السيابي وأبا إسحاق المغربي لما زارا زنجبار، وعاد إلى عُمان مع أبيه وعائلته سنة ١٣٨٤ هـ،

وقام بالتدريس في مسجد الخور بمسقط، ويشغل الآن منصب المفتي العام.

وأهم إنتاجه :

أ ـ كتاب «الحق الدامغ» .
ب ـ «جواهر التفسير» .
جـ ـ المدخل العام لدراسة العقيدة الإسلامية.

٢ ـ التعريف بالتفسير :

يبين الشيخ في مقدمة التفسير الدافع إلى هذا العمل فيقول :

«فما أحوج المسلمين إلى عودة حميدة إلى القرآن من جديد، وبناء هيكل حياتهم على أسس صلبة متينة من تعاليمه سواء مايتصل منها بالعقيدة أو العبادات أو الأخلاق أو المعاملات أو السياسة أو الاقتصاد أو الأدب أو الثقافة أو الاجتماع، فالقرآن الذي أنزله الله ليسطع على العالم مابَقِيَ الدهر ، وليقود الإنسانية إلى الرشد، لايضيق بأي شيء من أطوار الزمن ولا بأية مشكلة تفرزها الحياة وصدق الله ﴿مَّافَرَّطْنَافِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ...﴾ [الأنعام : ٣٨] وإذا كان العالم اليوم يقف على عتبة مرحلة جديدة يواجه فيها صحوة إسلامية مشرقة، يتألق نورها في عقول شباب المسلمين، فإن الواجب يفرض على جميع أفراد المسلمين أن يضافروا جهودهم ـ كل بحسب مايملك ـ وأن

يحشدوا جميع طاقاتهم المادية والمعنوية للمحافظة على سير هذه الصحوة في مسلكها السليم، وانتشارها بنور من وحي القرآن؛ حتى لايعتريها الشذوذ أو الانحراف .

لذلك رأيت لزاما علي أن أسهم في هذا العمل الإسلامي حسب طاقتي ولو بجهد متواضع، وقد كنت من نحو عقد من السنين أحلم بأن أنال شرف خدمة القرآن، لكن يصدني قصور نفسي وعظمة الأمر المطلوب، وعدم توفر الوقت الكافي لمثل هذا العمل الخطير، فبقيت خلال هذه المدة متردداً بين طموح نفسي وشعوري بعجزها، حتى استخرت الله تعالى فتيسر لي إلقاء دروس في التفسير (بجامع قابوس بروي) أمام طلاب معهد إعداد القضاة وغيرهم وسائر المستفيدين، وكانت الفرص التي أتيحت لي للقيام بهذا العمل كأنما انتزعها القدر انتزاعاً من قبضة الدهر فأهداها إليّ، أو اختلسها الجد اختلاساً من بين رقابة الزمن، فمنحني إياها والحمد أولاً وآخراً لله الذي له الفضل والمنة، وقد ابتدأت الدرس الأول بما سطره القلم هنا، ثم واليت بعد ذلك الحديث عن التفسير والمفسرين وعن إعجاز القرآن الكريم راجياً من الله تعالى أن يوفقني لإتمام ماقصدت حتى آتي على مايمكنني بيانه من معاني آي الذكر الحكيم من أول الفاتحة إلى خاتمة «الناس».

وقد اقْتُرِحَ عليّ أن أدَوِّنَ هذه الدروس بعد تفريغها من الأشرطة، لتَعُم فائدتها على المستمعين والقراء، فاستجاب

ضميري لهذا الاقتراح مع الصعوبات التي تكتنفه، وإنما شجعني وقوف إخوان أعزة عليّ بجانبي يسددون خطاي، ويأخذون بيدي، وإني لأرجو من الله تعالى أن يوفقني لإتمام هذا العمل على الوجه الذي يرضيه كما وفقني لابتدائه، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله سبباً للفوز في يوم الدين وأن يعم بنفعه جميع المسلمين.

هذا ومما هو جدير بالذكر أنني لا أتقيد في التدوين بنصوص عبارات الدروس، وإنما أحافظ على روحها ومضمونها، ذلك لأن مجال التدوين يختلف عن مجال الإلقاء الارتجالي، فلا مناص عن تهذيب العبارات واختصارها بحسب مايمكن وكان إلقاء أول درس من هذه الدروس بعد صلاة المغرب من ليلة الأربعاء، السادس من المحرم الحرام عام ١٤٠٢ هـ، ومن الله التوفيق وعليه التكلان». (١)

٣ - منهج التفسير :

انتهج الشيخ منهجاً فريداً لم يتقيد فيه بمناهج من سبقه، وأهم ملامح هذا المنهج - رغم أنه لم يتضح بالكلية لأنه مايزال في تفسير سورة البقرة - الذي بَدَا منه حتى الآن :

أ - قدّم مقدمة طويلة (استغرقت حوالي مائتي صفحة - أو

---

(١) جواهر التفسير ، ص ١١ ، ص ١٢

تزيد ـ) تشتمل على موضوعات هي من صميم «علوم القرآن» فقد بسط فيها الحديث عن موضوعات هامة من علوم القرآن، التي يرتكز عليها المفسر، ويتدارسها بعمق قبل أن يُقدِم على تفسير كتاب الله؛ وأهم ماجاء في المقدمة :

- التفسير ومسالك المفسرين .
- موقف الصحابة من التفسير .
- معنى التفسير لغة واصطلاحاً .
- الفرق بين التفسير والتأويل .
- شروط المفسر .
- مصادر التفسير .
- أطوار التفسير :
  * تفسير التابعين .. وطبقاتهم .
  * أشهر المفسرين في القرن الثالث .
- أثر العلوم الحديثة على التفسير .
  * العناية بتمحيص روايات التفسير .
  * تفسير المتصوفة .
  * مدرسة الإصلاح وأثرها في التفسير .
- نبذة عن إعجاز القرآن .

ب ـ طريقته في تفسير الآية القرآنية :

١ ـ يقرأ الآية المراد تفسيرها ..

٢ ـ يربطها بما قبلها في السياق. . ومايربطها بما بعدها.

٣ ـ يناقش أقوال علماء اللغة في مفرداتها ويرجح مايتناسب مع مقاصد الجملة القرآنية والآية والسياق. ويستبعد ماورد من أقوال مخالفة، ويقدم دليل هذا الاستبعاد.

٤ ـ يورد أقوال معظم المفسرين فيورد أقوال المفسرين القدامى من المتأثرين بالتفسير بالمأثور، ويربط أقوالهم بمن وافقهم من المُحَدِّثِينَ، والمفسِّرين بالرأي.

٥ ـ يقارن هذه الأقوال ويتعقبها ، ليصل إلى الرأي الراجح ويقدم أدلته، ويبين أنه الرأي المتوافق مع السياق القرآني .

٦ ـ يبين النظائر التي تعضد الرأي المختار وتتناسب معه.

٧ ـ يربط ماوصل إليه بحياة المسلمين، نَاقِداً الأوضاع، وموجها نحو الحق والصواب .

قال في آخر سورة الفاتحة :

«ونستفيد أمرين جليلين من قوله تعالى ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾.

أولهما : وجوب الترابط والتراحم بين المؤمنين بحيث يكون أفرادهم كتلة منيعة ، وتأتي أجيالهم حلقات متتابعة في سلسلة واحدة، يواصل كل جيل منها مابدأه الجيل الذي تقدمه.

ثانيهما : وجوب نفرة المؤمنين من أعداء الدين ومنابذتهم بحيث لايلتقون معهم على فكر ولا خلق ولا سلوك» [1] .

٤ - نموذج من التفسير :

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾ في هذه الآية الكريمة يعلم الله عباده أن يفردوه بالعبادة وبالاستعانة ، وهذه ثمرة التوحيد وجوهر الإيمان، والآيات المتقدمة في السورة جاءت توطئة لها ومقدمة لما فيها، فإن الإله الحق الذي هو رب العالمين والمتصف بالرحمة والمالك للأمر في الدنيا والآخرة جدير بأن لاتتجه العبادة إلى غيره وأن لايتعلق القلب بسواه، ويرى الزمخشري أن الآية الكريمة جاءت لتبين الحمد المقصود في قول الله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لله﴾ ويتقدمها سؤال مقدر

---

(١) ١/٢٩٤

تقديره كيف تحمدونه ؟ فأجيب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وسوغ السيد الجرجاني ذلك لأن السؤال عن كيفية الحمد لا عن ماهيته، فصح أن يجاب عنه بالإجابة المشتملة على الحمد وعلى غيره لأن ضم غيره إليه نوع بيان لكيفيته، أي حال حمدنا أن نجمعه بسائر عبادات الجوارح والاستعانة في المهمات، ونخص مجموعها بك، وأورد السيد الجرجاني أيضاً أنه صح كون العبادة بياناً للحمد من حيث أن أقْصَى غاية الخضوع يقتضي اعترافاً تاماً بالإنعام، ووصفاً للمنعم بصفات الجلال والإكرام، وهذا لأن الحمد أصل العبادة ورأسها كما مر أنه رأس الشكر، إذ حقيقة العبادة شكر المنعم الحقيقي، أي إظهار الانقياد له بقدر الإمكان غاية ما في الباب أن الجواب يشتمل على زيادة في البيان، ورجح السيد الجرجاني أن يكون قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ استئنافاً جواباً لسؤال يقتضيه إجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها أزلاً وأبداً، كأن سائلاً يقول: ماشأنكم مع هذا الموصوف ؟ وكيف توجهكم إليه ؟ .

فأجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه، واعترض الإمام أبو السعود ما يقوله الزمخشري «بأنه مع كونه لا حاجة إليه مما لا صحة له في نفسه فإن السؤال المقدر لابد أن يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام، وتنساق إليه الأذهان والأفهام، ولاريب في أن الحامد بعد ماساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لايخطر ببال أحد أن يسأل عن كيفيته، على أن ماقدر من السؤال غير مطابق للجواب فإنه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم أنه بيان لكيفية حمدهم، والاعتذار بأن المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكيس

للأمر وتمحل لتوفيق المنزل المقرر بالمفهوم المقدر، ثم قال: وبعد اللُّتيا والتي إن فرض السؤال من جهته عز وجل فأتت نُكْتَةُ الالتفات التي أجمع عليها السلف والخلف، وإن فرض من جهة الغير يختل النظام لابْتِنـاءِ الجـواب على خطابـه تعالى وبهذا هدم أبو السعود مارجحه الجرجاني من أنه استئناف جواباً لسؤال يقتضيه إجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها، وأضاف (بأن تناسي جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عزّ وعلا مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله) ثم قال : (والحق الذي لامحيد عنه أنه استئناف صدر عن الحـامد بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذُكر من النعوت الجليلة الموجبة للإقبال الكلي عليه من غير أن يتوسط هنالك شيء آخر) وأرى أن أضيف إلى مايقوله أبو السعود أن السورةَ الكريمة صُدِّرت بحصر الحمد في ذات الحق تعالى وهو مشعر كما سبق بصدور جميع الآلاء عنه ثم تُلِّي ذلك بوصفه تعالى أنه رب العالمين، وفي هذا تصريح بما يستلزمه حصر الحمد فيه من كونه مصدر جميع الآلاء، كما أن فيه إيقاظاً للشعور بعظمته تعالى المستوجبة لملء القلب بهيبته، ثم أُتبع ذلـك وصفـه بالـرحمـة المستلزمة للإحسان، واختتمت سلسلة هذه الصفات بكونه مالك يوم الدين وهو اليوم الذي ينقلب جميع الناس إليه ليلقـوا جزاء ماقدموا، وإجراء هذه الصفات العظيمة على الله باللسـان مع استشعـار معانيها بالقلب يجعل النفس تنساق انسياقاً تلقائياً إلى منتهى الخضوع لهذا الرب الجليل الموصوف بهذه الصفات، صفات العظمة التي لاتليق بغيره، وليس خضوع أبلغ من خضوع العابد فناسب المقام أن يُفرد الله تعالى هنا بالعبادة وبالاستعانة بصيغة الخطاب المشعرة بالحضور، والخروج بالكلام من أسلوب الغَيبَة إلى

أسلوب الخطاب هو المعروف عند علماء البلاغة بالالتفات ويكون أيضاً بالخروج عن التكلم إلى الخطاب أو العكس وبالخروج عن الخطاب إلى الغيبة أو التكلم وهكذا . .

ولا يعنينا هنا بحث مسائل الالتفات فإن ذلك من اختصاص علم البلاغة وإنما يعنينا بحث النكتة التي يجاء بها لأجلها، وقد ذكر علماء البلاغة نكتة عامة له وهي تطرية الكلام وتجديد نشاط السامع والمتكلم، وقد تنضم إليها نكت خاصة بحسب المقامات، وللمفسرين والبلاغيين سباق في إظهار النكت التي تناسب هذا المقام، منهم من قال: لما ذُكر الحقيق بالحمد ووُصف بصفات العظمة التي تميزه عن غيره تعلقت معرفة القلب بمعلوم متميز خوطب بذلك ليكون أدل على الاختصاص والترقي من البرهان إلى العيان، والانتقال من الغيبة إلى الشهود فكأن المعلوم صار عيانا، والمعقول مشاهدا، والغيب حضورا، وقيل: لما شرح الله تعالى صدر عبده بالإسلام وأفاض على قلبه نور الإيمان ترقى بسلم الحمد المستجلب لمزيد النعم إلى مقام الإحسان وهو (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وأيضاً حقيقة العبادة هو الانقياد المطلق من النفس لأحكام المعبود، وصورة هذا الانقياد وقالبه الإسلام، ومعناه وروحه الإيمان، وسره وغايته الإحسان، وبالالتفات في «نعبد» يصل العبد عبر المرحلتين السابقتين إلى المرحلة الثالثة، وذكر الألوسي «بأنه يحتمل أن يكون السر أن الكلام من أول السورة إلى هنا ثناء، والثناء في الغيبة أولى ومن هنا إلى الآخر دعاء وهو في الحضور أولى» ، وقيل غير ذلك.

والعبادة لغة بمعنى الذل، يقال : عبد إذا ذل ، وعُبِّد إذا ذُلل، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[الشعراء : ٢٢] ويُقال طريق معبد إذا وطئته الأقدام حتى ذللته، ومنه قول طرفة بن العبد :

تبارى عتاقا ناجيات وأتبعت وظيفا وظيفا فوق مور معبد

أما اصطلاحاً فللناس فيها مذاهب ترجع إلى المعنى اللغوي، فابن جرير الطبري يفسرها بالخضوع والاستكانة والذل مع الإقرار بالربوبية للرب المعبود وحده، وروي عن ترجمان القرآن رضي الله عنه «أن المراد بقوله سبحانه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إياك نوحد ونخاف ونرجو»، ورواه عنه أيضاً ابن أبي حاتم، وابن كثير يرى أن العبادة استكمال المحبة مع منتهى الخضوع والخوف، وابن تيمية يرى أن العبادة الجمع بين المحبة والخضوع، ولجهابذة العلماء في العصر الحديث أنظار في مدلول لفظ العبادة، فالإمام أبو الأعلى المودودي يرى أن العبادة تتكون من عناصر، منها الإذعان التام من العابد لعلو المعبود والنزول له عن حريته واستقلاله، وترك كل مقاومة وعصيان إزاءه والاعتقاد بعلائه، والاعتراف بعلو شأنه، وأن يكون قلبه مفعما بعواطف الشكر والامتنان على نعمه وأياديه بحيث يبالغ في تمجيده وتعظيمه. ويتفنن في إبداء الشكر على آلائه، وفي أداء شعائر العبدية له، ويرى العلامة المودودي أن هذا التصور لاينضم إلى معاني العبدية إلا إذا كان العبد لايخضع لسيده رأسه فحسب، بل يخضع معه قلبه أيضاً، ويستمد السيد المودودي نظرته هذه في تفسير العبادة من مدلول الكلمة اللغوي، فإن العربي بمجرد سماعه كلمة العبد

والعبادة لايتصور إلا العبدية والعُبودية، وبما أن وظيفة العبد الحقيقية هي طاعة سيده المطلقة فإن تصور الطاعة بمجرد ذكر العبد والعبادة أمر لابد منه، وخلاصة رأيه في العبادة أنها خضوع الظاهر والباطن والانقياد المطلق من العابد للمعبود مع غمرة القلب بالشعور العبودي.

أما الأستاذ الشيخ محمد عبده فيرى أن العبادة شعور خاص في القلب يستلزم الخضوع المطلق والانقياد التام من العابد للمعبود وفي ذلك يقول : ماهي العبادة ؟ يقولون هي الطاعة مع غاية الخضوع وماكل عبارة تمثل المعنى تمام التمثيل وتجليه للأفهام واضحاً لايقبل التأويل، فكثيراً مايفسرون الشيء ببعض لوازمه ويعرفون الحقيقة برسومها، بل يكتفون أحيانا بالتعريف اللفظي، ويبينون الكلمة بما يقرب من معناها، ومن ذلك هذه العبارة التي شرحوا بها معنى العبادة، فإن فيها إجمالا وتساهلا وَإننا إذا تتبعنا آي القرآن وأساليب اللغة واستعمال العرب لعبد ومايماثلها ويقاربها في المعنى ـ كخضع وخنع وأطاع وذل ـ نجد أنه لاشيء من هذه الألفاظ يضاهي عبد ويحل محلها ويقع موقعها.

ولذلك قالوا : إن لفظ العباد مأخوذ من العبادة فتكثر إضافته إلى الله تعالى ولفظ العبيد تكثر إضافته إلى غير الله تعالى لأنه مأخوذ من العبودية بمعنى الرق وفرق بين العبادة والعبودية بذلك المعنى، ومن هنا قال بعض العلماء إن العبادة لاتكون في اللغة إلا لله تعالى ولكن استعمال القرآن يخالفه.

يغلو العاشق في تعظيم معشوقه والخضوع له غلوا كبيرا حتى يَفنَى هواه في هواه وتذوب إرادته، ومع ذلك لايسمى خضوعه هذا عبادة بالحقيقة، ويبالغ كثير من الناس في تعظيم الرؤساء والملوك والأمراء فترى من خضوعهم لهم وتحريهم مرضاتهم مالا تراه من المتحنثين القانتين دع سائر العابدين، ولم يكن العرب يسمون شيئاً من هذا الخضوع عبادة فما هي العبادة إذا . . ؟

تدل الأساليب الصحيحة والاستعمال العربي الصراح على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية، ناشيء عن استشعار القلب عظمة للمعبود لايعرف منشأها واعتقاده بسلطة له لايدرك كنهها وماهيتها وقصارى مايعرفه منها أنها محيطة به، ولكنها فوق إدراكه فمن ينتهي إلى أقصى الذل لملك من الملوك لايقال إنه عبده وإن قبل موطىء أقدامه مادام سبب الذل والخضوع معروفاً وهو الخوف من ظلمه المعهود أو الرجاء لكرمه المحدود اللهم إلا بالنسبة إلى الذين يعتقدون أن للملك قوة غيبية سماوية أفيضت على الملوك من الملأ الأعلى واختارتهم للاستعلاء على سائر أهل الدنيا لأنهم أطيب الناس عنصرا وأكرمهم جوهرا، وهؤلاء هم الذين انتهى بهم هذا الاعتقاد إلى الكفر والإلحاد فاتخذوا الملوك آلهة وأربابا وعبدوهم عبادة حقيقية.

ويضيف الأستاذ إلى ذلك فيقول : للعبادة صور كثيرة في كل دين من الأديان شرعت لتذكير الإنسان بذلك الشعور بالسلطان الإلهي الأعلى الذي هو روح العبادة وسرها ولكل عبادة من العبادات الصحيحة أثر في تقويم أخلاق القائم بها وتهذيب نفسه، والأثر إنما يكون عن ذلك الروح والشعور الذي قلنا إنه منشأ التعظيم

والخضوع، فإذا كانت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة، كما أن صورة الإنسان وتمثاله ليس إنسانا، خذ إليك عبادة الصلاة مثلاً وانظر كيف أمر الله بإقامتها دون مجرد الإتيان بها وإقامة الشيء هي الإتيان به مقوماً كاملاً يصدر عن علته وتصدر عنه آثاره، وآثار الصلاة ونتائجها هي ما أنبأنا الله تعالى بها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت : ٤٥] وقوله عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ . . . ﴾ [المعارج ١٩ ـ ٢٢] وقد توعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والألفاظ مع السهو عن معنى العبادة وسرها فيها المؤدي إلى غايتها بقوله : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون ٤ ـ ٧] فسماهم مصلين لأنهم أتوا بصورة الصلاة ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التي هي توجه القلب إلى الله تعالى المذكر بخشيته والمشعر للقلوب بعظم سلطانه ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهو الرياء ومنع الماعون.

هذا كلام الأستاذ في العبادة، وهو يفيد أن معنى العبادة لايتم إلا مع استشعار عظمة المعبود التي لاتكتنه، وقدرته التي لاتُحد، وهو صحيح بالنظر إلى العبادة الصحيحة الواجبة لله تعالى، ولكن لايمنع أن يطلق اسم العبادة على تعظيم أحد لغيره تعظيماً يخرج به عن حدود استحقاق البشر، ويدل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى أخبر عن أهل الكتاب أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله مع أنهم لم يكونوا يعتقدون لهؤلاء الأحبار والرهبان القدرة المطلقة التي

لاتُحد، والعظمة الباهرة التي لاتكتنه، وروى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن عدي بن حاتم أنه سمع رسول الله ﷺ يتلو قوله سبحانه: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] - وكان امْرُأً قد تنصر - فقال له إنهم لم يعبدوهم، قال له: «بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم إياهم» فإذا كان اتباع الإنسان على تحليله الحرام وتحريمه الحلال عبادة فما بالك بما يكون من مخلوق لمخلوق مثله من تعظيم لايليق إلا بمقام الألوهية.

هذا والعبادة هي الغاية التي لأجلها خلق الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ . . .﴾ [الذاريات: ٥٦] ومن هنا كانت فطرة كل إنسان داعية إليها لما تستشعره من الفراغ الروحي والخواء النفسي بدونها، ومن ثم كانت العبادة تلبية لنداء الفطرة الذي يجلجل من أعماق النفس الإنسانية، وإنما الفطرة وحدها لاتستطيع أن تهتدي إلى العبادة الصحيحة ولذا فإن الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه لتوجيه هذه الفطرة إلى الصراط المستقيم، وما من رسول إلا وكانت دعوته الأولى في قومه إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ۝٢٥ . . . .﴾ [الأنبياء: ٢٥] والعبادة الخالصة لله تعالى توائم بين حركتي الإنسان الاختيارية والاضطرارية، فجسم الإنسان تُعد خلاياه بملايين الملايين، وكل هذه الخلايا تتحرك بحسب سنة الله فيها، فإذا انقاد هذا الإنسان وأذعن لربه العظيم وعبده حق عبادته حصل الانسجام التام مابين هذه الحركات الطبيعية في جسمه وحركته الاختيارية التي

ينساق إليها مختاراً طاعة لمولاه، ومن هنا نجد الإمام المحقق سعيد ابن خلفان الخليلي رحمه الله يُعبر في إحدى قصائده النورانية عما يشعر به وهو يسبح لله سبحانه من تجاوب ألسنة لاتحصى فيه مع هذا التسبيح حيث يقول:

أعاين تسبيحي بنور جناني فأشهد مني ألف ألف لسان
وكل لسان أجتلي من لغاته إذا ألف ألف من غريب أغان
ويُهدى إلى سمعي بكل لُغية هدي ألف ألف من شتيت معان
وفي كل معنى ألف ألف عجيبة يقصر عن إحصائها الثقلان

ولا تقف عبادة الإنسان عند هذا الحد بل توائم بين حركته وحركة كل شيء في هذا الكون الواسع الذي تسبح كل ذرة منه بحمد الله وتسجد خاضعة لجلاله، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾ [الحج: ١٨] ولذلك كانت عبادة الله الخالصة داعية للشعور بالانسجام مع الكون والألفة مع الوجود، فلاينظر إليه العابد نظرة نفرة وعداء، وإنما ينظر إليه نظرة وئام ووداد.

أما إذا تخلى الإنسان عن عبادة ربه فإنه يشعر بعداوة الكون وخصومة الطبيعة له، ولذلك تجد الغربيين الذين رانت على قلوبهم الجاهلية الحديثة ينظرون إلى الكون نظرة الخصومة والعداء، ويتجلى

ذلك في عباراتهم ، فكثيراً مايرد على ألسنتهم وأقلامهم قهر الطبيعة وقسوتها، فإذا حقق أحدهم شيئاً قالوا قهر الطبيعة أو تغلب عليها، وإذا أصيب أحدهم بمكروه قالوا قست الطبيعة عليه، أما المؤمن الذي يسبح بحمد الله ويسجد لكبريائه فهو لايشعر بأية عداوة بينه وبين الطبيعة، وإنما يشعر بالألفة والمودة بينه وبينها لما يربطهما من الخضوع لله والتسبيح بحمده، ولما يتلوه على صفحاتها من آيات بينات تزيد إيمانه رسوخاً ويقينه ثباتاً، ومما يؤسف له أن تردد ألسنة تلامذة الغرب المنتسبين إلى الإسلام هذه العبارات الوقحة بدون شعور بهاجس نفسي يؤنبهم على استعمالها، وهذا إن دل على شيء فهو دليل على ماأصاب قلوبهم من المسخ وبصائرهم من الطمس، وإذا كانت العبادة منشأ الألفة والوئام بين العابد وجميع الكائنات، فإن ذلك يقتضي أن تكون العبادة أوسع مدلولاً مما يظنه كثير من الناس من أنها منحصرة في الصلاة والزكاة والصوم والحج، وهذا هو الذي تدل عليه الآيات والأحاديث. أما الآيات فأرى أن أؤخر الكلام عليها إلى أن أصل إليها إن شاء الله في مواضعها ، وأما الأحاديث فبحسبي أن أذكر مثالين منها :

١ ـ قال رسول الله ﷺ : «في كل ذي كبد رطبة أجر» وهو دليل على أن الإنسان يتقرب إلى الله سبحانه بالإحسان حتى إلى البهيمة العجماء.

٢ ـ يقول عليه أفضل الصلاة والسلام : «في بضع أحدكم صدقة» قيل له يارسول الله أيصيب أحدنا شهوته ويؤجر ؟ قال : «أرأيت إن وضعها في حرام ألم يكن يؤزر» قيل له : بلى يارسول

الله قال : «كذلك يؤجر إن وضعها في حلال» فانظر كيف يكون العمل الفطري الذي يلبي به الإنسان داعي الغريزة عبادة يؤجر عليها إن أحسن توجيهه واستصحب معه حسن النية.

وبهذا يتضح أن العبادة تقتضي الخضوع المطلق لمنهاج الله فلايحكم العابد إلّا به ولايحتكم إلا إليه ولذلك حكم الله على من لم يحكم بما أنزل بالكفر والظلم والفسق حيث قال : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ .﴾ [سورة المائدة : ٤٤]
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة : ٤٥]
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٧]

وأنكر على الذين يدعون الإيمان وهم يتحاكمون إلى غير شرعه في قوله : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ . . . . [النساء : ٦٠] ونفى الإيمان عن كل من لم يحكم رسوله ﷺ الناطق بوحيه المبلغ لأمره في قوله : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء : ٦٥] .

والعبادة أسمىٰ ماينتسب إليه الإنسان ولذلك وصف الله عبده ورسوله محمداً ﷺ بالعبودية في أعلى مقامات ذكره وهي صنو العبادة فقد قال في معرض ذكر إنزال الكتاب عليه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ . . . . . الآية﴾ [آل عمران : ٧] وقال :

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ . . . . . [الكهف : ١] وقال : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ . . . [الفرقان : ١] وقال في معرض الحديث عن إبلاغه الرسالة ودعائه الله : ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ . . . . [الجن : ١٩] وقال في الحديث عن الإسراء برسول الله ﷺ الذي ترتب عليه أن ينال من الإكرام مالم ينله أحد قبله : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ . . . . . [الإسراء : ١] وهذا لأن عبادة الإنسان لربه وعبوديته له تعنيان تحرير رقبته من الذل لسواه وتخليص قلبه من الخضوع لغير عزته، وقد غلا بعضهم فادّعى أن العبودية أشرف من الرسالة حَكَى ذلك الفخر الرازي في تفسيره ولم يتعرض له بشيء، وحاصل ما احتج به هذا القائل أن الرسالة انصراف عن الحق إلى الخلق، والعبودية انصراف عن الخلق إلى الحق، والعبودية أيضاً تجرد عن التصرفات، والرسالة تلبس بها، وهذه فلسفة باطلة لايجوز لمن يؤمن بالله ورسله أن يقرها فالرسالة هي أشرف المقامات وأعلى الدرجات التي يوصل إليها بمحض اصطفاء الله تعالى ولاتُنافي العبودية، ولذلك وصف الله بهما أحب الناس إليه وأرفعهم عنده سيدنا رسول الله ﷺ ، وليست الرسالة ـ كما قال ـ انصرافاً مَن الحق إلى الخلق وإنما هي اضطلاع بواجب أمانة الحق لإبلاغها إلى الخلق، وإذا كانت تقتضي اشتغالاً بالتصرفات فإن تلك التصرفات هي من أقرب القربات إلى المرسل سبحانه فهي داخلة في حدود عبادته، وأعظم الدلائل على إخلاص العبودية له.

والفخر والألوسي قسما العبادة إلى ثلاث درجات تمشياً مع آراء كثير من العلماء :

الدرجة الأولى : أن تكون العبادة ابتغاء ثواب الله وخشية عقابه، وهي أضعف الدرجات وسماها الألوسي في تفسيره عبادة.

الدرجة الثانية : أن تكون لأجل نيل الشرف بما فيها من التزلف إلى الله تعالى ، وهي درجة متوسطة عندهم، وسماها الألوسي عبودية.

الدرجة الثالثة : أن تكون لذات الله مع غض النظر عن كل ماسواه وسماها الألوسي عُبُودَة.

وفي هذا التصنيف نظر، إذ لايستند إلى دليل من كتاب ولا سنة، وتعظيم الله سبحانه بالعبادة وإخلاصها لوجهه لاينافيان ابتغاء ثوابه والحذر من عقابه كما لاينافيان الرغبة في نيل شرف عبادته عز وجل، وللإمام نور الدين السالمي رحمه الله في معارجه بحث نفيس في هذه المسألة، ناقش فيه كلام هؤلاء الذين يقسمون العبادة من تلقاء أنفسهم أقساما، واستدل لرده بما جاء من الآيات التي تصف الأنبياء أنهم كانوا يعبدون الله رغباً ورهبا، كقوله سبحانه: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء : ٩٠] وهي في معرض مدحهم والإبانة عن علو قدرهم، ولاريب أن الأنبياء أرسخ في العبادة قدما، وأسرع إلى كل

خير سبقا من غيرهم، فلو كانت العبادة التي تكون بباعث الخوف والرجاء أضعف من غيرها لكانت عبادات الأنبياء غير مقرونة بهما على أن الخوف والرجاء هما السُّور المتين الذي يحوط أعمال البر كلها.

وكما تطالب الآية الكريمة الناس أن يفردوا الله سبحانه وتعالى بالعبادة تطالبهم بأن يفردوه بالاستعانة لأن القوة المطلقة لله، وكل مايحدث في الكون فهو بأمر الله، وكما أن الله تعالى قد تفرد بخلق الكون فهو متفرد بتدبيره فلا معنى للتعلق بغيره، والقرآن الكريم جاء ليقرر هذه الحقيقة بكثير من الآيات التي تخاطب الناس بالبرهان وتضرب لهم الأمثال، منها قول الله سبحانه: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦] وقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨] ويبين لنا القران أن كل محاولة من المخلوقين لرد سراء أو ضراء كتبها الله لأحد أو عليه لابد أن تبوء بالفشل الذريع ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]

والنبي ﷺ كان يربي أمته على هذه العقيدة القرآنية لتتحول إلى واقع ملموس في أحوال المؤمنين ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند الشيخين «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله» .

وهنا سؤال يفرض نفسه وهو أن الإنسان كائن اجتماعي يشترك مع غيره في المصالح والمنافع وَلَايمكنه الاستقلال عن سائر بني جنسه فهو بحاجة دائماً إلى من يعينه فإذا مرض احتاج إلى الطبيب، وإذا أفلس احتاج إلى من يقرضه أو يتصدق عليه، وإذا اضطر إلى حمل شيء لايطيقه احتاج إلى من يعينه عليه، وهكذا فكيف يمنع من الاستعانة بالناس ؟ على أن القرآن نفسه يرشدنا إلى التعاون في قوله : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ . . . . . [المائدة : ٢] وأترك الإجابة عن هذا السؤال لفيلسوف الإسلام الإمام محمد عبده وتلميذه السيد محمد رشيد رضا .

أما الإمام محمد عبده فيجيب بما معناه : أن أعمال الناس تتوقف ثمراتها ونجاحها على حصول الأسباب التي اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون مؤدية إليها وانتفاء الموانع التي جعلها الله بمقتضى حكمته حائلة دونها، والإنسان بما أوتي من علم وقوة مكن الله له من كسب بعض الأسباب ودفع بعض الموانع ولكن حجب عنه البعض الآخر فيجب على الناس أن يقوموا بما فيه استطاعتهم من ذلك ويتقنوا أعمالهم بما في وسعهم وأن يتعاونوا ويساعد بعضهم بعضا ويفوضوا الأمر فيما وراء الكسب إلى القادر على كل شيء ويلجأوا إليه وحده طالبين منه المعونة المتممة للعمل والمؤدية إلى جناء ثمرته وليس لهم أن

يتعلقوا بما وراء الأسباب إلا بمسببها سبحانه، ويتضح بهذا أن قوله تعالى : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ متمم لمعنى قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لأن هذه الاستعانة هي فزع من القلب إلى الله وتعلق من النفس به وذلك من مخ العبادة ، فإذا توجه بها العبد إلى غير الله كان ضرباً من ضروب العبادة الوثنية التي انتشرت في زمن التنزيل وقبله، وخصت بالذكر لِئَلاَّ يتوهم الجاهلون أن الاستعانة بالذين اتخذوهم أولياء من دون الله واستعانوا بهم فيما وراء الأسباب المكتسبة للناس هي كالاستعانة بسائر الناس في الأسباب العامة فأراد الله سبحانه أن يزيل هذا اللَّبْس ببيان أن الاستعانة بالناس في حدود استطاعتهم ضرب من استعمال الأسباب المسنونة، وما مثلها إلا كمثل الآلات المستعملة فيما خصت به بخلاف الاستعانة بهم فيما وراء طاقاتهم البشرية كالاستعانة في شفاء المريض بما وراء الدواء، وعلى غلبة العدو بما وراء العدة والعدد فإن ذلك مما لايجوز أن يكون إلا بالله تعالى الذي بيده الأسباب والمسببات وهو على كل شيء قدير، وضرب الإمام محمد عبده مثلاً لذلك : الزارع عندما يبذل جهده في الحرث والعذق وتسميد الأرض وريها فهو يمارس الوسائل المؤدية مع التوفيق إلى حصول المطلوب، ويستعين بالله تعالى على النجاح طالبا منه منع الآفات والجوائح السماوية والأرضية، ومثل بالتاجر الذي يحذق في اختيار الأصناف ويمهر في فن الترويج، ويتوكل على الله فيما وراء ذلك، وخلص الأستاذ الإمام من هذا إلى تفنيد حالة الذين يستعينون بأصحاب الأضرحة والقبور على قضاء حوائجهم ، وتيسير أمورهم وشفاء أمراضهم، ونماء حرثهم وزرعهم، وهلاك أعدائهم وغير ذلك من الأمور التي ليست في استطاعة الأحياء بله الأموات، وقال عنهم:

إنهم عن صراط التوحيد ناكبون، وعن ذكر الله معرضون، واستخرج الأستاذ الإمام من قول الله سبحانه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فائدتين جليلتين قال فيهما : (هما معراج السعادة في الدنيا والآخرة) :

أولاهما : أن الإنسان مطالب بالأعمال النافعة والاجتهاد في إتقانها ما استطاع، لأن طلب المعونة لايكون إلا على عمل بذل فيه المرء طاقته فلم يوفه حقه أو يخشى أن لاينجح فيه فيطلب المعونة على إتمامه وكماله.

فمن وقع من يده القلم على المكتب لايطلب المعونة من أحد على إمساكه، أما من وقع تحت عبء ثقيل يعجز عن النهوض به وحده فهو جدير بطلب المعونة من غيره على رفعه ولكن بعد استفراغ القوة في الاستقلال به، ثم قال الأستاذ بعد هذا التحرير : وهذا الأمر هو مرقاة السعادة الدنيوية وركن من أركان السعادة الأخروية.

ثانيتهما : مايفيده الحصر المستفاد من تقديم المعمول على العامل من وجوب تخصيص الاستعانة بالله وحده فيما وراء ذلك، قال : وهو روح التوحيد وكمال الدين الخالص الذي يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الأغيار، ويفك إرادتهم من أسر الرؤساء الروحانيين والشيوخ الدجالين، ويطلق عزائمهم من قيد المهيمنين الكذابين من الأحياء والميتين، فيكون المؤمن مع الناس حرا خالصاً وسيداً كريماً، ومع

الله عبداً خاضعاً ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧١] .

أما السيد محمد رشيد رضا فيقول : إن عبادة الله تعالى هي غاية الشكر له في القيام بما يجب لألوهيته، واستعانته هي غاية الشكر له في القيام بما يجب لربوبيته، أما الأول فظاهر لأنه هو الإله الحق فلايعبد بحق سواه، وأما الثاني فلأنه هو المربي للعباد الذي وهب لهم جميع ماتكمل به تربيتهم الصورية والمعنوية، قال: ومن هنا تعلم أن إيراد ذكر العبادة والاستعانة بعد ذكر اسم الجلالة الأعظم واسم الرب الأكرم إنما هو لترتبهما عليهما من قبيل ترتيب النشر على اللف، والاستعانة بهذا المعنى ترادف التوكل على الله وتحل محله، وهو كمال التوحيد والعبادة الخالصة، ولذلك جمع القرآن بينهما في مثل قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ . . . . [هود : ١٢٣] فهذه الاستعانة هي ثمرة التوحيد واختصاص الله تعالى بالعبادة ، فإن من معنى العبادة الشعور بأن السلطة الغيبية التي هي وراء الأسباب العامة الموهوبة من الله تعالى لعباده كافة هي لله وحده، كما تنطق به الآية التي استشهدنا بها آنفاً على قرن العبادة بالتوكل فمن كان موحدا خالصاً لايستعين بغير الله تعالى قط، فما كان من أنواع المعونة داخلاً في حلقات سلسلة الأسباب كان طلبه بسببه طلباً من الله تعالى ولكنه يحتاج في تحقيق ذلك إلى قصد وملاحظة وشهود قلبي وماكان غير داخل فيها يتوجه في طلبه إلى الله تعالى بلا واسطة ولا حجاب.

قال : وبهذا البيان تعلم أنه لامنافاة بين التوحيد والتوكل وبين الأخذ بالأسباب وإقامة سنن الله تعالى بل الكمال والأدب في الجمع بينهما، فالسيد المالك إذا نصب لعبيده وخدمه مائدة يأكلون منها غدوا وعشيا وجعلهم خدما يقومون بأمرها لايكون طلب الطعام منه إلا بالاختلاف إلى المائدة، وإنما ينبغي أن لايغفلوا بها وبخدمها عن ذكر صاحب الفضل الذي أنشأها بماله وسخر أولئك الخدم للآكلين عليها، ولا عن حمده وشكره، وهذا مثال مائدة الكون بأسبابه ومسبباته فالعبد إذا احتاج شيئاً من الأشياء التي لم يجعلها سيده مبذولة لجميع عبيده في كل وقت طلبه منه دون سواه، فإن أظهر الحاجة إلى غيره كان ذلك من قلة ثقته بمولاه حيث جعل ذلك الغير في مرتبته أو أجدر منه بالفضل، قال : هذا في العبيد مع السادة الذين لهم نظراء وأنداد فكيف إذا كان العبد الذي يتوجه إلى غير مولاه لايجد من يتوجه إليه سواه إلا أمثاله من العبيد المحتاجين إلى المولى مثله لأنه هو السيد الصمد الذي ليس له كفوا أحد، وأتبع ذلك قوله أن لفظ الاستعانة يُشْعِرُ بأن يطلب العبد من الرب تعالى الإعانة على شيء له فيه كسب ليعينه على القيام به، وفي هذا تكريم للإنسان بجعل عمله أصلاً في كل مايحتاج إليه لإتمام تربية نفسه وتزكيتها، وإرشاد له إلى أن ترك العمل والكسب ليس من سنة الفطرة ، ولا من هدي الشريعة فمن تركه كان كسولا مذموماً لا متوكلا محمودا، وتذكير له من جهة أخرى بضعفه لكيلا يغتر فيتوهم بأنه مستغن بكسبه عن عناية ربه فيكون من الهالكين في عاقبة أمره، هذا كلامه وهو ككلام أستاذه في إثبات كون الاستعانة بالله وعدم إشراك غيره فيها من لوازم الإيمان ومقتضيات التوحيد، وإنما بين

كلاميهما خلاف لفظي، فالأستاذ الإمام يرى أن الاستعانة فيما كان داخلاً في إطار الأسباب التي منحها الله عباده جائزة أن تكون بأولئك الذين أجرى الله الأسباب على أيديهم وعلى ذلك يحمل نحو قوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ . . . ﴾ [المائدة : ٢] أما تلميذه السيد محمد رشيد رضا فهو ينظر إلى أن أولئك ليسوا مستقلين بالأسباب وإنما وهبهم الله تعالى من فضله التفوق فيها وسخرهم بحكمته لإعانة المحتاجين إليها فالمستعين بهم إنما يستعين في الحقيقة بالله واهب الأسباب ومقدرها فيجب على المؤمن ألا يغفل عن هذه الحقيقة عندما يطلب من غيره قضاء حاجته.

هذا وقد يفهم من كلامه في الأسباب العامة وقوله إنها موهوبة للناس كافة أنه يرى تكافؤ جميع الناس فيها، وهو أمر ترده المشاهدة فإن الناس متباينون في المواهب منهم من وهب حصافة الرأي، ومنهم من وهب قوة البدن ومنهم من وهب الحذق في أعمال خاصة وهذا لتكون حياة الناس قائمة على أسس الاجتماع ولو تساوى الناس في مواهبهم لاستغنى كل أحد بنفسه واستكفى بموهبته ولكن الله سبحانه يريد بذلك تذكير الناس بفقرهم واحتياجهم، لئلا يغتر إنسان بما أوتي فيدعي أنه أوتيه باستحقاق، فتجد الملك بحاجة إلى الحجام والقين والحداد والطباخ كحاجته إلى المستشارين والوزراء فسبحان الغني الذي تفرد بالعزة والكبرياء.

وبهذا الذي حررناه تدرك خطورة مايصنعه كثير من الناس من

التعلق بغير الله سبحانه في طلب الحاجات التي لم يجعل الله قضاءها بيد الناس والأعجب من ذلك أن يأتي أحدهم إلى ضريح طالباً من صاحبه الميت البالي أن يعينه على مالايستعان عليه إلا بالله، أو يأتي إلى صخرة صماء أو شجرة أو نهر أو أي شيء من هذا القبيل طالباً منه ذلك مع أن هذه الأشياء لاتسمع ولا تبصر ولا تحس ولا تعقل وإذا كان النبي ﷺ وهو أكرم الخلق منزلة وأعظمهم شأناً يقول له سبحانه في حياته ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ . . . .﴾ [الأعراف : ١٨٨] فما بالك بغيره ﷺ بل مابالك بالأموات والجمادات والنباتات هل من المعقول أن تلبي هذه الأشياء لأحد طلبا أو تسمع له دعاء أو تستجيب له نداء ؟ وإنما ذلك شأن العقول إذا ضلت والأفكار إذا زاغت .

ولعمري ليس تفشي مثل هذه الضلالات في هذه الأمة إلا تصديقاً لنبوة النبي الصادق ﷺ حيث يقول كما ثبت في الصحيحين «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى ولو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» ، وفي حديث أبي واقد الليثي عند الترمذي أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر مر بشجرة للمشركين يقال لها «ذات أنواط» يعلقون عليها أسلحتهم، فقيل له : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي : «سبحان الله هذا كما قال قوم موسى (ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ) [الأعراف : ١٣٨] والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم» .

هذا وفي المقام مباحث :

الأول - في تقديم العبادة على الاستعانة، ولأفكار العلماء تزاحم في استخراج حكمة ذلك وقد استظهروا وجوها :

أولها ـ أن العبادة أمانة كما قال تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ . . . . .﴾ [الأحزاب : ٧٢] لذلك كانت أجدر بالعناية، فقدمت .

ثانيها : أن إسناد المتكلم العبادة إلى نفسه يوهم التبجح والاعتداد بما صدر عنه، فكان جديرا بأن يُتْبع مايدل على أن العبادة لاتتم إلا بمعونة وتوفيق من الله وهذا يستفاد من جملة ﴿وإياك نستعين﴾ .

ثالثها : أن العبادة قربة محضة إلى الله تعالى ، أما الاستعانة فقد تكون لمنفعة عاجلة .

رابعها : أن العبادة مطلوبة لله تعالى من العباد، والاستعانة مطلوبة للعباد من الله ، وتقديم ماكان لله أولى مما كان للعباد .

خامسها : أن العبادة في جملتها واجبة لله على العبد، ولذلك كانت هي الغاية من خلق الإنس والجن، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ . . . . [الذاريات : ٥٦] أما الاستعانة فيختلف حكمها

باختلاف حال المستعان عليه.

سادسها : أن العبادة أظهر مناسبة بذكر الجزاء فجيء بها بعده، والاستعانة أكثر التئاما مع طلب الهداية فجيء بها قبله.

سابعها : أن الاستعانة ثمرة للعبادة، فإن إخلاص العبادة لله يستلزم إفراده بالاستعانة، قال صاحب المنار : «ولاينافي هذا أن العبادة نفسها مما يستعان عليه بالله تعالى ليوفق العابد للإتيان بها على الوجه المرضي له عز وجل، ولا منافاة بين الأمرين لأن الثمرة التي تخرج من الشجرة تكون حاوية للنواة التي تخرج منها شجرة أخرى، فالعبادة تكون سبباً للمعونة من وجه، والمعونة تكون سبباً للعبادة من وجه آخر، كذلك الأعمال تكون الأخلاق التي هي مناشيء الأعمال، فكل منها سبب ومسبّب، وعلة ومعلول، والجهة مختلفة فلا دور في المسألة».

ويرى ابن جرير أن الترابط الذي بين العبادة والاستعانة يقتضي جواز تقديم أي منهما على الآخر كما يجوز أن يُقال : قضيت حقي فأحسنت إليّ، أو أحسنت إليّ فقضيت حقي، ويُسْتفاد مما قاله أنه لايرى مايسوغ البحث في تقديم العبادة على الاستعانة.

الثاني - في تقديم المعمول وهو (إياك) على العامل وهو (نعبد) و (نستعين)، وذكروا له وجوها :

أولها : الدلالة على الحصر والاختصاص، ومن هنا فسره ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بلا نعبدُ غيرك، ويراد به التبرؤ عن الشرك والتعريض بالمشركين.

ثانيها : أن المتقدم في الوجود أحق بالتقدم في الذكر، فالله تعالى كان قبل كل موجود، ولذلك كان الأنسب تقديم ذكره عن ذكر عبادته.

ثالثها : أن في تقديم ذكره تعالى تنبيها للعابد من أول الأمر على أن المعبود هو الله، فيوقظ ذلك الهمة في نفسه ويقضي على الكسل والتواني.

الثالث - في المجيء بصيغة الجمع دون الإفراد في قوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وفيه أقوال :

أولها : أن العبد يحتقر نفسه في مقام الخطاب لله عز وجل، ويستقل عبادته بجانب مالله تعالى من منة أسبغها عليه وحق يجب له تعالى على العبد، فيجدر به أن يخاطبه مع غيره وأن يوجه عبادته إليه مختلطة بعبادة العابدين.

ثانيها : أن الإنسان مع خضوعه لأهل الدنيا وطلبه منهم مايجدر طلبه من الله إن قال بمفرده إياك أعبد وإياك أستعين كان كاذباً، أما إن وجه الخطاب بصيغة

الجمع الدالة على اشتراكه مع العابدين والمستعينين كان أبعد عن الكذب، لوجود من أخلص له العبادة وقصر الاستعانة عليه من بينهم.

ثالثها : أن صيغة الجمع أدعى إلى القبول والاستجابة من صيغة الإفراد لأن المخاطب يحشر نفسه في زمرة المخاطبين، ولايعتد بخطابه بنفسه، وذكروا أنه مما يرشد إلى ذلك ماحكاه الله عن الذبيح إسماعيل عليه السلام من قوله : ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ . . . . . [الصافات : ١٠٢] وماحكاه عن الكليم عليه السلام من قوله : ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ . . [الكهف : ٦٩] وقد صبر الذبيح لتواضعه بعد نفسه واحداً من جمع، ولم يصبر الكليم لإفراده نفسه مع أنهما قالا جميعاً «إن شاء الله» .

رابعها : إن الإسلام دين وحدة واجتماع، وليس بدين تشتت وافتراق ولأجل ذلك شرعت بعض العبادات تؤدىً بطريقة جماعية لا على الانفراد، وفي المجيء بصيغة الجمع هنا في هذه السورة التي يجب على المسلم أن يكررها في كل ركعة من ركعات الصلاة التي هي أهم عبادة في الإسلام تذكير بواجب الترابط بين المسلمين وإيقاظ لمشاعر الأخوة والمودة بينهم.

الرابع - في تكرار «إياك» وفيه آراء :

أولها : أنه للتنصيص على أن طلب العون منه تعالى فإنه لو قال : «إياك نعبد ونستعين» لاحتمل أن يكون إخباراً عن طلب العون من غير تعيين للجهة المطلوب منها .

ثانيها : أن العبادة هي قربة إلى الله تعالى ولو لم تكن مقرونة بالاستعانة، والاستعانة كذلك ولو لم تكن في حال العبادة ، ولو أفرد ذكر الضمير لأوهم أنه لا يتقرب إليه إلا بالجمع بينهما .

ثالثها : أن في التكرار تعليما للناس بأن يجددوا ذكر الله عند كل حاجة تعن .

الخامس - في إطلاق الاستعانة وعدم تقييدها بمستعان فيه معين، وقد ذكروا لذلك نكتة وهي قصد العموم لاحتمال دخول كل مايستعان عليه، والفعل المثبت وإن كان له حكم الإطلاق المخالف لحكم العموم في عدم احتوائه جميع أفراد مدلولات لَفْظِهِ دفعة واحدة، فإنه بعدم تقييده يقضي باحتمال قصد أي فرد من أفراد تلك المدلولات، ومن جهابذة المفسرين من يرى أن الاستعانة هنا ليست على إطلاقها وإنما هي محصورة في العبادة، وممن جنح إلى هذا العلّامة الزمخشري في

كشافه حيث جعل الاستعانة مبهمة أوضحها قول الله تعالى فيما بعد : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ فكأنما المستعينون سُئلوا من قبل العلي الأعلى : كيف أعينكم ؟ فقالوا : اهدنا الصراط المستقيم .

واللائق بعقيدة التوحيد عموم الاستعانة في كل مايطلب العون فيه وهذا لايمنع أن تكون العبادات داخلة من باب الأولوية فيما يستعان فيه، وقد أسلفنا حديث ابن عباس رضي الله عنهما الدال على أن الاستعانة بالله شاملة لكل مايُطلب فيه العون، وقد نبه النبي ﷺ على طلب العون من الله في أداء العبادة، فقد أخذ يوماً بيد معاذ رضي الله عنه وقال: «والله إني لأحبك، أوصيك يامعاذ ، لاتدعن في دبر كل صلاة أن تقول : (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)» .

النشاط التقويمي

١ ـ حدد الدوافع الأساسية لشروع الشيخ أحمد الخليلي في تفسيره لكتاب الله من خلال ماورد من مقدمة تفسيره في العنصر الثاني من هذا الموضوع .

٢ ـ من العبارات التاليه اذكر بعض ملامح منهج التفسير عند

الشيخ الخليلي، واستشهد بعبارات أخرى على ذلك إن وجدت:

أ ـ «والآيات المتقدمة في السورة جاءت توطئة لها ومقدمة لما فيها» .

ب ـ «وأرى أن أضيف إلى مايقوله أبو السعود أن السورة الكريمة صدرت بحصر الحمد في ذات الحق تعالى».

جـ ـ «وللمفسرين والبلاغيين سباق في إظهار النكت التي تناسب هذا المقام، منهم من قال...»

د ـ «فالإمام أبو الأعلى المودودي يرى أن العبادة تتكون من عناصر..»

هـ ـ «والعبادة الخالصة لله تعالى توائم بين حركتي الإنسان الاختيارية والاضطرارية..»

و ـ «وفي هذا التصنيف نظر، إذ لايستند إلى دليل من كتاب ولا سنة، وتعظيم الله سبحانه بالعبادة وإخلاصها لوجهه لاينافيان ابتغاء ثوابه والحذر من عقابه».

ز ـ «وبهذا الذي حررناه تدرك خطورة مايصنعه كثير من الناس من التعلق بغير الله سبحانه في طلب الحاجات

التي لم يجعل الله قضاءها بيد الناس والأعجب من ذلك أن يأتي أحدهم إلى ضريح . . »

٣ ـ صَنِّف ماورد في تفسير «جواهر التفسير» لآية ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ إلى جوانبه الأساسية .

٤ ـ قارن بين منهج التفسير عند الشيخ هود ومنهج التفسير في «جواهر التفسير» .

٥ ـ قارن بين منهج التفسير عند الشهيد سيد قطب ومنهج التفسير في «جواهر التفسير» .

النشاط الدراسي

ارجع إلى الجزء الثاني من تفسير «جواهر التفسير» واختر آية من آيات كتاب الله العزيز، وحدد:

أ ـ أهم الأفكار والأحكام الواردة فيها .

ب ـ ملامح منهجية التفسير فيها .

رسم المصحف

عناصر الدرس :

١ ـ الجهات التي خالف فيها الرسم العثماني الخط القياسي .
٢ ـ آراء العلماء في التزام الرسم العثماني .
٣ ـ فوائد الرسم العثماني
٤ ـ طباعة القرآن الكريم .

● الأنشـــطة

تمهيـــد :

يختلف كثير من المصطلحات باختلاف أجيال الناس، ومن ذلك كلمة «الرسم» فمجرّدُ النطق بها يوحي بمدلول خاص؛ هو : «محاكاة صُوَر الأشياء ، جماداً كانت أم غيره، ولكن كلمة رسم المصحف التي يتحدث عنها العلماء تعني : (الطريقة التي تكتب بها الحروف والكلمات) .

فرسم الحرف هو الكيفية التي نكتبه بها، وإنما تحدّث العلماء عن رسم المصحف، وأفردوا له موضوعاً خاصاً به، لأن الطريقة التي كتب بها تختلف عما أَلِفْنَاهُ من طرق الخط والكتابة.

والكلمات العربية تكتب كما تنطق ، وليس هناك حروف نكتبها دون أن ننطق بها (كغيرها) .

ولكن الطريقة التي كتب عليها القرآن الكريم، تختلف من جهات متعددة عن الخط المألوف ـ القياس ـ وهذه الجهات التي خالف بها الرسم الخط القياسي سماها بعضهم قواعد ـ وإن كان فيه نوع من التجوز، لأن القاعدة ينبغي أن تكون منضبطة، تشمل أشياء متشابهة.

مثل : الفاعل مرفوع ، والمعدن يتمدد بالحرارة .

لكن كثيراً مما خالف فيه الرسم العثماني الخط القياسي لايندرج تحت قاعدة منضبطة، بل هي كلمات تعد عداً، والمندرج منها تحت قاعدة قليل .

١ ـ الجهات التي خالف فيها الرسم العثماني الخط القياسي :

هناك أمور ستة خالف فيها الرسم الخط هي :

أ ـ الحذف :

(١) من ياء النداء :
حذف الألف . مثل يآدم ـ يأيها .
(٢) ومن «هاء» التنبيه : هأنتم .
(٣) ومن «نا» مع ضمير «أنجينكم»
(٤) «أولئك» (٥) وهؤلاء . (٦) واسم الجلالة
(٧) والرحمن . (٨) وسُبْحَن (إلا : قل سبحان ربي) .
(٩) ومن كل علم زائد على ثلاثة حروف : ابرهيم صلح .

(١٠) ومن كل جمع سالم لمذكر أو مؤنث (اللعْنون ـ مُلقُوا) إلا في قوله (طاعون) في الذاريات والطور . وكراما كاتبين . وبعض الاستثناءات.

ب ـ حذف الياء من كل منقوص منون رفعاً وجراً :

(أطيعون ـ اتقون ـ خافون) ونحو باغٍ ، عادٍ. إلا بعض الاستثناءات مثل واخشوني (البقرة) .

جـ ـ حذف الواو مع أخرى :

(باؤا ـ الموء,دة ـ يئوسا)

د ـ حذف اللام المدغمة :

(اليل ـ الّذي) إلا بعض الاستثناء : (اللهو ـ اللعب) .

٢ ـ الزِّيَادةُ :

ـ زيدت الألف بعد واو الجمع (بنوا إسرائيل ـ ملاقوا ـ أولوا) بخلاف الفعل (سواء كان مفرداً أو جمعاً منصوباً أو مرفوعاً مثل (باعو ـ جاءو ـ عتو).
ـ وزيدت بعد الهمزة المرسومة واوا (تفتؤا ـ مائة ـ الرسولا ـ السَّبيلَا)
ـ وزيدت واو في أولوا وفروعه .

٣ ـ الْهَمْزُ :

يكتب الساكن بحرف حركة ماقبله أولاً (أوتمن) أو وسطاً (المؤتون) أو آخرا (هنيىء ، البأساء) إلا في «فادّرَءْتُمْ ـ رءْيا ـ شنئه» . ويكتب المتحرك إن كان أولا واتصل به حرف زائد بالألف مطلقاً إلا (أئنكم لتشهدون ـ أئذامتنا ـ لئن ـ أؤنبئكم) وغيرها.

وإن كان وسطا فبحرف حركته (مثل سأل ـ سئل ـ نقرؤه) إلا : لأملئن ـ امتلئت ـ اشمئزت . . وهكذا . .

وإن كان آخرا فبحرف حركة ماقبله (سبأ وشاطىء) إلا تفتؤا ـ يتفيؤا .

٤ ـ في البدل :

تكتب الألف واوا مثل الصلوة ـ الزكوة . . وتكتب ياء مثل يتوفيكم ـ ياحسرتىَ ـ ياأسَفَى .

في كل ماأصلها ياء وكانت الألف منقلبة عنها .

وتكتب نون التوكيد الخفيفة ألفا: لنسفعاً ـ يكوناً

وتكتب تاء التأنيث هاءاً وخالف رسم المصحف في «رحمتْ» في عدة مواضع، و(نعمتْ) و(سُنَّتَ) وغيرها.

٥ ـ في الفصل والوصل :

هناك مواضع وصلت فيها بعض الألفاظ ومواضع فصلت فيها نفس الألفاظ مثل أن لا وصلت في كل المواضع إلا عشرة: أن لا أقول ـ ان لاتقولوا (الأعراف) أن لاتعبدوا (يس)..

وكذلك عما وصلت في كل القرآن إلا عن مانهوا عنه، وكلما وصلت فيه كله إلا كل مارُدُّوا في كل ماسألتموه .
وكذلك أمن وصلت إلا : أم من يكون (النساء) أم من أسس أم من يأتي آمنا . إنما توصل في القرآن كله إلا إن ماتوعدون. وغيره كثير .

٦ ـ فيما فيه قراءتان ، فكتب على إحداهما :

مثل : ملك ـ يُخَدِعُونَ ـ غيابت الجب ـ الرِيح ـ تفدوهم ـ تظهَرون.

ومن ذلك : الصراط ـ بصطة ـ المصيطرون ـ بمصيطر كلها كتبت بالصاد لاغير.

ومن ذلك : ماكتب على قراءة شاذة (تشبّه علينا) (من الربو) (أو كلما عهِدوا ـ وإن أردت المزيد فارجع إلى البرهان أو الإتقان تجد متسعاً.

٢ ـ آراء العلماء في التزام الرسم العثماني :

كانت مخالفة الرسم العثماني للخط القياسي أساساً لمذاهب العلماء. فريق رأى أن الرسم على هذا الشكل أمر من الشارع، فهو تَوْقيفي تحرم مخالفته.

وفريق رأى أنه أمر لا يَعْدُو أن يكون أمراً يخضع لاختلاف الكاتبين لذلك فهو اصطلاحي، ليس واجب الاتباع. ولكل من القولين أدلة وحجج:

الفريق الأول : القائلون بأن الرسم توقيفي :

ومن أدلتهم :

١ ـ أن الرسول ـ ﷺ ـ كان كلما نزل شيء من القرآن دعا من يكتبه، وكان له كتبة الوحي، وكان يقرؤهم هذه الكتابة، ولذا فإن كتابة المصحف مما لاتجوز مخالفته لأنه ثابت بتقرير النبي ﷺ .

٢ ـ ماروي عنه ﷺ أنه قال لمعاوية: «الدواة وحسِّن الخط ودوِّر الميم ، ومد السين . .» [1]الحديث.

---

(١) البرهان ١/٣٨٠

٣ ـ إجماع الصحابة على مافعله عثمان ورضاهم به، إذ لم يُنقل عن أحد مخالفته.

٤ ـ اختلاف كتابة الكلمات المتماثلة: فكلمة (واخشوني) في البقرة كتبت بالياء، أما في المائدة فبدون ياء في موضعين. ولولا أمر التوقيف ماوجد هذا الاختلاف.

الفريق الثاني :

ذهبوا ـ كما مَرّ ـ إلى أن الرسم اصطلاحي واستدلوا بأدلة منها :

أن المصحف رسمه لم يَرِد في وجوب التزامه نَصٌّ من كتاب أو سنة، ولم يرد فيه إجماع. وناقشوا أدلة الفريق الأول :

١ ـ تقرير النبي ﷺ يفيد الجواز فقط . ثم إن كل الذي يفيده صحة الكتابة بقطع النظر عن كيفيتها .

٢ ـ أن ماروووه عن النبي ﷺ ـ إن صح وما إخاله كذلك ـ فلاينهض دليلاً، لأنه يتحدث عن قضايا عامة، ليس فيها تفصيل لجزئيات الخط.

٣ ـ رضاء الصحابة رضوان الله عليهم لاينهض دليلاً كذلك إذ كل مافيه موافقتهم على ماذهب إليه عثمان في جمع الناس على حرف واحد، دون النظر إلى رسم حروف القرآن وكلماته.

٤ ـ أما اختلاف رسم الكلمات فاستدلوا به على مذهبهم فقالوا إنه دليل بيّن على أن الكتابة اصطلاحية تختلف باختلاف الكاتبين.

٣ ـ فوائد الرسم العثماني :

اتباع الرسم العثماني له فوائد متعددة حَرِيَّةٌ بالعناية، منها:

١ ـ حملُ الناس على أخذ القرآن عمَّن عرف رسم المصحف، وألا يكتفىَ بأخـذه من المصحف، لما يترتب عليه من اللبس، وعدم القراءة بالقراءة الصحيحة، وبهذا لايوجد قارىء للقرآن إلا له شيخ أخذ عنه، زيادة في التثبت من ألفاظ القرآن وكيفيات النطق بها .

علاوة على اتصال سند قراءة القارىء إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وتلك خاصة من خصائص هذه الأمة، امتازت بها عن سائر الأمم.

٢ ـ الدلالة على أصل الحركة، ككتابة الكسرة ياءاً والضمة واواً في نحـو : ﴿إيتـاءي ذي القربى﴾ و ﴿سأوريكم آياتي﴾ أو للدلالة على أصل الحرف: ككتابة الصلـوة، الحيـوٰة، الزكـوة . .

٣ ـ إفـادة المعـاني المختلفـة بالرسم مثل وَصْل أمّن في قوله

تعالى: ﴿أَمّن يمشي سَويًا . .﴾ وفصلها في قوله تعالى: ﴿أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ فإن المفصولة تفيد معنى بل دون الموصولة.

٤ ـ الدلالة على بعض اللغات الفصيحة ككتابة هاء التأنيث تاءً في لغة طيّء. ومثل حذف آخر المضارع المعتل لغير جازم: كقوله تعالى: ﴿يوم يأت﴾ في لغة هذيل.

٥ ـ المحافظة على ماكان في عهد النبي ﷺ وأجمع عليه الصحابة.

٤ ـ طباعة القرآن الكريم :

ظهر القرآن الكريم مطبوعاً لأول مرة في البندقية بإيطاليا في عام ١٥٣٠ م تقريباً، وأصدرت السلطات الكنسية أمراً بإعدامه حال ظهوره، ثم ظهرت أول طباعة إسلامية خالصة للقرآن في سانت بترسبوغ بروسيا سنة ١٧٨٧ م، ثم عنيت الآستانة بعد ذلك بطباعة القرآن الكريم .

النشاط التقويمي

١ ـ خالف الرسم العثماني الخط القياسي في أمور، اذكرها ممثلاً لِكُلٍّ بمثال.

٢ ـ كان لرسم القرآن الكريم في عهده الأول ظاهرتان، حددهما واشرحهما.

٣ ـ قارن بين أدلة العلماء في الرسم العثماني توقيفي أم اجتهادي.

٤ ـ اذكر فوائد الرسم العثماني في العصر الحالي.

٥ ـ علل سبب ظهور أول مطبوع للقرآن الكريم في البندقية.

النشاط الدراسي

١ ـ ارجع إلى كتاب من كتب الرسم مثل : موارد الظمآن للخراز، أو سمير الطالبين، واكتب بأسلوبك عن المقطوع والموصول، والتاء المفتوحة والمربوطة.

٢ ـ لخص تفسير الحديث المروي عن النبي ﷺ «ألق الدواة . .» من «كتاب الرسم» للشيخ محمد بن يوسف أطفيش.

ترجمة القرآن الكريم

عناصر الدرس :

١ ـ تعريف الترجمة .
٢ ـ أقسام الترجمة .
٣ ـ إشكالات الترجمة .
٤ ـ ترجمة القرآن الكريم .
٥ ـ فوائد ترجمة القرآن الكريم .

● الأنشـــطة

١ ـ تعريف الترجمة:

جاء في الصحـاح : «يقال قد ترجم كلامه إذا فسّره بلسان آخـر، ومنـه : الترجمان، وجمعه تراجم» وجاء في المصباح المنير: «ترجم فلان كلامه إذا بيّنه وأوضحه، وترجم كلام غيره، إذا عبر عنه بلغة غير لغة المتكلم، واسم الفاعل ترجمان، فيه لغـات أجـودها فتح التاء وضم الجيم، والثانية ضمهما معاً، بجعل التاء تابعة للجيم، والثالثة فتحهما معاً، والجمع تراجم بجعل الجيم تابعة للتاء.

٢ ـ أقسام الترجمة :

تنقسم الترجمة قسمين اثنين : (١) الحرفية . (٢) التفسيرية .

١ ـ الترجمة الحرفية :

وهي نقل نص من لغة إلى لغة أخرى، بكل خصائصه الأسلوبية، ومقوماته اللغوية، ومافيه من مزايا النظم.

٢ ـ الترجمة التفسيرية :

وهي نقل المعنى العام لنص ما من لغة إلى أخرى .

٣ ـ إشكالات الترجمة :

إن أهم إشكالات الترجمة تنحصر وتتصل باللغة أولاً، وبثقافة المترجم ثانياً.

أما مايتصل باللغة فإن اللغات ليست سواء من حيث الإفراد والتركيب، ومن حيث الأسلوب والنظم، فهناك لغة يقدم فيها الموصوف على الصفة، وأخرى تقدم فيها الصفة على الموصوف. وهناك لغة ثرية بمفرداتها، تظهر فيها الدقة والإحكام، وأخرى ليست كذلك.

ولذلك فإن الترجمة الحرفية أمر غير ميسور لاسيما من اللغة العربية التي فيها من الاستعارات والألفاظ الحسنة الموضوعة

ماليس مثله في غيرها من اللغات، فإذا نقلت لم يجد الناقل مايتوصل به إلى نقل تلك الألفاظ المستعارة بعينها وعلى هيئتها، لتعذر مثلها في اللغة التي تنقل إليها.

والمعاني لاتتغير، فنقلها ممكن من غير تبديل، فكان ماينقل من اللغة العربية يتغير حسنه لهذه العلة، وماينقل إليها يمكن الزيادة على طلاوته، لأن ناقله يجد مايعبر به في العربية أفضل مما يريد، وأبلغ مما يحاول [1].

وأما شخصية المترجم، فإنها ذات شأن كذلك في دقة الترجمة، ذلك أن الناس يختلفون من حيث ثقافاتهم، ومن حيث عواطفهم، وأفكارهم، إذ توجد ترجمات متعددة لنص واحد يكثر بينها الاختلاف، وهذا الاختلاف بالطبع ليس ناشئاً عن النص المترجم.

وكما أنه من الصعوبة أن يحيط إنسان بثقافات متعدِّدة، فإن من الصعوبة كذلك أن يتخلص عند الترجمة من بيئته الاجتماعية، وأفكاره التي نشأ عليها ، وعقائده الموروثة، وعواطفه وأحاسيسه ومشاعره ووجداناته.

٤ - ترجمة القرآن الكريم :

القرآن الكريم مجموع من الألفاظ والمعاني والأفراد والتراكيب،

---

(١) ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص ٤٥

وإذا كانت الترجمة الحرفية لأي كلام تعسر أو تستحيل، فإن ذلك أظهر في كتاب الله تبارك وتعالى، فالمفردات القرآنية مفردات دقيقة يُظَنُّ لأول وهلة أن كثيرا منها من قبيل المترادف، ولكن إذا أمعن المتأمل فيها النظر، يجد أن لكل لفظة معناها الخاص بها، كذلك معانيه، لكل معنى ماهو ألصق به من اللفظ، فالفعل والعمل يُظَنُّ أنهما مترادفان، كذلك الخوف والخشية، والوَجَل، والإشفاق، ومثل هذه القيام والوقوف، والقعود والجلوس، والشك والريب، والضلال، والانضباط، والإحباط، والحمد والشكر، وغير ذلك كثير.

وإن من الصعوبة القصوى أن تترجم هذه الألفاظ بدقتها وإحكامها إلى غير العربية من اللغات، وأن يكون لها مدلولها الخاص.

وإذا كان ذلك كذلك في الألفاظ المفردة، فإنه في التراكيب أكثر صعوبة وعسرة، ذلك أن أسلوب القرآن أسلوب بديع متناه في البلاغة، ويظهر هذا مما فيه من تقديم وتأخير، وحذف وذكر، وفصل ووصل، وتعريف وتنكير. فقولنا «الحمد لله» يختلف فيه المعنى كثيراً عن قولنا «لله الحمد» وكلاهما في كتاب الله. وقوله سبحانه : «لله الأمر» يختلف عن قوله سبحانه من حيث المعنى «والأمر يومئذ لله» . كذلك قوله : «والله خبير بما تعملون» مختلف من حيث المعنى عن قوله تعالى : «والله بما تعملون خبير»، وقوله تعالى : «أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم» مختلف من حيث المعنى عن قولنا : أفعلت هذا بآلهتنا .

كذلك قوله سبحانه : «الحق من ربك فلاتكونن من الممترين» يختلف عن قوله : «فلاتكن من الممترين». كذلك قوله تعالى: «قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون» يختلف عن قوله : «لقوم يعلمون» .

ثم إن القرآن الكريم كذلك فيه تعبيرات مجازية، ففيه الاستعارة الْبَدِيعيّة، والكناية الموحية، وفيه اللفظ المشترك بين أكثر من معنى واحد، وفيه القصص الذي جاء بأساليب متعددة، وفيه التعابير الموجزة، ومن الأمثلة على ماتقدم :

١ ـ من حق المفعول به أن يؤخر، فإن قدم فلغرض بياني. قال تعالى : ﴿أغير الله تدعون﴾ وقال تعالى : ﴿إياك نعبد﴾ . . إن تقديم المفعول في الآيتين الكريمتين يدل على معان ثانوية، أو على معنى المعاني. . والترجمة لايمكن أن يُؤدَّى فيها هذا الغرض البياني الذي قدم من أجلها المفعول.

٢ ـ قال تعالى : ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ، إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ . . . . . [الذاريات ٢٤ : ٢٥] .

ذكرت كلمة «سلام» مرتين، منصوبة تارة حينما كانت تحية من الملائكة، ومرفوعة ، وهي تحية إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذا التغاير إنما جاء لحكم بيانية

لايمكن أن تفي الترجمة بها . . لقد نصبت (سلاماً) الأولى بفعل محذوف «تقديره» «نُسلم سلاماً» فالجملة فعلية، ورفعت الثانية «عليكم سلام» فالجملة إسمية، والجملة الإسمية تدل على الثبوت والدوام، وليست كذلك الفعلية، . . وهكذا رد الخليل عليه الصلاة والسلام على التحية بخير منها.

٣ ـ قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ . . . [آل عمران : ١٧٥] إن الترجمة الحرفية تخل بالمعنى، فالمعنى الظاهر أن الشيطان يخوف أولياءه، فأولياؤه يخافون منه. ولكن المقصود من الآية الكريمة ﴿يخوفكم بأوليائه﴾ بدليل ﴿فلا تخافوهم وخافون، إن كنتم مؤمنين﴾ .

٤ ـ قال تعالى : ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ . . ﴾ [البقرة: ٩٦] إن تنكير حياة، جاء لهدف وحكمة، أي يحرصون على حياة، أي حياة مهما بلغت من الذل والمهانة.

والعلماء مجمعون على أن الترجمة الحرفية للقرآن أمر غير ممكن ولا متيسر، فهي ممنوعة قطعاً.

أما الترجمة التفسيرية أي ترجمة معاني القرآن الكريم فأمر ممكن، وجائز ومرغوب، وهذه الترجمة لاتسمى قرآنا بإجماع علماء المسلمين.

يقول الزمخشري عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ . . [إبراهيم : ٤] ، قال : أي ليفقهوا عنه مايدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على الله ، ولايقولوا : لم نفهم ماخوطبنا به، كما قال: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ . . . . . [فُصِّلَت: ٤٤] فإن قلت : لم يبعث رسول الله ﷺ إلى العرب وحدهم، وإنما بعث إلى الناس جميعاً: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] بل إلى الثقلين، وهم على ألسنة مختلفة، فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة، وإن لم تكن لغيرهم حجة، فلو نزل بالعجمة لم تكن للعرب حجة أيضاً، قلت: لايخلو؛ إما أن ينزل لجميع الألسنة أو بواحد منها، فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة، لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل، فَبَقِيَ أن ينزل بلسان واحد، فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول، لأنهم أقرب إليه، فإذا فهموا عنه وتبينوه، وتنوقل عنهم وانتشر، قامت التراجم ببيانه وتفهيمه، كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم، مع مافي ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة، والأقطار المتنازحة، والأمم المختلفة، والأجيال المتعاونة على كتاب واحد، واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه[1].

---

(١) الكشاف : ٢/٥٣٩.

٥ ـ فوائد ترجمة القرآن الكريم :

إن مايحدث في هذا العصر من صراع بين الأفكار والمبادىء، ومن حملات ظالمة شعواء على هذا الدين بغير حق، يحاول فيها خصوم الإسلام وأعداؤه، إلقاء الشبهات، وتشويه الوجه الناصع لهذا الدين، يحتم على المسلمين أن يبلغوا دعوة الله بأيسر الأساليب، وأفضل الطرق. وقد يتطلب هذا إيصال معاني القرآن الكريم وحقائقه إلى غير المسلمين، وبخاصة الذين لايتكلمون العربية، وهذا الأمر يتحتم إذا عرف أن هناك ترجمات للقرآن الكريم، مليئة بالأخطاء والافتراءات والتُّرَّهات، والأكاذيب زورت فيها الحقائق، وكان ذلك أمراً متعمداً.

وهناك تراجم قد تكون ناشئة عن جهل المترجم بمعرفة معاني القرآن، لجهله باللغة العربية وأسرارها وأساليبها:

يقول الشيخ محمد الخضر حسين، شيخ الأزهر الأسبق: «والخلل الذي تشترك فيه الترجمات الحرفية والمعنوية أن يكون اللفظ ذا معنيين أو معان تحتملها الآية، فيضطر المترجم إلى أن يضع بدله من اللغة الأجنبية، اللفظ الموضوع لما يختاره من المعنيين أو المعاني، حيث لايجد لفظاً، يشاكل اللفظ العربي في احتمال تلك المعاني المتعددة.

ومثال هذا ماصنع ماكس هينج مترجم القرآن للسان الألماني،

فإنه ترجم الإبل في قوله : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ . . .﴾ [الغاشية : ١٧] . باللفظ الموضوع في الألماني للسحاب، وهو أحد المعاني التي حملت عليها الآية، والجمهور يفسرون الإبل بالحيوان المعروف، وهو المتبادر، ولا داعي إلى صرف اللفظ عنه، إلى ذلك المعنى المجازي وهو السحاب.

ومن الخلل الذي يدخل الترجمة الحرفية أن يستعمل القرآن للفظ في معنى مجازي، فيأتي المترجم بلفظ يرادف اللفظ العربي في معناه الحقيقي، وهذا ماصنع مارما ديوك بكتهول، مترجم القرآن إلى اللسان الإنجليزي في كثير من الآيات، وقد وقع من هذه الناحية في أخطاء لاتحصى . .

تجدونه مثلاً يترجم قوله : «فيدمغه» من آية : ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ . . .﴾ [الأنبياء : ١٨]، بمعناها الأصلي وهو «فيشج رأسه» .

ويترجم قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ . . . .﴾ [الإسراء : ٢٩]، بمدلولها الأصلي، وهو جمع اليد إلى العنق وإطلاقها. والقاريء الانجليزي لم يعتد أن يفهم مثل شج الرأس معنى الغلب، ولا من جمع اليد إلى العنق وإطلاقها معنى البخل والإسراف.

ومن هذا القبيل أن يُطْلِقَ القرآن لفظاً عاماً ويريد به خاصاً، كما أطلق الواقعة على يوم القيامة في قوله تعالى : ﴿إذا وقعت

الـواقعة﴾ فيأتي المترجم بما يرادف الواقعة، دون مايرادف يوم القيامة، وكذلك فعل المترجم الألماني، إلا أنه كتب في أسفل الصحيفة، منبهاً على أن المراد يوم القيامة.

ومن هذا الباب أن يستعمل القرآن الكلمة ، ومعناها لايظهر إلا بملاحظة متعلق محذوف، ويكون هذا المتعلق قريب المآخذ في النظم العربي دون لغة الترجمة كقوله تعالى : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة: ١٠/١١] فإن ترجمتها من غير ذكـر متعلق السابقين الواردة أولاً، وهو (في الدنيا)، ومتعلق السابقين الواردة (ثانيا) وهو في «الآخرة» لا تأتي للقاريء الألماني بفائدة. (١) .

وإنه لمن الواجب أن يقوم مجموعة من العلماء بترجمة معاني القرآن ترجمة تظهر فيها عالمية هذا الدين، ويسر هذا الكتاب، وسماحة تشريعاته، وسهولة عقائده، ومواكبة حقائق هذا القرآن للتقدم العلمي ومؤاخاتها بين الدين والعقل، تحقيقاً لقول الله تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ . . . ﴾ [الأنعام : ١٩].

وبهـذا يبلّغ المسلمـون رسـالـة الله حتى لاتلزمهم الحجـة ويتحقق قول الله تعالى فيهم : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا . . . ﴾ [البقرة: ١٤٣].

---

(١) محمد الخضر حسين ، بلاغة القرآن ، ص ١٧

النشاط التقويمي

١ ـ قارن بين الترجمة والتفسير .

٢ ـ بيّن حكم ترجمة القرآن الكريم من خلال التعريف الاصطلاحي للقرآن الكريم .

٣ ـ هل يمكن القول أن عدم القدرة على الترجمة الحرفية للقرآن الكريم دلالة من دلالات إعجاز القرآن ؟ ولم ؟

٤ ـ الإنسانية بحاجة إلى الترجمة التفسيرية للقرآن الكريم . اشرح العبارة السابقة.

٥ ـ منع جمهور العلماء قراءة القرآن بغير العربية في الصلاة. علّل ذلك .

النشاط الدراسي

١ ـ ارْجع إلى كتاب «الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي» للدكتور محمد ناصر، ولخص رأي الشيخ إبراهيم أطفيش في القرآن وترجمته.

٢ ـ ابحث عن ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى مبيناً :

ـ عدد اللغات التي ترجم إليها .
ـ تواريخ هذه التراجم .
ـ القائمون على التراجم في كل لغة منها .
ـ دوافع كل ترجمة منها .

تم بحمد الله

المـراجـــع

اســـم المؤلـف	اســـم الكتـــاب	دار النشر والطبع والسنة
أبو شامة عبدالرحمن بن إسماعيل	إبراز المعاني من حرز الأماني	ط . مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ١٣٤٩ هـ
أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبنا	إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر	ط. عبدالحميد احمد حنفي / مصر
لابن العربي	أحكـام القرآن	القاهرة ـ مطبعة السعادة ١٣٣١ هـ
لابي حامد محمد بن محمد الغزالي	إحياء علوم الدين	القاهرة ١٣٤٦ هـ
لأبي السعود	إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم	جزءان ـ مطبعة بولاق ١٢٧٥ هـ
د. فضل حسن عباس، سناء فضل	إعجاز القرآن الكريم	دار النور ١٩٩١ م
جلال الدين السيوطي	الإتقان في علوم القرآن	الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥ م تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
إمام الحرمين الجويني	الإرشاد إلى قواطع الأدلة والاعتقاد	تحقيق د. محمد بن يوسف موسى مكتبة الخانجي ـ مصر ١٣٦٩ هـ
بدر الدين الزركشي	البرهان في علوم القرآن	تحقيق أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٨ هـ
عبدالوهاب عبدالجيد غزلان	البيان في مباحث علوم القرآن	ط. دار التأليف
طاهر الجزائري	التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن	ط. المنار بمصر ط أولى ١٣٣٤ هـ،
أبو العباس المهدي	التحصيل لما في التفصيل	تحقيق سورة آل عمران والنساء سناء فضل ـ ماجستير
أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري	الجامع لأحكام القرآن	ط. دار الكتاب المصرية ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م
مالك بن نبي	الظاهرة القرآنية	القاهرة ١٩٥٨ م
أبو حامد محمد بن محمد الغزالي	المستصفي	القاهرة ١٣٤٦ هـ
الراغب الأصفهاني	المفردات في غريب القرآن	دار إحياء الكتب العربية : بيروت
لأبي جعفر النحاس	الناسخ والمنسوخ	القاهرة ـ مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ
د. محمد عبدالله دراز	النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن	القاهرة ١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٧ م
لابن الجزري	النشر في القراءات العشر	طبعة دمشق ١٣٤٥ هـ نشر محمد أحم دهمان
البيضاوي	أنوار التنزيل وأسرار التأويل	فليشر جزءان ليبسك ١٨٤٦ م
الشيخ محمد الخضر حسين	بلاغـة القرآن	تحقيق علي رضا التونسي ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م
د. عبدالصبور شاهين	تأريخ القرآن	دار الكتاب العربي للطباعة . دار القلم ١٩٦٦م

تابع المراجع

اسم المؤلف	اسم الكتاب	دار النشر والطبع والسنة
عبدالله بن مسلم ابن قتيبة	تأويل مشكل القرآن	دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي
أبو العلى محمد بن عبدالرحمن المباركفوري	تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي	ط . الفجالة ط ٢ ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م
الشيخ محمد رشيد رضا	تفسير القرآن الحكيم الشهير بالمنار	دار المعرفة . بيروت ط ٢
إسماعيل بن كثير	تفسير القرآن العظيم	دار المعرفة - بيروت ١٣٨٨ ه - ١٩٦٩ م
علي بن حجر العسقلاني	تقريب التهذيب	دار صادر - بيروت
علي بن حجر العسقلاني	تهذيب التهذيب	دار صادر - بيروت
ابن الأثير	جامع الأصول	مطبعة الملاح - دمشق
محمد بن جرير الطبري	جامع البيان في تفسير القرآن	المطبعة الأميرية ببولاق ط ١ مصر ١٣٢٣ هـ
سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي	جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل	مكتبة الاستقامة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م
أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني	سنن ابن ماجه	تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ط. البابي الحلبي
أبو عيسى محمد بن سورة	سنن الترمذي	تعليق عزت عبيد الدعاس ط الفجر الحديثة
	حمص ط ١ - ١٣٨٧ هـ	
بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي .	سنن النسائي	دار احياء التراث - بيروت .
أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي	شرح السنة	تحقيق شعيب الأرناؤوط
لابن الجزري	طبقات القراء	الاستانة ١٩٣٥ م ومابعدها ٣ مجلدات
الحافظ جلال الدين السيوطي	طبقات المفسرون	ومعها شروح - لندن ١٨٣٩ م
سيد قطب	في ظلال القرآن	دار الشروق + دار إحياء التراث العربي ط ٥ - ١٣٨٦هـ
الخازن	لباب التأويل في معاني التنزيل	ومعه تفسير البغوي ط . مصر ١٢٣١ هـ
د. صبحي الصالح	مباحث في علوم القرآن	دار العلم للملايين
د. مناع القطان	مباحث في علوم القرآن	مؤسسة الرسالة ط ١٤ - ١٤٠٢ هـ/١٩٨٣ م
محمد جمال الدين القاسمي	محاسن التأويل	دار إحياء الكتب العربية . القاهرة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م
محمد عبدالعظيم الزرقاني	مناهل العرفان في علوم القرآن	جزءان القاهرة ١٣٧٣ هـ

رقم الإيداع ١٩٩٣/٤٥